البُطُن في العربية
مرآة التعبير اللغوي إلى التعبير الشعبي
دراسة لسانية إدراكية

تأليف
６ جهانى بنى عبد العزيز المحمدى
الينما في العربية
مرآة التعبير اللغوي إلى التعبير البشري
(دراسة لسانية إدراكية)

تاليف
ه. جهان بنست خضر الغزيري العبري
جامعة الملك سعود، كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع لدراسات اللغة العربية

١٤٣٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

التميمي، جنان عبدالعزيز

الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني./ جنان عبدالعزيز

التميمي - الرياض، ١٤٣٤ هـ

... ص؛... سم

ردمك: ٧-١٩-١٤٣٤-٩٠٣-٢٠١٠-٩٧٨-١

١ - علم الدلالة ٢ - اللغة العربية - العنوان

ديوي ٢٠٠٤/٢٣١٧/١٤٣٤

رقم الإيداع: ٢٣١٧/١٤٣٤/٢٠٠٤

ردمك: ٧-١٩-١٤٣٤-٩٠٣-٢٠١٠-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ/٢٠١٣ م

جميع الكتب التي تصدر عن كرسي المانع لدراسات اللغة العربية وآدابها محكمة
إهداء

إلى أمي وأبي اللذين حرصاً على تغذيتي بالعلم كحرصهم على تغذيتي بالطعام والشراب.
إلى زهراتي الثلاث: ريم، وفي، وديمة.
إلى رفيق عمري: سعد.
أهديكم ثمرة مساندتم ودعمكم.

جنان
تصدير

منذ بدء العمل في هذا الكرسي البحثي المعني بدراسات اللغة العربية، وأدأناها استمرت هيئة العلمية على أن يكون من محاور فعالياته نشر الدراسات والبحوث العلمية ذات الجودة المعرفية الرفيعة.

ومن ثم فإن الأمول من نشر الكراسي لسلسلة متابعة من هذة الدراسات أن يكون كل منها معقلاً إضافة معرفية ملموسة في مسار خدمة اللغة العربية التي هي مكون رئيس في تشكيل الهوية الثقافية للأمة، وفي مجال تعميق التعليم بالأدب العربي الذي هو حامل رئيس لآفاق الطاقة الوجدانية وأبعاد رؤية العالم لدى هذه الأمة نفسها.

وبالنظر إلى اتساع الفضاءين الحضاري والعلمي - اللذين تتحرك فيهما اللغة العربية، والذين يبсужهما تنوع اتجاهات الآداب العربية والدراسات النقدية والبلاغية والأسلوبية التي قامت حولها، وبالنظر إلى امتدادات مجالات هذين الفضاءين في الأزمة التاريخية المناعية، والبيئات الحضارية المتنوعة، أقول: بالنظر إلى كل ذلك فإننا نريد أن تكون هذه السلسلة من الدراسات محاولات جادة لتحقيق أكبر قدر ممكن من تجسيد هذه الأبعاد.

كذلك فإن التوجهات المهمة التي عنيت الهيئة العلمية للكراسي بأن ينحض تجسيدها في سلسلة هذه الإصدارات التوجه إلى نشر جملة من المخطوطات العربية المهمة وفق أصول التحقق العلمي ومعاييره.

وعلى ضوء ذلك كله فإننا نأمل ونسعى لأن يكون هذا الإصدار، وما سيتبعه -إذن الله- من إصدارات، مما يعزز من المكانة العلمية
لجامعة الملك سعود وهي تبادر إلى تحقيق إنجاز مرموق في تحسين معايير الجودة الجامعية.

وفي المحصلة فإذا نطلع إلى أن يكون كل عمل يقوم به الكرسي إسهاماً في القيام بأعباء المسؤولية تجاه اللغة العربية المعاصرة المتجددة، وتجاه الآداب العربية المتنوعة المبدعة، وتجاه أعمال مرومة يكتنّز بها تراث المخطوطات العربية وما تزال تستشرف أن ترى نور التحقيق والنشر.

وفق الله جميع العاملين على هذه اللغة وعلى آدابها وعلى تراثنا الأصيل بكل جلالاته.

المشرف على الكرسي
أ.د. عبد العزيز المانع
مقدمة

علاقة اللغة بالفكر والتفكير ظلت مشكلة تنتقل من عصر إلى عصر، ومن فرع علمي إلى آخر. وكان السؤال المحبوري في طرح هذه القضية هو:

هل دور اللغة هو (تمثيل) الفكر أم أن دورها هو (تشكيل) الفكر؟

والتقى في العقود الأخيرة طفرة واضحة في العلوم الكاذفة عن طريقة عمل العقل البشري، وذلك من خلال الكشوف التي توصلت إليها العلوم البيولوجية وبحث الحيايا العصبية واللسانيات الإدراكية.

وفي هذا السياق كان طرح لايكوف وجونسون لنظريه (الاستعارة الإدراكية) في كتابهما المشترك (الاستعارات التي نحيا بها) عام 1980م بداية لانطلاق البحث حول فرضيتهما القائلة بأن "الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية. إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا ونستخدمها في الأعمال التي نقوم بها أيضاً. إن النسق التصويري العادى الذي يسالي تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس". وهذا لبد من الإشارة إلى مفهوم رئيس هو مفهوم (الاستعارة التصورية) الذي يطلق على "طريقة بناء معرفة أحد المجالات من خلال تصويره بفهوم (الاثارة التصورية) مثلاً: بناء مفهوم (الحب) عن طريق تصويره بفهوم (النار): (اشتعال/انطفاء الحب)، وبناء مفهوم (التفكير) عن طريق تصويره بفهوم (الحركة): (سمو/هبوط/ جراح الفكر)...إلخ". ولقد أطلق على المجال الأول تسمية (المجال/المصدر)، وعلى المجال الثاني تسمية (المجال/الهدف).
وعلى ضوء معطيات هذه النظرية، والبحوث التي دارت في فلكها، يأتي مشروع هذه الرسالة محاولة لاستكشاف الأبعاد الإدراكية التي ينطوي عليها التعبير الزمني في اللغة العربية. وتصباغة أخرى إنه محاولة للكشف عن كيفية تعبير اللغة العربية عن مفهوم الزمن وبناءه عن طريق تصويره بفهاديم إدراكية أخرى.

وتكتنف أهمية هذا البحث في أنه محاولة أكاديمية لتطبيق معطيات أحد الفروع المستجدة في اللسانيات الإدراكية، على إحدى ظواهر اللغة العربية، وهي ظاهرة التعبير الزمني.

يتمثل هذا البحث اللسانيات الإدراكية في تحليل ظاهرة التعبير الزمني في اللغة العربية، ويحدد الأبعاد الإدراكية التي تشكل بها مفهوم الزمن في اللغة العربية، ويشرح دور مفهوم (المكان) في بناء مفهوم (الزمن)، ودور التشخيص في بناء مفهوم (الزمن)، ودور المدركات التجسدية التي تشكل مفهوم (الزمن)، ثم الصلة التي تربط مفهوم (الزمن) بمفهوم (العدد) في اللغة العربية.

ووهذا البحث يرصد النظام المفاهيمي أو المعرفي للزمن في العقل العربي من خلال اللغة؛ وذلك بالتركيز على المستوى اللغوي التمثيلي للوصول للهيكل المعرفي للزمن في الذهنية العربية، وذلك بتسجيل التعبيرات الزمنية

المختلفة عن الزمن في اللغة العربية في أكبر قدر ممكن من المدونات العربية،
ثم تصنيفها حسب أطر أو أبعاد محددة؛ إذ إن الإنسان يدرك الزمن من
خلال تجربته الحساسية أو خبراته الذاتية. حيث تمت اللغة ميدانًا خصباً
لاكتشاف العقل البشري.

ويجيب هذا البحث عن تساؤل مهم: هل هناك خصوصية عربية في
إدراك الزمن؟ يعني: هل تشبه اللغة العربية اللغات التي يذكر اللسانيون
الإدراك أن ترى المستقبل قادماً من الأمام ومتجهاً إلى هنا وذهبًا إلى
الخلف؟ حيث توصل باحثون في لغة شعوب الإيمرارًا Aymara
التي تسكن جبال الأندية أن مفهوم الزمن يشكن لديها عكس الشائع من اللغات التي تم
فحصها ودراسةها؛ إذ يرى الناطقون بلغة الإيمرارًا أن الماضي متقدمًا أمامهم
والمستقبل من الوراء؛ وذلك باعتبار أن الغيب (المستقبل) شيء غير معلوم
ولا يكمل رؤيته؛ لذلك هو يقع خلفك، والماضي ذو أحداث معلومة
حصلت بالفعل؛ لذلك يقع أمامك. وهذه الصورة مستمدة من جسد
الإيمرارًا حيث يكون ما هو واقع خلفه (غيب/غير معلوم/المستقبل) ومن
أمامه (مباشر/معلوم/الماضي). (1)

ومن نجد عدد الأشياء من حولنا حسب ما تعني لنا أو يحسب
أهميةها بالنسبة لنا، حيث تعتبر أنفسنا مركز الكون، وكل شيء من حولنا
نراه حسب وجهة نظرنا. والناطقون بلغة الإيمرارًا لا يتصورون الزمن كالشائع

Núñez: Rafael E. & Sweetser: Eve(2005), Aymara, where the
future is behind you: Convergent evidence from language and gesture
in the crosslinguistic comparison of spatial construals of time, (draft)
من اللغات التي يتصور الناس بها أنه يقف في مواجهة نهر الزمن المتدفق؛ ليكون المستقبل في الأمام؛ والماضي ذاهبا إلى الخلف. ولكنهم يمثلونه في كلامهم يعكس ذلك حيث يتدفق زمن المستقبل من الخلف والماضي يقدم للأمام. والسؤال هنا: هل اللغة العربية تشبه لغة الإمارا التي ترى المستقبل واقعا في الخلف والماضي من الأمام؟ أم أنها تشبه اللغات التي ترى عكس ذلك؟ ثم ما هي الخصائص التي يتشكل بها مفهوم الزمن في اللغة العربية.

ليست هناك - على حد علم الباحثة- دراسات عربية سابقة عالجت قضية الأبعاد الإدراكية في التعبير الزمني في اللغة العربية. غير أن هناك دراسات ذات صلة بموضوع الرسالة ويمكن الاستفادة منها في مواضيع معينة منته. وهذه الدراسات يمكن تقسيمها إلى اتجاهين:

- اتجاه قام بعرض نظرية الاستعارة الإدراكية وتطبيقها على بعض النصوص العربية. وهذه الدراسات الآتية هي ما توفر لدى حتى الآن:

- 1 - عبد الله الحراصي: دراسة في الاستعارات المفهومية، نزوى، عمان، 2002 م.

قدم المؤلف في هذه الدراسة النظرية المفهومية (الإدراكية) للاستعارة من خلال الكتابات الغربيّة، وهي مقدّمة في خمسة فصول يستعرض في أولها الملامح النظرية لفكرة الاستعارة المفهومية وتطورها خلال العقدين الماضيين من خلال استقراء كتابات لاكوف وجونسون، والفصل الثاني يطبق هذه النظرية على النص الفلسفي العربي في كتاب "دلالة الخائرين" لموسى بن ميمون، وفي الفصل الثالث يكشف الدور الكبير الذي تلعبه الاستعارة في تشكيل الإيديولوجيات وصراعها؛ من خلال تحليل الخطاب في كتاب العالم
العماني نور الدين عبد الله بن حميد السالمي: "بذل المجهود في خلافة النصارى واليهود" مركزًا على دور الاستعارات المفهومية في تشكيك هذا الصراع. وفي الفصل الرابع يستعرض دور الاستعارة في تشكيك الخطاب السياسي للإمام علي بن أبي طالب، وخصوصاً في تشكيك مفهوم الفتنة السياسية. ويدرس المؤلف أخيراً دور الاستعارة المفهومية في تشكيك مفهوم الأخلاق في الثقافة العربية.

2- سعيد الخصصالي: الاستعارات والشعر العربي الحديث. دار تويقال للنشر
- الدار البيضاء - 2005

- وهو يقع في 300 صفحة ويكون من تقديم وبابين. وفي التقدم تحدث عن عدد من القضايا التمهيدية منها ما أسماه ب"مهمة الاستعارة" في الشعر، ونظرية الاستعارة بدأ من التصور الأرسطي وصولاً إلى الإشارة إلى النظريات الحديثة. أما الباب الأول فقد عقده الخصصالي لبحث (نظرية الاستعارة) حيث بسط ما أجمله في التقدم. وجاء الباب الثاني تطبيقياً لحل الاستعارات الإدراكية في عدد من نصوص الشعر العربي الحديث.


 ولقد جاء هذا البحث موزعاً على ثمانية محاور. المحور الأول جاء بعنوان الاستعارة من البلاغة القديمة إلى البلاغة الجديدة: وفيه وقفة عند مثبته
إيفانز ريتشاردز من نقطة التحول من البلاغة الأرسطية إلى البلاغة الجديدة وذلك في ربطه بين الاستعارة وعمل العقل. وكان المصور الثاني بعنوان الإطار اللساني الإدراكي: وفي هذا المصور قدم البحث عرضاً لنشأة اللسانيات الإدراكية منذ منتصف خمسينيات القرن العشرين الميلادي الماضي، وللأساس الإستمولوجية التي قامت عليها هذه اللسانيات. ثم ينتقل البحث إلى المحاور الأساسية التي تشكل مجال المعالجة الموسعة نظرياً وتطبيقياً. ففي المصور الذي جاء تحت عنوان (ثورة ليكوف وجونسون) رأى البحث إن صدور كتابهما المشترك (الاستعارات التي نعيش بها) عام 1990م استهدف إحداث تغيير جذري في المنظومة الإستمولوجية التقليدية التي اعتمدت عليها نظريات الاستعارة في تاريخها المعرفي الطويل. ووقف البحث في ميزة الرابع عند نظرية جونسون القائلة ب(جسمية العنان والتخيل والتفكير). وهذه النظرية ترى أن طبيعة تصورتنا الإنسانية هي نتاج طبيعتنا الجسدية بما فيها تكويننا التشريحي/ العصوني. وفي المصور الخامس يتجه البحث إلى متابعة ليكوف لعمليتي التقويض للنظرية الكلاسيكية في الاستعارة، وإلى مزيد من البناء للنظرية الإدراكية فيها. وفي المصور السادس وعوانه (تصنيف أنشطة الاستعارات الإدراكية) يقدم البحث ثلاثة أنماط مع إيراد أمثلة ونتائج لها من الاستعمالات العربية: وهذه الأنشطة الثلاثة هي: الأفكار - حرب، والأفكار - الهبات، والبرهة - حرب. وفي المصور السابع من البحث كان ثمة معالجة لوضعية البعد الثقافي في منهجية المقاربة الإدراكية حيث تذهب هذه المقاربة إلى أن أي موجذ ذهني هو بالضرورة موجذ تبسيطي- ومن ثم مشوّه- لهذا الذي يحاول تمهله. ومن ثم يشير البحث إلى تأكيد اللسانيات
الإدراكية أن أساقفاً تنتمي إلى ثقافات مختلفة لا بد أن تكون أساقفاً مختلفة، لأنها ببساطة - أساقف غير مكتملة - بطرق مختلفة - في تقييمها للواقع، وفي أوجهها الدلالية على حد تعبير سيدني لامب. ويتهم البحت بالمحور الأخير حول (إيديولوجيا الاستعارة الإدراكية) حيث علاقة المقاربة الإدراكية بالتحليل النقيدي للخطاب؛ وذلك في دراسة العلاقة التي تربط بين تكريس استعارات تصورية معينة في أطر تاريخية أو ثقافية معينة وهيمنة قوى اجتماعية أو سياسية في هذه الأطر.

وما تريد الباحثة أن تقوله بخصوص هذه الدراسات الثلاث هو أنها جميعاً بعيدة عن موضوع البحت المفترض هنا، وإن كانت ذات جدوى في إمكان الاستفادة منها في عرضها النظري للساليات الإدراكية، وفي تطبيقاتها النصية في تحليل الاستعارات الإدراكية الموجودة داخل النصوص.

أما الاتجاه الثاني فهو تلك الدراسات التي قامت بدراسة الزمن في اللغة العربية من منظور نحوي، أو معجمي. ومن هذه الدراسات ما يأتي:

1- حبيب مشكول حسن، الزمن النحوي في قصص القرآن الكريم، رسالة دكتوراه (مخطوط) في 254 صفحة، كلية الآداب) جامعة البصرة. 2002م.

مهد الباحث تعريف مصطلح الزمن في المعاجم العربية، والزمن في منظور النحويين العرب و درس في الباب الأول الحدث والزمن وكان ذلك في فصلين: درس في الفصل الأول: الزمن النحوي للصيغ الفعلية وزمنها في سياق القصة القرآنية. أما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان القرآن: وبحث فيه القرآن المرتبط بالصيغ الفعلية ونواحي الجملة.
وجاء الباب الثاني في فصلين وقد غلب عليه جانب التحليل. ففي الفصل الأول منه درس أشكال السرد القرصي ووظيفة الزمن النحوي فيها والعلاقة بينهما والدلاليات المختلفة المتولدة من ذلك. أما الثاني فقد بحث فيه (تغيير النظام) وما يتبعه من تغيير في الزمن النحوي وارتباطه بمسار وسياق القصة، وبسياق السورة الواردة فيها. ثم انتهى البحث بخاتمة خص فيها ما وصل إليه البحث من نتائج.

٢- كمال مشيد: الزمن النحوي في اللغة العربية، دار عالم الثقافة، عمّان، ٢٠٠٨.

الكتاب في ٢٨٥ صفحة، مقسم إلى عشرة فصول وخاتمة. فركز المؤلف في هذه الدراسة بين مفهوم الزمن النحوي والزمن الفلسفي ويبين العلاقة بينهما، ومدى التوفيق في صيغ الفعل وتقسيماته عند النحويين، ولقد درس الفصل الأول الزمن الصرفي والزمن النحوي، ودرس الفصل الثاني مفهوم الجهة في فكرا الزمن والقرائن التي يمكن أن تدخل الجملة العربية توجه الزمن فيها توجها معيّناً، وفي الفصل الثالث دراسة لأساليب الكلام العربي من وجهة زمنية، وأخيراً ما توصلت لهذه الدراسة من نتائج في خاتمة موجزة.

٣- محمد الملاح: الزمن في اللغة العربية: بنائه التر hızlı والدلالي، في كتاب مكون من ٥١٩ صفحة، الدار العربية للعلوم- بيروت، ٢٠٠٩.

وهذه الدراسة تحلّي ظاهرة الزمن في اللغة، ومدى أثر تعدد العناصر المساهمة في تشكيل الإحالة الزمنية في جمل اللغات الطبيعية، فالزمن ذو مظهر صري وتركيبي وداليا ومنطقي وتداعي.
الدراسة مكونة من بابين موزعين على خمسة فصول. الباب الأول ويبحث في المقاربات التقليدية للإحالة الزمنية، وهي: مقاربة النحاة العرب القدامى، ومقاربة الاتجاه الوصفي، ومقاربة المستشرقين، ثم طرح المقاربات اللسانية الحديثة من خلال المنظور المنطقي، والدلالي والتركيبي والتداعي.
وفي الباب الثاني قدم دراسة شمولية لبيئة كل من الزمن، والجهة والوجهة في اللغة العربية، وإجراء عملية تصنيفها، ووضع استراتيجية بناء السلاسل الزمنية، كما يتضمن دراسة لاختلاف العلاقات الزمنية في الخطاب.

والباحثة تريد أن تشير هنا أيضاً إلى أن هذه الدراسات تبنى مرجعية علمية مغايرة للمرجعية العلمية التي تتبناها هذه الرسالة. فموضوع رسالتها يبنى منهجية للفلسفة الإدراكية، وخصوصاً نظرية الاستعارة الإدراكية. كذلك فإن رسالتها تتناول ظاهرة معينة من ظواهر اللغة العربية؛ وهي ظاهرة التعبير الزمني، لترصد الأبعاد الإدراكية التي قامت وتقوم ببناء تصور هذا المفهوم.

وقد اعتمد البحث النهج التحليلي الوصفي لأكبر عدد ممكن من المدونات النصية العربية. حيث يستخرج منها أمثلة التعبيرات الزمنية، ثم تصنيفها كلٍّ وفق البدع الإدراكية الذي ينتمي إليه، ثم تحليل الأنماط الاستعارة الإدراكية الداخلة تحت كل بعد إدراكي. وقد تم توثيق كل نسق من مصدره في هامش ذات الصفحة مما أُعد أياً من الشعر الذي كان مصدرها موسوعة الشعر العربي الصادرة من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم (CD 2009) على اسطوانة ضوئية، والتي تحتوي على أكثر من ثلاثة

(1) موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإمارات، (2009).
ملامين وخمسمئة ألف بيت شعر لم يزيد عن ثلاثة آلاف شاعر من العصر الجاهلي وحتى العصر الحديث. كما أشرت للأنيات التي أخذتها من الموسوة العالمية للشعر العربي (1) بالرمز (أ. م). وما كان من الجامع الكبير للتراث الإسلامي والعبري (الإصدار الرابع) (2)؛ أشرت إليه بالرمز (ج. ك).


(1) يوسف العليان (مشرف عام- 2005)، الموسوة العالمية للشعر العربي /http://adab.com

(2) الجامع الكبير لكتب التراث الإسلامي والعبري، الإصدار الرابع (4.6)، مركز التراث للبرمجيات، الأردن، عمان.
تمهيد

اللسانيات الإداركية:

- أسس نظرية (الاستعارات الإداركية):

اللسانيات الإداركية:

تتجاوز اللسانيات الإداركية بنية اللغة Cognitive Linguistics الشكلية لتفترق أعمق صورها الإداركية التي تتمثل في عقل الإنسان حينما يتصور ألفاظ المفاهيم المجردة. واللسانيات الإداركية تبحث في العلاقة بين الثقافة واللغة والإدراك، وهي تعالج اللغة باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من الثقافة والمعروفة. وتعتمد اللسانيات الإداركية على البحث عن دلالة اللغة في الأسس الإداركية والتجريبية التي تساهم في تجسيد الفكر واللغة.

تدرس اللسانيات الإداركية اللغة في وظيفتها المعرفية والإداركية، كما تركز على اللغة الطبيعية كوسيلة لتنظيم ومعالجة ونقل المعلومات. وترى اللسانيات الإداركية أن اللغة جزء من القدرات الإداركية الشاملة لدى الإنسان. ويُنظر للغة أنها مستودع لمعورتنا بالعالم، وهي تجمع لنا معرفتنا بالعالم من حولنا من خلال التجربة الحسية وتخزينها في عقل الإنسان؛ وتساعد على التعامل مع تجارب جديدة. (1)

وترجع اللسانيات الإداركية لعام 1987 مع نشر كتاب "المرأة والنار والأشياء الخظيرة" (لايكوك Lakoff 1987) والجلد الأول لأساسيات


(1) انظر:
النحو المعرفي لLANGACKER (1987) cognitive grammar

وقد اكتسبت اللسانات الإدراكية نحوها سريعا خلال خمسة وعشرين عام تقريبا منذ نشر جورج لايكوف ومارك جونسون كتابهما (الاستعارات التي نعيش بها) وهو أول كتاب دعا صراحة إلى نهج اللسانات الإدراكية.

تقع اللسانات الإدراكية ضمن ما يعرف بالعلوم الإدراكية وهي جملة من العلوم تدرسُ أنشغال الذهن والذكاء دراسة أساسها تضاف اختصاصات تساهم فيها الفلسفة، وعلم النفس، والذكاء الاصطناعي، وعلوم الأعصاب، واللسانيات، والأنتروبولوجيا. (2)

ويعرّف عبد الإله سليم العلم المعرفي (3) أو علم النفس المعرفي Cognitive science


(1) انظر: الزراد: الأزهر، نظريات لسانية عُرفية، الدار العربية للعلوم، بـيروت، طا 1379 .

(2) مصطلح (العربي)، أو المصطلح (العربي)، أو المصطلح (العربي) كلها مصطلحات عربية لترجمة (cognitive). وقد اختيرت مصطلح (الإدراك) أو (الإدراكية) لأن مصطلح (العرفانية) ينطبق بالاختصار على غير قياسي، و(المعرفي) ينطبق بالقابل العربي ل (Epistemology) و (knowledge).

(3) فهو موجود في العربية القديمة ومعنى متوافق مع دلالته المصطلح الأحديبي؛ يقول أبو هلال العسكري: "الاحساس هوُ النذارك بالحاسة" و"وَلَا يَذَرُك إِنَّهُ مُتَوَجِّهُ، والإدراك طريقة من طرق العلم" و"وقال أيها اللَّغة كل ما شعرت به فقد أحسنته وعَلمَتُه أدركه بحسم ... والآلات التي يذركها: (حواس)، (الاعتقاد، الأذن، والأنف، والتَّعَدُّد، والدم). (العسكري: أبو هلال، الفروع اللغوية، نح. محمد إبراهيم سليم، (دار العلم للثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دت. ص 82-89).
 بأنه "علم معاصر يبحث في إشكالات قديمة بتصورات psychology ووسائل حديثة، إنه علم يبحث في كيفية امتلاك الذهن المعرفة، وكيفية تطورها، ويبحث في علاقة المحيط بالاكتساب، وفي كيفية احتفاظ الذاكرة بالمعلومات واستعمالها عند الحاجة، إلى غير ذلك من المباحث الذهنية".(1)

نحن البشر لستنا مجرد كائنات بيولوجية فقط؛ فلدينا هوية ثقافية واجتماعية، ولغتنا هي من بين أهم ما يكشف عن هويتنا حيثمعنى اللغوي المتجمّر في التجربة الحسية. وليس اللغة وحدة مستقلة ومنفصلة عن مظاهر السلوك الأخرى للإنسان، فهي تعكس تجربتنا الحسية الشاملة كبشر؛ كما أن المعنى اللغوي ليس منفصلا عن غيره من أشكال المعرفة، وكل تصورنا للعالم من حولنا يأتي عبر تجربتنا الحسية بأحسنا. ووجهات النظر التي نستخدمها لتصور المشاهد التي نمر بها تتبع من حقيقة امتلاكنا للسنسة النظر الطبيعية. وعن طريق امتلاكنا لهذه السنسة ورؤية ما حولنا نحدد مكاننا واتجاهنا بالنسبة إلى الكائنات الأخرى الموجودة في العالم من حولنا.(2)

ولذلك نعتمد في حديثنا مبدأ (الإشارة indexicality) في اللغة؛ بمعنى أننا نستطيع أن نحدد مكان الأشياء من حولنا حسب ما تعني لنا أو يحسب أهميتها بالنسبة إلينا؛ حيث نعتبر أنفسنا مركز الكون، وكل شيء من حولنا نراه حسب وجهة نظرنا. وهذه النظرية الذاتية للفضاء من حولنا تظهر في

(1) سليم: عبد الإله، بيانات المشاهدة في اللغة العربية: مقاربة معرفية، (دار توبقال،الدار البيضاء، 2001، ص 7)

استخدامنا للغة. وعندما نتكلم فإن موقفنا في الزمان والمكان بمثابة نقطة مرجعية لَّمَّوْقَتَ الْكِيانَاتِ الْأَخْرَى فِي الْمَكَانِ أو الزمان، ونشير للمكان الذي نحن فيه أنه (هنا) والزمان الذي نتحدث فيه أنه (الآن)، وحينما أقول: "جارتي هذا الآن" فإن المستمع يعلم مباشرة أن معنى: "هنا" المكان الذي أنا فيه، و"الآن" الوقت الذي كت أنكمل فيه، وكلمات مثل "هناك" و"بعد ذلك" و"اليوم" و"غدا" و"هذا" و"تأتي" أو "تذهب" وكل الضمائر الشخصية كلها تعبيرات إشارية تصل بالأنا الناطقة.\\(^{1})\\

وأما يدفع اللسانيين لدراسة اللغة بهذا النهج هو السعي لفهم الإدراك البشري والكيفية التي يعمل بها عقل الإنسان؛ إذ إن اللغة تكشف عن القدرات العقلية للبشر. ويعتمد اللسانيون على ما تخبره اللغة عن نفسها، وبعبارة أخرى: إن اللغة العادية التي يتحدثها الناس كل يوم تشكل عند اللسانيين (المادة الخام) التي يستخدمونها لبناء نظريتهم اللسانية.\\(^{2})\\

وتقدم اللسانيات الإدراكية ثلاثة فرضيات يسترشد بها الإطار اللساني الإدراكي في التعامل مع اللغة وهي:\\

أ- اللغة ليست قدرة إدراكية مستقلة.

ب- النحو هو عملية خلق للمفاهيم (أفهمة) بما يعني أن اللغة رمزية بطبيعتها.

---


Evans:p.16.\\(^{1})\\

Evans:p.16.\\(^{2})
ج- المعرفة باللغة تأتي من الاستعمال اللغوي.

وهذه الفرضيات الثلاث تمثل رد اللسانيات الإدراكية على النحو التوليدي الذي يفصل بين الملكة الإدراكية والقدرات الإدراكية غير اللغوية، وكذلك هي رد على علم الدلالة المشروط بالصدق والذي يقيم الميالغة الدلالية استنادًا إلى صدقها أو كذبها بالنسبة للعالم "(1)".

وُضِعَت اللسانيات الإدراكية على مجموعة من النظريات التي تتشكل في الأساس والمنطق بها ولكنها مجموعة متنوعة متعلقة في بنائها ومشاغلها وتوجهاتها ومجالات العناية فيها، وهي تقسم إلى اتجاهين كبيرين متصارعين: النحو الإدراكي والنحو التوليدي في آخر تطور له. وقد نهضت اللسانيات الإدراكية على نقد تيارات سابقة فضائل منهجيا، فكان الخروج على المنهج الإجرائي القائم على الوصف البنى والتوزيعي وعلى المنهج الشكلي. والمنهج المطول القائم على شروط الصدق أو الشروط الضرورية والكافية "(2)".

أسس نظرية (الاستعارات الإدراكية):

بحث الإنسان عن الاستعارة يقع في إطار بحث عن الحقيقة. والبحث عن الحقيقة في اللغة جعل المشتغلين على اللغة منذ القدم من لغويين وفلسفة يقسمون الكلام إلى قسمين؛ قسم على أصل الوضع، وقسم

(1) التعبير: عادل (السبت، أبريل 17، 2010)، تكشف - اللسانيات الإدراكية،

http://textbasrah15.blogspot.com

(2) انظر: الزناد، ص 27
يعدل عن أصل الوضع ويقع في المجاز أو الاستعارة. يقول أرسطو في فن الشعر: "أما الاسم المجاز فهو إعطاء اسم يدل على شيء آخر، وذلك عن طريق التحويل إما من الجنس إلى النوع أو من النوع للجنس، أو من النوع إلى نوع، أو عن طريق القياس".\\n\\n(1)\\n\\nوبالبلاغة التقليدية بشكل عام تعرض الاستعارة باعتبارها زخرفا لفظيا. فالصور تصير جميلة بواسطة الاستعارة، وتصير أكثر جمالا إذا تضمنت مع الاستعارة مقابلة وإيقاعا وحضورا أمام النظر.\\n\\n(2)\\n\\nويقول عبد القاهر الجرجاني في تعريفه للاستعارة: "أعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفًا، تدل الشوهد على أنه اختصبه حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، ويقلله إليه نقلاً غير لازم، فتكون هناك كالعارية".\\n\\n(3)\\n\\nومن خلال تعريف الجرجاني يتضح لنا أن الاستعارة في مفهومها التقليدي تنطوي على أن للفظ معنى أو مسمى (أصل) معروفًا ثم يستعمل لمعنى أو مسمى مستعار من أصل آخر (كالعارية)، واستعمالها ليس محدودا في اللغة الشعرية عند الجرجاني. وقد جعل أرسطو الاستعارة قائمة على\\n\\n(1) أرسطو، فن الشعر، ت. إبراهيم حمادة، مكتبة الأطلس المصرية، دت. ص 176\\n(2) أو كان: عمر، أرسطو والاستعارة، مجلة فكر وندق، (دار النشر المغربية، الدار البيضاء، عام 1999).\\n(3) الجرجاني: عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، ت. محمد الأسكندراني، م. مسعود، (دار الكتاب العربي، بيروت، 1998). ص 31
لا ينبغي النظر في الانزياح كنقطة فرعية وتراهن على أن يكون هناك أثر إيجابيّ، بل على العكس، فإن الانزياح يشكل مدخلاً إلى النشر المغربية في الأدب. مع ذلك، لا يمكن مقارنة الانزياح المعرفيّ بنظرة سامية أو رفيعة.

ومنذ ذلك الحين وحتى سبعينيات القرن العشرين والاستعارة "تمثل بالنسبة لعدد كبير من الناس أمرًا مرتبطًا بالخيال الشعري والزخرف البلاغي. إنها تتعلق في نظرهم بالاستعمالات اللغوية غير العادية وليس بالاستعمالات العادية، وعلاوة على ذلك يعتقد الناس أن الاستعارة خاصية لغوية تنصب على الألفاظ وليس على التفكير أو الأنشطة. ولهذا يظن أغلب الناس أنه بالإمكان الاستغناء عن الاستعارة دون جهد كبير، وعلى العكس من ذلك، فقد اتبناها إلى أن الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية. إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا في الأعمال التي نقوم بها أيضاً. إن النسق التصورى العادي الذي يسير تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس. وذللك تنطلق الاستعارة من معناها الضيق التقليدي المصور في الزخرفة الجمالية في الكتب الأدبية إلى مفهوم أوسع. وما تجدر الإشارة

(1) أوكان: عمر، أسرار والاستعارة، مجلة فكر وفوق، (دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 17-1، 1999).
(2) انظر لايوكوف، جورج، جونسن: مارك، الاستعارات التي نحيا بها، ت. عبد المجيد جحفة، (دار تونباليان، الدار البيضاء، 2000، ص 21).
إلى أن الاستعارة بصورة الحديثة في المقارنة الإدراكية "جعلاً تتخلص من كثرة التقسيمات التي انتقدها البلاغيون العرب أنفسهم من مثل: الاستعارة التصريحة والتبعية والكتائية والتخيلية... إذ يمكن صياغة أي مفهوم استعاري في استعارة مفهومية مؤلفة من موضوع أول و موضوع ثان، كما أن مفهوم التفاعل يجعلنا تجاوز الاستعارة الجملية إلى دراستها في النص، بناء على توظيف مفاهيم الممثلة الجزئية والتعدية وشبه التضاد".

و"لا يمكن فصل المقارنة الإدراكية للاستعارة عن الإطار الإبستمولوجي الذي شكله ابتكا نعمال الإدراكية في منتصف خمسينيات القرن العشرين، عندما "بدأ باحثون يتمون إلى عدة حقول علمية في تطوير نظريات عن العقل مبنية على إجراءات تمثيلية وحاسوبية مركبة" استطاعوا من خلالها الإقلاع بعيداً عن مقارنات دوسمير ويلومفريد اللساني، ومقارنات فرويد السكولوجية. وفي هذا السياق يشار إلى الرواد الستة: جورج ميلر (علم النفس الإدراكي)، وجون مكارثي ومارفن مينسكي وألين نيوويل وهربرت سيمون (الذكاء الاصطناعي) ونورام تشومسكي (اللسانيات) باعتبار أنهم مؤسسو (العلم الإدراكي). غير أن إطلاق مصطلح (العلم الإدراكي) لم يتم إلا عام 1973 م على يد كريستوفر هيجنر الذي يجمع بين الاشتغال بالكيمياء النظرية ودراسة المخ البشري والذكاء الاصطناعي."}

---

(1) منفتح: محمد، مجهول البيان، (دار توقيع، الدار البيضاء، 1990، م 1990، ط 1)، ص 61

وبذلك تكون التصورات التي تتحكم في تفكيرنا ليست ذات طبيعة ثقافية صرفة، وهي تتحكم أيضاً في سلوكتنا اليومية البسيطة بكل تفاصيلها. فتصوراتنا تُبَني (تكوين بنية لغوية) ما ندركه، وتُبَنيُّ الطريقة التي نتعامل بواسطتها مع العالم، كما تُبَني كيفية ارتباطنا بالناس. بهذا يلعب نسقنا التصوري دوراً مركزياً في تحديد حقائق حياتنا اليومية. وإذا كان صحيحاً أن نسقنا التصوري - في جزء كبير منه - ذو طبيعة استعراضية فإن كيفية تفكيرنا أيضاً وتعاملنا وسلوكنا كل يوم ترتبط بشكل وثيق بالاستعراض.(1) حيث إن المعرفة "تبدأ بنسخ قائم على محاكاة الواقع المدرك. وتطور المعرفة بعد ذلك عبر تراثية من التمثيلات الأيقونية التي تتعلق من الصور في المستوى الأساسي (صور الكائنات التي تكون في متناول الجسد) نحو "مناويل ذهنية" أكثر فأكثر تجريداً، ولكنها مع ذلك تظل أيقونية (ولكنهم يوصفوها كذلك، عبر قدرات الجسد القائمة على المحاكاة)."(2)

الاستعراض عند لايكوف وجونسون لا ت تقوم على المشابهة بقدر ما تقوم على عملية ربط (mapping). تقوم الروابط بعملية اختراقية بين مجالين أحدهما هدف والآخر مصدر، إذ توجد تواصفات بين المجالين. ويحدد الباحثان في "الاستعراضات التي نحيا بها" ثلاثة أصناف من البنية (تكوين بنية لغوية). وهي (3):

(1) انظر: لايكوف وجونسون، ص 12.
(2) الخباش: صايب، مسارات المعرفة والدلالات، (كتوز المعرفة، الأردن/عمان،11 2004م)، ص 40.
(3) انظر: لايكوف: حروب الخليج أو الاستعراضات التي تقتل، ت. عبد المجيد حفصة وعبد الإله سليم (دار توبقال،الدار البيضاء،2000م)، ص 13.
1- بنية نسق تصوري استنادًا إلى نسق تصوري آخر، مثل بنية نسق الجدال بواسطة نسق الحرب في الاستعارة "الجدال حرب". ويطلق الباحثان على هذا الصفص مصطلح الاستعارة البنيوية.

2- بنية بعض الأنساق اعتمادًا على تجربتنا الفضائية باعتبارنا كائنات تحذينا الاتجاهات كالأعلى والأسفل واليمن واليسار والمركز واللامش. وتجربتنا علمتنا أن الأشياء الإيجابية تكون فوق، والسلبية تحت. يسمى هذا الصف من الاستعارة الاستعارة الإتجاهية.

3- بنية الأنساق المجربة اعتمادًا على بنية الأنساق الفيزيائية، كما هي الحال في استعارة "الحب رحلة". يطلق الباحثان على هذا الضرب مصطلح الاستعارة الأنتولوجية.

وبذلك تكون الاستعارة ظاهرة ترتبط أولاً بالأفكار والأنشطة، أما ارتباطها باللغة فمتشتق فقط من حيث ارتباطها بالأفكار. كما أن الاستعارات تحدد جزئياً ما تعتبره واقعياً وحقيقياً. وأهم وظيفة تقوم بها الاستعارة هي إثارة فهم جزئي لنوع من التجارب من خلال نوع آخر. وقد يدخل في ذلك المشابهات الموجودة قبلًا، وإبداع مشابهات جديدة وأشياء أخرى.

ولابد لنا من التفريق بين نوعين من الاستعارات:

1- استعرارات وضعية داخل النسق التصوري المتواضع عليه في الثقافة الواحدة.

2- استعرارات توجد خارج نسقنا التصوري المتواضع عليه، وتقصد

(1) انظر: لايكوف وجونسون، ص 157

(2) السابق: 145
الاستعارات الخيالية أو الإبداعية. وهذه الاستعارات كفيلة بإعطائنا فهماً
جديداً لتجربتنا، كما تعطي معنى جديداً لما مضينا ولنشاطنا اليومي، ولما
نعرفه وما نعتقده.
ومن هنا يتضح لنا أن الاستعارة الإدراكية ظاهرة فكرية حاضرة في كل
مجالات حياتنا اليومية؛ إذ إن النسق التصوري العادي الذي يسبر تفكيرنا
وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس، والأفكار في أذهاننا تنظيم بصورة
استعارة. وتعتبر المشاكل المتعلقة بالمعنى في اللغة الطبيعية مشاكل أمريكية(1)
وليس مسلمات فلسفية فردية كما يؤكد لايكوف وجونسون(2).
ويكمن إيجاز أسم نظرية الاستعارات الإدراكية فيما يلي:

• الاستعارة في مفهومها الإدراكي عملية فكرية مرتبطه بالنسق
tصوري عند الإنسان. وهي التي تجعل العقل البشري ينظم

العالم في صورة مفاهيم يخترعونها ويربط بينها.

• الاستعارة جزء من حياتنا اليومية. وليس هناك من طريق

للحديث عن المفاهيم المجردة دون الاستعانة بالاستعارة.

• الاستعارات اللغوية لا تقوم على المشابهة بقدر ما تقوم على

أفكار سابقة فطرية. (انظر: Empiricism After the Vienna Circle, Palgrave Macmillan, New York,
(p.13)
(1) Chapman:Siobhan(2008)Language and
(2) السابق: ص ٢٠١
الربط بين مجالين؛ أحدهما: (المجال/الهدف) والآخر: (المجال/ المصدر).

الاستعارات لها أساس داخل التجربة الجماعية الفيزيائية والثقافية. كما أنها تؤثر في ذات الوقت على تجربة وسلوك هذه الجماعة.
الفصل الأول: البعد المكاني

مدخل
خط الزمن (الماضي، الحاضر، المستقبل)
مكان الماضي خلفنا
الحاضر مركز ووجودنا
المستقبل أمامنا
الزمن طريق
الزمن مساحة مكانية
 الزمن مكانه فوقنا
 الزمن مكان يأتي إليه الإنسان
 الزمن مكان تُخفي فيه الأشياء
 الزمن مكان تقع (عليه) الأحداث
خلاصة
مدخل:

يستخدم العربي مفهوم (المكان) في بناء مفهوم (الزمن) وبذلك يتم بناء مفهوم الزمن (المجال/الهدف) من خلال تصويره بفهاديم the target وعلاقات مستمرة من مجال المكان (المجال/المصدر) حيث يكون الحدث في المجال الزمني (فه) أو (عليه). وقد يكون مكان الزمان فقيناً ونحن أدنين منه، ويكون اليوم (علينا) أو (فوقنا) وكأن الزمن يظلنا يظلنا للزمان هناك. ويكون تحديد أجزاء الزمن بالنسبة لنا مكاني وخطه قريباً ويُبدد وعدها من المكان الذي نحن فيه؛ فيكون الزمن الماضي (قبلنا) والمستقبل (بعدنا). ومدد المسافة بيننا وبين نقطة زمنية معينة من مكاني أو من المكان الذي نشعر فيه بذاتنا (إلى أو حتى) النقطة الزمنية المقصودة أو الغاية. وأجزاء الزمن تقابل وتتعدد. و(بين) كل جزء من الزمن والجزء الآخر، جزء من الزمن، في صورة سلسلة تناضلي فيها أجزاء الزمن. وتتصور الزمن كطريق أو رحلة نقطتها. أو تمثل في أذننا صورة الزمان في دورة إذ ينتهي اليوم عند نقطة نفسها التي بدأ منها.

وفي هذا الفصل يتجلى لنا كيف يُعتبر عن قرب الزمان ويُبعد بالنسبة إليها، وقرب الزمان ويُبعد بالنسبة لأجزاءه بعضها من بعض. وكيف يضيق الزمن ويتسع كمكان حسب إحساس الإنسان به. ثم تجد الزمان يتدفق بنا كطريق نقطته مسرعين أو متباتهم ونقوله عند محطات أو مواقف معينة، وناوياً إلى أماكن أخرى. وفي ذات الوقت الذي تتحرك عن مشاها على طريق الزمن يتدفق الزمان باتجاهنا ويجري المستقبل من أمامنا ويتخلل حاضرنا ثم يتجاوزنا مبعداً من وراءنا وتصير ماضياً من خلفنا من خلال أبعاد حسية.
أخرى. وهذا الفصل مخصص للمجال/ المصدر: (المكان) وكل الصور المتعلقة به.

خط الزمن (الماضي، الحاضر، المستقبل):

مكان الماضي خلفنا:

إدراكنا لتوالي الأحداث المحسوسة واحترامها في ذاكرتنا يجعلنا نتصور الزمن الماضي خلفنا، حيث الأحداث التي مرت ولا يسعنا العودة لتغييرها، والماضي مجموعه من حضيلة خبرتنا وتجاربنا في الحياة، وسلسلة الأحداث التي حصلت لنا منذ ولادتنا وحتى الآن الذي نحن فيه.

شكل (1)

المستقبل

الحاضر

الماضي

الزمن مجال ساكن ونحن نتحرك في هذا المجال، ونتقدّم نحو المستقبل، ونكمل الماضي خلفنا.

يقول ابن الرومي:

وقد يعزّيّني شباباً مضى
ومدّة للعيش أسفلها
فقدّرت في خمسين عاماً أحلت
كاتنت أمامي ثم خلفتها

وفي قول ابن الرومي: "وقد يعزّيّني شباباً مضى" الزمن متحرك وذات

26
ابن الرومي ساكنة، والمرحلة الزمنية (الشباب) التي كان مكانها أمام ابن الرومي مضت وذهبت حتى تجاوزت ابن الرومي وصارت خلفه. وفي الشطر الثاني يقول: "ومدى للعيش أسلفته" وهنا يظهر الشاعر متحركاً يتقدم إلى الأمام في ذات الصورة التي يتحرك فيها الزمن متجهاً نحوه. وفي حين يتقدم المستقبل نحو الإنسان يتقدم الإنسان مواجهة المستقبل وخلفاً الماضي وراءه، وفي ذات الوقت الذي يصبح فيه المستقبل ماضياً يتوغل الإنسان أكثر للدخول في مستقبل آخر، وكان ذلك أشبه بخطين سريعين; أحدهما للزمن والآخر للإنسان. ويمكن أن نرسمه بالشكل التالي:

الخط العلوي يمثل حركة الزمن، والخط السفلي يمثل حركة الإنسان; فالمستقبل أمامنا نتقدّم نحوه ونتقدّم نحونا. وفي حين نتحرك مبتعدين عن الحاضر يتحرك الحاضر مبتعداً غداً ليكون ماضياً.

وقول ابن الرؤمي: "خمسين عاماً خلت، كانت.. أمامي ثم خلفتها" تصور للعمر بأنه كان مستقبلاً أمامه ثم تقدم عنه وخلفه وراءه. وهذا ما يتردد صداه في تعبير آخر تقول فيه: "نترك الماضي خلفنا".

27
وفي مثل ذلك يقول غازي القصيفي:
أتينك...
صحابي الأوهام... والأسقام...
والآلام... والخنور
ورأي من سنين العمر...
ما ناء به العمر. (1)

ويقول محمد القاضي:
خُلِّ عَنْكَ الأَمْسَ لا ترَجع أَلِيهٔ
ومثل ذلك أيضاً قول ابن العتز:
قَأَمَّامُ الْمُرْؤُوسِ عِمْرُي
ويقول الصاحب شرف الدين:
جَناوْرُ هُمْسُونَ وِلٍّ صَبوُّةٌ
إِلَى بَنَايِ العَصْرِ والجَمُس
الحاضر مركز وجودنا:
نحدد الزمن الذي تكون فيه مثلما نحدد المكان. والآن هو نقطة وجودنا
الحالية وقد تتسع لتشمل شيئاً من الماضي أو المستقبل ونعتبر عنها بالنسبة
للحظة التي عين فيها ب(قبل) أو(بعد). يقول إبراهيم الأسود:
لقد بات لبنان به اليوم مسعداً
وقد كان قبل الآن يشقى ويسعد
يقول ابن حزم: "الزمان لا يثبت وإنما هو منقض أبداً شيئاً بعد شيء

(1) أم
والزمان المقيم هو الآن، فإن قولك: (الآن) هو فصل موجود أبداً بين الزمان الماضي والزمان الآتي. والآن هو الموجود في الحقيقة من الزمان أبداً وما قبل الآن نمأض وما بعد الآن مستقبل (1)

قال خليل اليازجي:
الأمس ينشرون ونطويهنا الغد
واليوم بينها وفيها نوجد

المستقبل أمانا:

يتخذ المستقبل فسحة مكانية أمانا تسع حينا وتضيق حينا آخر. ويتزداد على لسانا مقولات مثل: "أمانك تسع من الوقت"، "المستقبل أمانك فسحة" "تطلع إلى مستقبل رحب" صورة المستقبل مكان يتقدمنا ويكون أمانا. قد يضيق وقد يتسع، وقد يكون موضئا أو يكون مظلما؛ نقول: "أمانك مستقبل مظلم" أو "أمانك مستقبل مضيء" أو "خطوة واقعة نحو مستقبل مضيء" و"بدا بيد نحو مستقبل مضيء" و"مستقبل مشرق". ومساحة الملكية للمستقبل خالية ويعمرها البشر بمنجزاتهم وأفعالهم، نقول: "لا بد من الإعداد لبناء مستقبل نفخر به.

ويقال عن الليلة التالية لليلة التي أنت فيها: "القابلة" وأنا القابلة فليست مستقبل بعد ليثبتك التي أنت فيها، وكأنها مأخوذة من الاستقبال. وحين نقول: "المستقبل بعد عشر سنوات" فإن بعد المستقبل لنا يكون على درجات؛ مستقبل قريب من اللحظة التي نحن فيها، ومستقبل بعيد بعد عدد

(1) ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، التقرب لمد المنطق، تج، إحسان عباس،

(المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1987م، ط2) ص 62.
من الأيام أو عدد من السنوات. والزمن البعيد عن نقطة وجودنا إذا أن يكون بعيدا في الماضي أو بعيدا في المستقبل. يقول ابن رشد: "فليس يخفى من هذه ما كان متوقعا حدوثه في الزمان المستقبل البعيد؛ بل ما كان متوقعا في الزمان المستقبل القريب. فإن الشر المتوقع في الزمان المستقبل البعيد ليس يخفى أحد، بدل أن كل أحد يعلم أنه يموت لا حالة، ولكن لأنه ليس يعلم أنه قريب، فهو لا يخفى الموت"(1) وقد يكون الزمن بعيدا ليس بالنسبة لنا وإنما بالنسبة لìn زمنية أخرى، يقول النبي:

"عَضُّ الشَّيَابِ بِعَجْزٍ فَجَرْ لِلَّيْلِ"((2)

زمن (الفجر) بعيد عن زمن (الليل). وفي هذا التعبير الزمني يحدد الشاعر مكان الزمن بالنسبة إليه؛ فهو في زمن الليل، وزمانتime= من الفجر بعيد مكانا بالنسبة للليل وعيد بالنسبة إليه أيضا.

وحينما يتسرع شغفنا بالحياة أو حماسنا لاقترب موعد ما نشعر أن الزمن يتباطأ في مروره، وتسع مسافة امتداده. ودائما نشعر بحظات الانتظار شديدة الطول وكأنها لانتقصي. وقد يعر الإنسان في هذه الحالة عن الزمن في بعد تشخيصي حيث يتحرك الزمن ببطء شديد، أو في بعد مكاني حيث يكون الزمن الموجود في مكان بعيد جدا عنه.

(1) ابن رشد: تلخيص الخطابة، تح. عبد الرحمن بدووي،(1979م)، ط2، بيروت: دار القلم، ص265.

(2) لا يغير من الأمر شيئا أن يكون النبي هنا يعبر ب(الفجر) عن (الشب) وب(الليل) عن (أسوداد الشهر)؟
يقول ابن المجري في تصوير هذا الإحساس:
قالت سليمي ابتر فقومنا الغدُّ
فظلت من فرحٍ أقوم وأفغرُ
حتى رأيتُ غذاً وقرب مكانهُ
لم شئّ منه لطرف شوقي أبعدُ
وبالرغم من قرب مكان (الغد) الموعد، إلا أن فرت الشوق جعله بعيدا جداً، ويفسر ذلك بتقية قوله:
قد حال بين غِدٍ وبيني ليلةٌ
تُبكي الزمان وعمرها يتجدّدُ
إن بطا مرور ليلته التي تحول بينه وبين الغد، جعلت مكان الغد بعيدا جداً.
ثم يقول:
لو زارني فيهااعة الصبح الدجا
وتعبر عن الليلة بقوله: "فيها" صورة مكانية ليل حيث تزوره سلمي فيه.
والقرب والبعد صفات يختص بها المكان تُستعار لندرك بها الزمن المجرد، يقال: "حم الشيء، وأحم، إذا قرب. ومنه الخُمَى، لأنها تقرب من الأجل" والأجل هو الوقت المضروب المحدد في المستقبل "هذامعنى المجرد العملي للأجل، وإذا ابتعدنا بصورة أعمق لمعنى الأجل والمربط بالبيئة الصحراوية نرى أن الأجل من المأجل وهو المكان الذي تجمع فيه المياه حتى

(1) ج. ك.
(2) قال الليث: الأجل غايةُ الوقت في الموت، ومَحْلُ الذِين وحُوذه: (الأهرمي)، تحليب اللغة، ج 11، ص 132(1).
يستفاد منها في وقت الحاجة، وقد تأجل الماء، أو استنجد في موضوع، يقول ابن دريد: "الماء من تأجل الماء: استنجد في الموضوع، وهو (أجبل)". والماء هو في الأصل البركة العظيمة التي تستنجد فيها المياه.


والرابط بين صورة الماء المختبئ في مكان بركة أو مستنجد يستخدمه الإنسان بعد حين عند احتياج، صفة ادخار الشيء إلى حين الحاجة في وقت مُنتظر مستقبلا في مكان بعيد عنا، وخلالها المعجل الذي يستخدم مباشرة من الأشياء وهو في مكان قريب منها.

(1) ابن سيدة: أي الحسن علي بن إسماعيل البحري الشهير، المختص، تحت حليف إبراهيم جمال، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941-61996م)، ج3، ص379.

(2) الخيري: ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، 1397-1977هـ، ج5، ص239.

(3) ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأندلسي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1998م، ط1، ج11، ص126.

32
ووصف (المضروب) يطلق على الوتد يضرب في الأرض علامة لتحديد المكان، ويطلق أيضًا على الموعد الزمني المحدد. نقول: "ضرب موعدًا للمقابلة" ونهد المساحة الزمنية بعدًا وقربًا من هذا الموعد المضروب.

من ذلك، التعبير التالي: "الموعد المضروب لإنجاز المشروع هو العاشر من يناير عام 2012م، وأكدت الشركة القائمة على المشروع أنها قادرة على إنجاز المشروع قبل الموعد المضروب؛ لكن الشركة لم تنجز المشروع إلا بعد الموعد المضروب بثلاثة أشهر".

وتلمع الزمن المستقبل في بُعد مكاني أمام الإنسان ينتقل إليه بكثرة في المدونات العربية الحديثة في تعبيرات من قبيل: "وتقدم نحو المستقبل" و"أمامك مستقبل مشرق" و"العمر أمامي" و"أمامك شهر بكماله لإنجاز عملك" و"غمي قدما نحو بيئة أفق المستقبل".

ويقول ابن حيان في كتابه أخبار القضاة: "ثم لا يؤخر عمل اليوم لند" فإنه إذا كان ذلك تدراكت الأعمال وشغل بعضها عن بعض.((1))، وهذه العبارة تتردد اليوم بصورة أخرى، مع استبدال "يؤخر" ب "يجل" أو تؤجل "لا يؤجل عمل اليوم إلى الغد" إذا كان المستقبل متحركًا نحونا، ثم يتجاوزنا ليصير ماضيًا. يكون التعبير بقول: "تأخر" حيث يتخذ العمل من المستقبل مكانًا متأخرًا في الخلف. ويدل التعبير بقولنا "يجل" عن مكان أمامنا.

(1) ضرب الوتد يضربه ضربًا: ذُفِّه حتى رأسه في الأرض. وثبت ضرر: مضروب. (الزيدي:
محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهدية، بيروت، 1385، ج، ص253)
(2) ج. ك.
عند نقطة محددة. وبذلك يكون تصور المستقبل في المقالة الأولى متأخراً، وفي المقالة الثانية متقدماً.

والفرق بين التأجيل والتأخير حسيّاً، أن الشيء المتأخر يكون في الخلف، والمؤجل يكون في موضع أمامي. والآجل هو وقت مضروب محدد في المستقبلتخيل كقضاء ساكن أمام المتكلم؛ ولذلك تقول: "يبلغ الأجل" و "حتى يبلغ الكتاب أجله" وهذه كلها تتحدث في بعد مكاني أمامي في المستقبل. والعمل المتأخر لا يكون متاخراً بالنسبة للإنسان الفاعل بل بالنسبة للزمن الحاضر، لأنه منطقياً لن يجمع أن تكون في العمل المؤخر صفة (التأخير) و (التقدم) في آن واحد، فالمستقبل المتصور أماماً مكاناً وتحركنا ليفابلنا ووجه لوجه يكون العمل (مؤجراً) في مكان بالزمن. والعمل يكون (مؤجراً) بالنسبة للإنسان لأنه يجعله في مكان أمامه وهن إما ت وقت محدد يحل في زمن المستقبل الذي يتخذ بعضاً مكاناً أمام الإنسان. ويكتمل أن تصور العمل (المؤجل) و (المؤخر) كما في الشكل التالي:

شكل (3)

يتضح لنا في هذا الشكل مكان العمل المؤجل، والذي يوضع في مكان متأخر عن الوقت الحاضر، وفي مكان متقدم أبل عن الإنسان. فالعمل (مؤجل بالنسبة للإنسان) و (مؤخر بالنسبة للزمن).

٣٤
وصورة التأخير الزمني مستقاة من صورة التأخر في آخر الركب في السفر، إذ يكون المتقدم أسرع في الوصول إلى نهاية الطريق من الموجود في آخر الركب ولذلك نقول عن الذي يصل بعد أن يفوت الوقت أو الموعد: "متأخر" والذي يصل أولا نقول عنه: "متقدم".

يقول الأمير الصنعاني:
طال التأخر منكم أيها النجوم فسارعوا سارعوا لا تسكُم تَصَبُّ وكليماً مر أسبوع نقول عسى من بعده تبعث البشرى لنا الكتب. (4)

ومنها تجد الإشارة إليه أن هذه صورة تأخر الأشخاص مختلف عن صورة تأخير الأحداث أو الأفعال. وهي على العكس تماماً من الصورة الأولى؛ لأن تأخير وقوع الفعل أو الحدث يكون مصورا في مكان متقدَّم لا متأخر؛ فإذا قلته: "آخر نومي إلى الساعة الثانية" فأنا أجلس موعد نومي في وقت متقدم أمامي مستقبلا. وإذا قلت ستأتفر من موعد نومي فأنا أكون في مكان متأخر عن حلول موعد نومي. من ذلك قول الجوزي: "وكان أبو بكر
رضي الله عنه - لقصر أمه يوثر أول الليل وعمر لتأمِّيل الخدمة يؤخره إلى آخر الليل. وعَشان يتهجَّد في آناء الليل، وعلي يستغفر في أواخر الليل "(1)

وفي بعض الأحيان يكون تعبّرنا عن الوقت كشيء متحرك نلاحظه ونحاول الوصول إليه قبل أن يتقدّم عنا ونحن كذلك نتحرك في ذات الفضاء المكاني، وهو في الأصل فضاء زمني يشتمل حركتنا وحركة الزمن؛ ونير بقولنا: "أحمر متأخراً عن الوقت بدقائق، متقدماً عن الوقت بدقائق، على الوقت أو الموعدهما" كأننا نتحرك عن والوقت على خط متوازي، ونحاول أن نضبط أنفسنا لتابعة حركه، فنقطة (الموعد) ثابتة لتخن تقوم بثبيتها ذاتيّاً؛ أي نخلوها إلى موضع مكاني ثابت! ولا بد أن تتواجد حركتنا مع حركة الزمن حتى نصل سوياً (خن) (الزمن) في ذات نقطة الموعده المحددة.

وإذا تأخرنا عن الزمن، فالزمن في جزء من دائم لا ينتظر أحدًا، يقول ابن هذيل القروطي واصفاً سرعة حركه ومشبها نفسه بالزمن:

في جانب ليل وفي الثاني ضحى
فأنا الزمان على أناهلي مُمسكي
وإذا أبطأتنا فإن الزمن يسبقنا ونكون نحن متأخرين عنه؛ ويفوت الموعد علينا ونتأخّر مكاننا عن الزمان لأنه يتقدّم عنا؛ لذلك نقول إذا فاتنا موعد ما:

"وصلنا متأخرين" وقد نصل قبل نقطة (الموعد) فتنقدّم نحن عن الزمن، ونصير نحن أمامه في المقدمة، وقبل الموعد، ونقول في مثل هذه الحالة: "تقدمنا في الحضور قبل الموعد بساعة". وحينما نصل على الموعد ثامناً نكون قد وصلنا سوياً (خن) (الزمن) في التوقيت نفسه، فلا يتقدم أو يتأخّر أحدنا عن الآخر؛ وكأننا في سباق مع الساعة. ويمكننا أن نتخيل

الفضاء المكاني في تحديد هذه المواعيد الزمنية بالنسبة إلينا؛ والزمن المحدد أو الوقت المحدد مستقبلا هو نقطة محددة على خط مرسوم في خريطة؛ مثل الإحداثية (1) على الخريطة المكانية، ونحن نصل هذه النقطة في مكانها تمامًا أو نتأخر عن الوصول إليها. انظر الشكل (5) و(6) و(7).

شکل (5)

حضر قبل الموعد بساعة

شکل (6)

حضر على الموعد تمامًا

(1) الإحداثيات في الرياضيات: خطوط متقاطعة وعمودية على أخرى، عُملت لمعرفة علاقة الأجزاء بعضها ببعض في شكل ما؛ والإحداثيات الجغرافية هي خطوط الطول وخطوط العرض. (المحيط: معجم اللغة العربية، اللجمي: أدب وآخرون، المحيط، بيروت، 1996 م، ط 3، ج 1، ص 43).
وشعر بالأحداث التي تَحُصل لنا بصورة متسلسلة منذ ولادتنا وحتى الآن الذي نحن فيه، ونُعرِّب عن الحدث الذي يحدث بشكل غير متوقع أو سابق لأوانه بأنه قد اقترب إنا. شعورنا بالزمن الخاص بنا يجعلنا نُعْرِب عن الزمن قريباً ويُعدا من المكان الذي نحن فيه؛ يقول ابن حيوس:

أَدْنَىْ لِي الْحَظَّ الَّذِي عَهْدِي بِهِ َوَإِذَا دَنَا يَوْمًا تَأَخَّرَ عَالمًا

وإذا كان الزمن متحركاً والإنسان ساكناً فإن دورة الزمن تكون معكوسة؛ المستقبل يتجه نحونا، لذلك نحن نسميه (مستقبل) بقطع الباء اسم مفعول من الفعل (يُستَقَبِل). ونسمى ما انقضى من الزمن (ماضي) اسم فاعل من الفعل (مضى) كشخص مضى وذهب وراح. وبذلك تكون دورة الزمن مثل دوران عقارب الساعة، ونصف الساعة الأول هو (الماضي) والنصف الأدنى (المستقبل) ويتحرك المستقبل في اتجاه الحاضر أو الآن الذي نحن فيه ثم يتجاوزنا ليصير ماضينا. ويتقال: الليلة، لِلَّيْلَةَ الَّتِي أَتَْتَ فِيهَا. والبارحة: لليلة الماضية قبلها، والبارحة الأولى: لَلَّيْلَةَ الَّتِي كَانَتْ قِبْلَ الْبَارَحَةَ، وَكَأَنَّهَا 38
سميت البارحة من برحت أي مضت وذهبت\\n
وإذا كان تصور الزمن يجري خونا فإن المستقبل يعمر عنه بأشفاظ
مثل: "وراء" وهو بذلك يتخذ موقعًا خلف الزمن الحاضر؛ ومن ذلك:

يقول ابن الأبار البلنسي:

هَلْ وَرَآءِ اللَّيْلِ غَيْرُ الصَّباح

أذِنْتُ أرْضُ العَمَّادِ بافْتِئَاح

يقول جلواح:

تقطع الليل والنهار مشفًا
عن جنى الليل والنهار المسن
يرعى الصفو في الحياة وينمي؟

هل وراء الليل والنهار زمان

يقول ناصح الدين الأرجاني:

تَحْذَرُ وَرَآءُ اللَّيْلِ قَارِعَة
لَعْبُوهَا وَتَبْحَرُ الفُجْرَا
نُشَرَتُ لَنا راياته تشرا

حتى إذا ما الصبح لاح وقد

قال عدي بن الرفاع العامل:

وَكَمْ نَرِى مِنْ قَوِّيَ فَكَ قُوَّةُ
طَوْلُ الزَّمَانِ وَسَيِّفًا صَارِمًا نَجَلا
إِنَّ ابن آدم يَرَجَو ما وَرَاءَ عَدَد

قال جمال الدين بن مطروح:

ويعسِى فتسعَ حِيَةِ الشَّعرُ خلفه
وإن شئت قَلْ لِيْلُ وَرَاءَ نهار

وتصف العرب موعد المنيى في المستقبل أو المصيبة التي قد تحدث

(1) ج. ك.
للإنسان ولا تقتله: "من أخطائه سهم الرزية لم يخطه سهم المنية" (1)، وقيل: "من أخطائه سهم المنية قيده الهرم" (2). ويقول التهامي:

ولكن أيدي الحادثات مصير، إذا أرسلت سهم المنية لا تخطئ (3).

وفي إشارة إلى أن مطلق هذا السهم القادم من المستقبل هو الزمن يقول الأمير أبو يوسف في رثاء الأمير أبي مالك:

سهم المنية أيمن منه فرار من في البرية من رجاه يسار حكم الزمان على الخلق بالفنا فأدار لا يبقى بهادب.

وفي صورة يحتوي إقبال الزمن المستقبل وانعذه موقعا مكاني أمام الإنسان، والزمن المستقبل يأتي بما فيه من أحداث يقول الم سعودي: "والله أعلم بما يكون من أمرهم فيما يأتي به الزمان المستقبل بعد هذا الوقت من الأيام" (4).

(1) الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تج. محمد سيد كيلاني، (دار المعرفة، لبنان، د.ت.) ص 11.

(2) الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، محاورات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلاغاء، تج. عمر الطباع، (دار القلم، بيروت، 1420 هـ - 1999 م)، ج 2، ص 358.

(3) الجرّاوي: أبو العباس أحمد بن عبد السلام النادلي، الحماسة المغربية: مختصر كتاب صفة الأدب وذخيرة يديوان العرب، تج. محمد رضوان الدابة، (دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991 م)، ج 2، ص 1318.

(4) الم سعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب، تج. مفيد فضيحة، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1986 م)، ج 1، ص 149.
في الشكل رقم (8) الزمن شيء متحرك والمستقبل يتحرك باتجاهنا. وفي هذا التصور يبدو المستقبل قادماً من الأعلى، والحاضر في مكان متوسط بين الماضي والمستقبل، والحاضر في أدنى منزلة من المستقبل والحاضر. وهذه الصورة تبدو لنا في تعبيرات لغوية من قبيل: "تطلع إلى مستقبل أفضل" و "الماضي السحیق".

والتعبير عن الزمن المستقبلي منه متجهاً إلى الأعلى بالنسبة للإنسان والماضي مبتدأ في الأسفل مرتبطة بحركة نحو الإنسان بشكل عمودي نحو الأعلى. و نحو الإنسان مرتفعاً بطوله نحو السماء يجعل صورة الزمن قادمة من الأعلى حيث يرتفع الإنسان نحو طوليا نحو المستقبل بقامة متصبة متمددة يوماً بعد يوم. وذلك يجعله يبتعد عن الماضي الذي يكون مرتبطاً بقامتة الأقصر والتي تقترب نحو الأرض في الأسفل. لذلك يبدو لنا المستقبل في الأعلى وتطعُّع نحوه. ويكون الماضي في الأسفل ننطلق غوا مبتدئين عنه.

وهذه الصورة مشابهة لصورة النهر الذي يتدفق من الأعلى متجهاً بفعل
الجاذبية إلى الأسفل. ودائما تطلّع نحو (الفجر) و (المستقبل)، وتعبّر عن الفجر (اللقاء) ولا يمكن أن نقول طلع المساء أو الليل، فاللقاء يختص به الفجر والصباح.

تسمية أقسام الزمن (ماضي، حاضر، مستقبل) مشتقة من إدراك الزمن في صورة شبه متحرك؛ حيث تستقبله متحركا باتجاهنا ليحضر في مكان وجودنا ثم يتجاوزنا ويضي ويتركنا.

وقد أشار جورج لايكوف إلى هاتين الحالتين الفريعتين لمرور الزمن: "في الأولى: عين تحرك والزمن ساكن، وفي الثانية الزمن يتحرك وعين ساكن. وما يجمع بينهما هو نسبة الحركة بالنسبة لنا، ووجود المستقبل في الأمام والماضي في الوراء. ومنعى هذا أنهما حالتان فريعتان داخل نفس الاستعارة، وبعبارة أخرى فإن الاستعارات تتشكلان في اقتضاء مهم، فكلاهما(1) تقتضي - من وجهة نظرنا - أن يتجاوزنا الزمن من الأمام إلى الوراء".

الزمن طريق:

يتجزز الزمن كخط وهمي يشي عليه الإنسان؛ وهو بذلك طريق، وعلى الطريق مسارات وأحداث. وخط أو الطريق الزمني يتجت بشكل مستقيم، أو بشكل دائري. والزمن الذاتي الخاص بالإنسان سفر، أو رحلة، ولها طريق معلوم، سافته محدودة، معروفة نهاية. صورة تعبيرية زمنية ترد كثيرا في كلام العرب. وترتبط صورة الزمن بطرق السفر في تعبيرات الوعظ والتنبيه للإنسان إذا أنشغل بيومه عن خامة عمره، وعن منتهى أجله؛

(1) هكذا وردت في الأصل والصور: فكلناها.
(2) لايكوف، الاستعارات التي نحيا بها، ص 26.
لتحقيق الدنيا في عينه، وتخويفه من اقتراب يومه الموعد دون علمه. يقول:

شرف الدين الحلبي:

فكيف ينجو سفر مبلغه مسافة العمر سابقاً عجل
ويقول المرزوقي في شرح قول الشاعر:
رأيت أخا الدنيا وإن كان خافضاً أخا سفر يسرى به وهو لا يدري
مقيمين في دار نروح ونعتدي بلا أهبة الشاوي المقيم ولا السفر
رأيت صاحب الدنيا وإن كان متودعاً مقيماً، كمسافر يسار به وهو لا
يعلم؛ وذلك لأن له أجال يساق إليه، وهنتظرى من العمر يحل عليه، فأпалومنه
تأخذ منه، وتقتسم من عمره، فهو كالمسافر وقد انتوى نية فما يقطعه من
المسافة يقربه من مقصده، ويعجل وصوله إلى أهداؤه.

ويسافر الإنسان في الزمن أبا وبحراً؛ يقول ابن الساعاتي:
وكم ركبُ بِبيّم الليل في غضٍ وبدره غرة والصبح تحجيل
وتوصير العمر رحلة إلى مكان ما كثير عند العرب. حيث إن غاية ابن
آدم ونهايته الموت، ولا بد من انتهائه إليه وإن طال عمره. ومدة العمر سفر
إلى الآخرة. ولذلك دائماً يكون تخطيطنا حياتنا ومستقبلنا شببه بالتخطيط
لرحلة تستغرق مدة زمنية محددة. ويستخدم لفظ (المشي) في الزمن، (وقفط
المسافات) المكانية بحساب زمني. يقول أبو العلاء المعري:
تقلُّ جسوسنا أقدام سفر مشتَّ في ليل داجية ُ بوعبتٍ

(1) المرزوقي، شرح ديوان الجماسة، ت. أحمد أمين وعبد السلام هارون، (دار الجيل، 1411 هـ / 1991 م)، ط1، ص356.
قوله: "مشت في ليل" يجعلنا نتصور الزمن طريقاً نقطعه مشياً على أقدامنا، والتعبير عن الزمن كطريق أو مسافة كثير في اللغة العربية. ومن هذه التعبيرات:

يقول حسن القطفي:

وبادر هاتيك السفينة واغتنم سري الليل أو فاستغلم السير في الفجر

ويقول ابن المعتز:

يا رب ليلي قاسي، كأن علي قرا سرية بعيني، حتى رأيت الفجر

كأنها سناه أطراف عتي نسر

الليل في هذا التعبير طريق يسري في الإنسان. بدايته ظلام شديد قاسي، وفي آخره يبدو نور الفجر وضوء الصباح. فالزمن مكان ساكن، والإنسان هو الذي يتحرك في هذا الفضاء المكاني. التعبيرات الزمنية السابقة تمثل فيها الزمن طريقاً متدا متعد الأحداث فيه كالمعلم على الطريق. وتُحدد المسافات الزمنية من نقطة حدث محسوس إلى حدث آخر. ويقضي الزمن كما يطوي المسافات طريق السفر.

تعرّب عن الاتجاهات الفضائية الزمنية بالنسبة لفضاءات زمنية أخرى بつな مقيم: "قبل" و "بعد" و "قرب" و "بعيد" أو "قبل" و "بعد" للتعبير عن مسافة أقصر. يقول موسى الطالقاني:

واقور منهما بالوداع قبْيل ساعوات الرحي

ويكون وصف الزمن بالقرب والبعد مكانياً بالنسبة إلينا وحدود قريه. وبعدد حسب وجهة نظرنا؛ فيكون الزمان قريباً مثأ، أو بعيداً عننا. يقول
أحمد شوقي:

تُعَدُّ عَلَيْهِ الزَّمانَ القَريبَ، وَيُحَصَّى عَلَيْهِ الزَّمانَ البَعيد
وُرَتِب أجزاء الزمن في سلسلة معاقبة، وتحديد كل جزء زمني يكون بالنسبة
للأجزاء السابقة واللاحقة، يقول ابن حنبل: "أنه خصيف أن سأل سعيد
بن جبير عن العصر فقال يشرب يومه أو ليته ولا يطيب ولا يشرب ولا ي بأع
بعد يوم (1) وفي تحديد ثاني أيام النهر يقولون: "يوم القر (2)
وفي هذين المثالين نرى التعبير عن أجزاء الزمن كالتعبير عن تحديد
المكان؛ (اليوم) بعده (يوم) آخر، وكان اليوم مكان معلوم تمتثله في خريطة
ذهنية مقسمة إلى أيام يتتابع بعضها أثر بعض. روى أبو العباس عن ابن
الأعرابي:

وشهر مسألة بعد شهير، ويوم بعده يوم قريب (3)

(1) ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، الورع لابن حنبل، تج زينب القاروطن، (دار الكتب
العلمية، بيروت، 1403-1983، ج 1، ص 162).
(2) يوم القر: يعني الغد من يوم النهر؛ وإذا سمي يوم القر لأهل الموسم يوم الروعية وعرفة
واليوم نهر في تعب من الحج؛ فإذا كان الغد من يوم النهر قرأ ميمن، فلهذا سمي يوم القر. (ابن
صلام: القاسم أبو عبيد، غريب الحديث، ت. محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي،
بيروت، 1396هـ، ط 1، ج 2، ص 53).
(3) ابن دريد: محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، ت. رمزي منير بعلبكر، (1987م، ط 1) دار
العلم للعلمان، بيروت، ج 1، ص 125.
(4) الأزهر: أبو منصور، قذيب اللغة، تج. محمد عوض مرعب، (دار إحياء التراث العربي،
بيروت، 2001م، ط 1)، ج 5، ص 239.

45
ومياط الزمن نقاط على خط الزمن المتحرّل، ونحدد الوقت الذي
وقع فيه الحدث كما نخذه على طريق نعبره، فنقول "بعد العصر فعلت كذا" و"عند الفجر فعلت كذا" و"عند غروب الشمس" و"أجزت عملي قبل المساء" ونحسب قياس المسافات المكانية بالأيام، فنقول "مسيرة يوم أو يومين" و"مشيت ليلة بكاملها" و"المسافة بين البلدين خمسة أيام بلياليها".

يمكننا أن نتخيل امتداد الزمن مانا حسب السياق، أو من اسماء أجزاء الزمن؛ فتخيل امتداد السنة طرفا طويلاً، والثانية تنقضي في خطوات، والساعات في عدد من الأميال وهكذا… ويستغرق الحدث أو العمل الذي يقوم به مسافة زمنية لها نقطة انتهاء. نقاط انتهاء محددة على خط الزمن الذي نصوره كشريط القياس الذي تقصيه به المسافات. ويكون تحدد تلك المسافات باستخدام حروف الجبر التي تستخدم في تعداد المكان: (من وإلى) أو (من وحتى).

يقول الصفدي عن الحافظ السلفي في الواقي بالوفيات: "وكان جيد الصبّط، وخظه مأمون. ولّه أجزاء كبيرة يُقول في آخر كل منها - وهي أجزاء كبار - كتب جّمعها هذا الجزء في الليلة الفлагаية. وقال: أكتب إلى قبل الفجر ثم أتام. وكان كأنه شعلة نار في تحسين الحذيث".

عند تصويرنا للزمن اليومي في خط واحد، يصعب علينا تحدد نقطة البداية ونقطة النهاية. وفي الشكل (9) نلاحظ أن المدة الزمنية السابقة لساعات الفجر قليلة جداً، إذا كانت صورة الزمن اليومي ممثثة مثل الخط المستقيم تتوالي عليه ساعات اليوم. ولا توجي لنا هذه الصورة بالمدة الطويلة التي قضاها في

______________________________
(1) ج. ك.
الكتابة والتي تصورها من قراءة المقوله السابقة: "أكتب إلى قبيل الفجر ثم أنام"، إلا إذ مدنا سلسلة الأيام في شريط مستقيم، لتضح صورة امتداد ساعات الليل من اليوم السابق، أو أكملنا رسم امتداد خط الزمن بشكل دائري بدأ من حيث ينتهي كدورة الزمن اليومي في شكل الساعة. وفي المقالة لم يحدد نقطة البداية التي انطلق منها لفعل الكتابة والتي انتهت قبيل الفجر.

شكل (9)

<table>
<thead>
<tr>
<th>12</th>
<th>11</th>
<th>10</th>
<th>9</th>
<th>8</th>
<th>7</th>
<th>6</th>
<th>5</th>
<th>4</th>
<th>3</th>
<th>2</th>
<th>1</th>
</tr>
</thead>
</table>

ساعات الصباح

ساعات المساء

لكن لو تصورنا امتداد الزمن اليومي في شكل دائرة، ودورة الزمن اليومي تتكرر كل 24 ساعة (شكل 10)؛ يمكننا أن نتخيل مدى امتداد ساعات الكتابة خلال المساء إلى قبيل الفجر. وكأن الطريق الذي نقطعه خلال دورة الزمن اليومي هو طريق داعري؛ لا خط مستقيم.
 وإذا كانت صورة الزمن طريقاً يقطعه الإنسان في حياته؛ فإن لهذا الطريق معالم وملامح جغرافية؛ وذلك الملامح تمثل في نقاط زمنية لأحداث محددة، أو مواعيد معيّنة. وطريق الزمن ممتد لا متناو في امتداده، وفيما يلي أمثلة لتعبيرات زمنية يكون الزمن فيها طريقاً يسير الإنسان فيه، وعلى الطريق محطات معينة، يسير (قبلها) أو (بعدها) ويتجاوزها أو يتوقف (عندها). ويتم حساب المسافة فيه من نقطة ما إلى نقطة أخرى. وطريق الزمن يوصلنا من مكان إلى مكان، وامتداد طريق الزمن هو سلسلة متتابعة من الأحداث.

قال عمر بن عثمان بن شعبة: "رأيت في بعض الليالي في المان كان قابلا يقول لي: إذا كان غداً فأت مصلّ خولان فصلّ على وليّ لنا. قال: فخرجت قبل طلوع الفجر؛ خوف أن يفوتني، ثم قعدت إلى قريب من غروب الشمس." 1

هذه الرواية ترسم لنا خريطة جغرافية للطريق الزمني كالخرائط الجغرافية التي ترسم الفضاء المفتوح وتière معالمه ولامحه؛ وكان المتكلم في الرواية السابقة يصف طريقاً مراه. فهو خرج "قبل طلوع الفجر" ثم قعد "إلى قريب من غروب الشمس.

واستخدام ظرف المكان: (عند) في التعبير عن الزمن في مثل قول

_____________________

1 (الشبلي: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله، العالقة في ذكر الوقت، ج. خضير محمود خضير، دار الأقصي، الكويت، 1406هـ 1986م)، ص 160.
السجستاني: "ثم لم يزل ليله أجمع ما ينام، وما تناهما أمراته، حتى إذا كان
عند طلوع الفجر رجع أحدهم" (1); يعطيها صورة لمن يكون وقت
الفجر. وهذا المكان هو نقطة حدث ابتداء الفجر. وكان صورة حديث
(السهر) تتوالى على طريق يحسب أجزاء الزمن والأحداث تجري على هذا
الطريق. ومصادفة زمن الليل كان كله بدون نوم، حتى إذا وصل عن مكان
طلوع الفجر رجع أحدهم. وهنا يبدو مطلع الفجر مكانًا وليس زمانًا
متأخرًا؛ نستند له بالصور المكان.

ويقولون: "حتى مطلع الفجر" وذلك للتعبير عن الحد المكاني المتخيل
الذي تنتهي عنه المدة الزمنية المعلومة. ومثل ذلك قولهم في تحديد المكان
الذي تنتهي عنه تسع ذي الحجة وهي ذات النقطة الزمنية التي يبدأ فيها يوم
النهر: "وتسع من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النهر"

ومثل هذه الصورة في قول الجاحظ: "إذا يوالي الديك بين صاحبه
قُبِيل الفجر ثم مع الفجر إلى أن ينبعث النهر فيما بين الفجر وامتداد النهر
لا يحتاج الناس إلى الاستدلال بأن يصوت الديك. ولها في الأحساء أيضًا
بالليل الصباحة والصباحتان" (2) وقالهم: "من لدن طلوع الفجر إلى طلوع
الشمس.

ومر الأحداث في الأيام والليالي؛ يقول شهاب الدين العسقلاني: "

--------------------------
(1) السجستاني: سهل بن محمد، المعروون والوصايا، دار النعم عامر، (القاهرة، دار إحياء
الكتب العربية، 1961م)، ص 12.
(2) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن مهر، الخليبا، ت. عبد السلام هارون (دار الجليل، لبنان،
1414 هـ - 1996 م)، ج 2، ص 293.
فمرت في تلك الليالي للناس من النزه والبسط ما لا مزيد عليه مع الإعراض عن المنكرات لإعراض السلطان عنها "(1)"

ويتم تحديد المدة الزمنية كتحديد المسافة المكانية باستخدام الحرفين: (من وإلى) و (من وحتى). وتحديد امتداد المسافة الزمنية من نقطة زمنية معينة على خط الزمن إلى نقطة زمنية أخرى: يقول ابن قتيبة في تحديد المدة الزمنية المشروعة للصوم: "ووقت الصيام من لدن طلوع الفجر إلى وجبة الشمس" (2)

وهذه المسافة لها طول معلومات نقيسه بالساعة الزمنية وتستطيع أن نرسم تصور امتداد ساعات الإمساك في رمضان بهذه الصورة وهذا التحديد في الشكل (11)

(1) شكل

<table>
<thead>
<tr>
<th>12</th>
<th>11</th>
<th>10</th>
<th>9</th>
<th>8</th>
<th>7</th>
<th>6</th>
<th>5</th>
<th>4</th>
<th>3</th>
<th>2</th>
<th>1</th>
</tr>
</thead>
</table>

ويتم الجزء من الزمن مكانه بين أجزاء الزمن، ويتم وصف مكانه

(1) ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي السفلاني، إناء العمر بأبناء العمر في التاريخ، ت. محمد عبد العزيز (1986 - 1987 م)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص، 254.

(2) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، غريب الحديث لابن قتيبة، ت. عبد الله الجбриعي (1397 م)، ط1، مطبعة العالي، بغداد، ج1، ص120.
وتحديده كما نصف وتحديد المكان على طريق معرفة العالم. يقول جميل
صدقي:

فقطنا حوالي نعش ندب العلي ونبكيه طول الليل حتى بدا الفجر.

يحدد الشاعر هنا مكان حدث البقاء على امتداد طول مسافة الليل،
ثم تنتهي مسافة الحدث عند النقطة التي يتبدّى فيها الفجر ويظهر. يقول
الخليل في حديث مرضه: "والعشاء عند العامة بعد غروب الشمس من
لدن ذلك إلى أن يولي صدر الليل وبعض يقول إلى طول الفجر".

يقول الجبري في كتابه عجائب الأثار في وصف ليلة انتقال الشمس
لبرج الحمل وأول فصل الربيع: "وفي تلك الليلة هبت رياح شماليّة شرقيّة
هبوبيا شديدا مزعمجا واستمرت بطول الليل وفي آخر الليل قبل الفجر اشتد
هبوبيا ثم سكت عند شروق الشمس".

هذه المقوله تجعلنا تخيل اليوم والليلة طريق ذا خططات أو معالم محددة;
وامتداد حدث هبوب الريح الشديدة كان على طول امتداد الطريق الموسمي
بالليل، ولما أن بلغ آخر حدود الليل قبيل الفجر، اشتدت الريح أكثر،
واستمرت على شدتها حتى وصلت عند شروق الشمس. وبذلك تنتهي المدة
ال زمنية لهذا الحدث.

وفي حكاية ابن الأشعث يرد الزمن في بعد تشخيصي ثم في بعد

(1) الخليل بن أحمد، العيني، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال،
د.ت.), ج 2، ص 188.
(2) الجبري، عبد الرحمن بن حسن، جاهب الأثر، تاريخ عجائب الأثر في الراحم والأحيان,
(دار الجيل، بيروت، (د.ت.), ج 2، ص 553.

51
مكاني، حيث يكون في الأولى الزمن متحركاً وفي الثانية ساكناً. يقول ابن قتيبة عن الأشعث يوم قتله للحجاج، وقد كان الأشعث ينتصر يوم الأربعاء: "قلما رأى ابن الأشعث أنه لا يتقدم لقتاله، وأنه متروص ليوم الأربعاء، بعث رجلاً من مسركه؛ حتى ذا من معسكر الحجاج؛ فنزل قريباً منه على مقدار حضر الفرس (1) ورجاء أن يتحرش له أحد من مسرك الحجاج؛ فنشب القتال قبل يوم الأربعاء فارراً منه وتزيرا به" (2)

حينما يقول "متروص ليوم الأربعاء" ذلك يعني أن الزمن (المستقبل) متحرك قادم نحوه، وهو يتروص ويزور قدوته، ثم يحدد موقع الحدث زمنياً على خط الزمن وذلك "قبل يوم الأربعاء" في بعده مكاني محدد.

وفي قصة يتم تصوير الزمن فيها طريقة توقف فيه مجموعة من الناس عند عدد من المحطات الزمنية، ويتيم فيه حساب مسافة الطريق بالزمن. حكي عن قوم أنهم ضلوا في طريق الغرب "وقعوا إلى مدينة كثرة الماء والشجر والناس والمواشي والأنهار والزروع، فأصابوه وأكلوا عندهم، وأبادوه ونائمو، فلم أتيهم في دار فيها طاحونة يعمل فيها الخمر، فشرعوا معهم حتى سكروا وناموا، فلم أتينهم عند طلوع الشمس وجدوا أنفسهم في مدينة خراب ليس فيها أنيس ولا عمراء، فارتاعوا وخرجوا على وجههم كالبارين. وساروا يومهم عل

(1) أي على مسافة يقطعها الفرس سريعا حيث يراه من خلفه.
(2) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوريمي الإمام والسياسة، حل. المصور، (دار الكتب العلمية، بيروت 1418 / 1997 مه: ج 2، ص 21).
غير سمت حتى قرب المساء (1) فظهرت لهم مدينة أكبر من الأولى وأعمر 
وأكثر أهلاً ودواياً وغلا وشرجاً وزرعاً ومواشي، فأنسوا بها ونزلوا عنهم 
فأخبروها بخبر المدينة الأولى. فجعلوا يعجون من ذلك ويضحكون منهم، 
وإذا لبعض أهل المدينة وليمة فانطلقوا بهم إليها فأطاعموهم بها وسقواً 
وغنوهم بأصناف الملاهي وسألوهم عن أخبارهم فأخبروا أنهم ضلوا 
عن الطريق في بعض هذه الصحاري، فقالوا لهم الطريق بين أيديكم 
واضح ولا يمكن أن تغلطوا فيه فان أحييتهم المسير وجهنا معكم، من 
يوقكم على سمت الطريق الكبير الذي يؤديكم إلى مكانكم، وإن أحييتكم 
آن تقيموا عندنا أرفدناكم وزوجناكم عندنا وكنتم أصهارنا وإخوانا، 
فسروا بذلك من قولهم.

فأجمع بعضهم على المقام معهم وأجمع أكثر من كان منهم له أهل 
وولد على أن يأخذ أهله ولده فسير نحوهم قالوا فينا معهم خير مبيت، ثم 
غنا فلما كان في الغد اتبناه فوجدنا أنفسنا في مدينة عظيمة خراب قد تشعث 
بعض حصونها، وليس بها أحد من الناس إلا من حولها نخلا كثيرا قد تسبقت 
ثمها، وتكدس حولها.

فلحقنا لذلك من الخوف والارتباك والوحشة ما كاد يلتلفنا. فخرجنا منها 
مفكرين فيما عاناه، وإننا لنجد روايات الخمر معنا ومعاني السكر فينا 

---

(1) عبارة "قرب المساء" استخدمها العرب كثيراً في سرد الحكايات، انظر: المروزي: الأذكية، 
النوروي: نهاية الأدب في فنون الأدب، الإشباهي: المستطرف في كل فن مستطرف، 
الصفوري: تزه المخلص، الجبري: عجائب الآثار.
ظاهرة، فلم نزل نسيء يومًا أجمع، وليس لنا جوع ولا عطش، حتى إذا كان المساء وافينا راعياً يرعى غلوك، فسألناه عن العمارة والطريق، قال إن العمارة قريب منكم، فإذا غن بأنهار فيها الماء، فنزلنا وشرينا منها ويتنا ثم أصبحنا، فإذا غن في غير موضعنا الذي كنا فيه، وإذا معنا الناس والعمران، وما مشينا إلا بعض يوم حتى دخلنا مدينة الأشمون في الصعيد، فكنا نجد الناس فلا يقبلون منا.

نلاحظ أن تسلسل أحداث هذه الحكاية على رسم توضيحي لفضاء ذي ملامح بارزة تضفي فيه العلاقة بين العناصر الموجودة في الفضاء المرسوم، والمسافر يتحرك في هذا الفضاء الزمني ويوقف عند نقاط أو محطات زمنية معينة، وقد يقف ليلبث قليلاً في مساحة زمنية بجانب الطريق، ويمكن أن تتمثل هذا الطريق في الشكل (12):

شكل (12)

الإلفاظ التي تدلنا على محطات زمنية على طريق أو خط الزمن قوله: "عند" و"حتى" وقوله "ثم" في ترتيب الأحداث ما يجعلها متسلاة بالترتيب營

(1) المسعودي، أخبار الزمان، ج. ك.
على خط الزمن؛ وأجزاء الزمن أماكن متوازنة، بعضها يلي بعضها الآخر.
والله حين يقول: "فلما كان في الغد ابتناها" أعطانا صوراً لمساحة زمنية
جانبه احتوت حديث الانتباه من النوم؛ وذلك باستخدام حرف الجر "في".
وفي مثل هذه الصورة يقول أبو نواس:
فلما تزل في صباح السبت تأخذها والليل يجمعها حتى بُدا الأحذ
حتى بّدعت غرية النسيان واضحة والسعد معترض والطالب الأسد
وفي الثلاثاء أعملاً أطلي بها صهباء ما قرفتها بِالمراج بُد
والأربعاء كسرنا أحد سورها والكأس يضحك في تيجانيا الزبُد
نُبُم الحميس وصادناً بِليلته قصفناً وَنَمَّنا بِالجمعة السعده
وحكى أن رجلاً أتى ابن سيرين فقال رأيت كأن خاتمي انكسر فقال إن
صدقت رؤياك طلقت أمرأتك فلم يلبت إلا ثلاثة أيام حتى طلقها(1)
أحياناً لا نستخدم الألفاظ الدالة على الزمن في كلامنا عن الزمن
ونكتفي بتحديد الحدث الذي يحدث لنا نقطة زمنية معلومة على خط الزمن
مثل (عام الفيل) أو (عام الرمادة) أو (يوم بدر) أو (قبل أو بعد البعثة
النبوية) من ذلك قول ابن شهاب: "قال كان بين ليلة العقبة وبين هجرة

(1) لَيْث بِالمكان بيث البابا وثبث: أقام. وأنشد ابن الأعرابي: غراك مني شغفي وليفي، ولم
حوتك، مثل الحريث. معناه: أنه شيخ كبير، فأخبر أنه إذا مشى لم يلحق من ضفته، فهلهه
يتثبث. (ل ب ث: ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 183).
(2) ج.ك.
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "وَقُولِ ابْنِ عَاشُور: َوَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةِ نَزَّلَتْ فِي مَا بَينَ
سَاعَةِ الْبَيْتِ وَبَينَ انتِقَادِ الْهِدْنَةِ(1)".

ويعتبر العرب عن إحساسهم بسرعة الزمن بقولهم: "تقارب الزمن" وهو تصوير يحكى لنا تخيل أجزاء الزمن شديدة القرب من بعضها لذل،نجاح، بسرعة توالي الأحداث فيه، وقد ورد في الأثر أن ذلك من علامات انتهاء месяц واقتراب يوم القيامة: "إذا اقتربت الساعة تقارب الزمن فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجماعة كاحتراق السعفة". ونلاحظ في هذا الأثر أن (يوم الساعة) زمن متحرك نحونا في بعد تشخيصي، واقتراب قيام الساعة يجعل أجزاء الزمن تقارب في بُعد مكاني، حتى تصور مسافة امتداد السنة مساوية للكثير، ومسافة الشهر كالأسبوع، وسرعة حركة الأسبوع في اتجاهنا وانقضائه كسرعة احتراق سعفة في بُعد ثالث تجسدي،.

وتَعِبِير (تقارب الزمن) نجد في نص آخر مؤداه: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذا تقارب الزمن انتهى الموت خيار أمي كما ينتقي أحدكم خيار الرطب من الطبق(2).

وفي شرح معنى تقارب الزمن يقول أبو داود: "تقارب الزمن:

(1) ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التحرير والتوضيح، (دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م)، ج 26، ص 120.
(2) الرامهرمي: أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد، أمثال الحديث، تج. أحمد عبد الفتاح، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1409هـ)، ص 14، ص 126.
استواء الليل والنهار؛ وهو إن شاء الله معنى سدبد، والمعبرون يعسون أن أصدق الأزمان لوقوع التعبير وقت اتفاق الأنوار، ووقت ينع الثمار وإدراكها؛ وهم الوقتان يتقارب فيهما الزمان ويعتدل الليل والنهار. وفيه وجه آخر وهو أن يراد بتقارب الزمان قرب انتهاء أمده (1).

والتعبير بتبعد الزمان يعني عكس معنى تقارب الزمان؛ إذ يعسنا معنى البعد بطل مرور الأحداث. والشعور بطول أبد الزمن وامتداد مسافته، حيث تتباعد أجزائه بعضها عن بعض. والعرب تعبّر عن تباعد الزمان كما تعبّر عن تباعد المكان. يقول أسامة بن منذر:

فإن تعددت بنا أيام فرقتنا وكل ساعيت بعدي عنك أجال

ولتبعد زمن معلوم مرتبط يحدث معنى عن الزمن الحاضر يعبر العرب بقولهم "حين + إذ". يقول الخليل: "وحيئذ تعيد لقولك الآن، فإذا بإعودوا بين الوقت بإعودوا بإذ فقلوا: حينئذ" (1) "و" حينئذ" لتبعيد الزمن في المستقبل، أما لتبعيد الزمن في الماضي يقولون: "حينذاك" أو "أنذاك". والحين هو وقت من الزمان "تقول: حان أن يكون ذلك: يحين ؛ حينونه، وحيئذ الشيء ؛ جعلت له حينا. والتحيين: أن تحل الناقة في اليوم مرة واحدة;

تقول: حینها إذا جعل لها ذلك الوقت وهي محيئة قال:  

(1) الخليلي: أحمد بن محمد بن إبراهيم البسيسي، غريب الحديث، تح. عبد الكريم إبراهيم العريبي (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1402 هـ)، ج 1، ص 94.
(2) الخليل، ج 3، ص 300.

57
إذا أُقِيتُمّ "أَرْوَى" عِيَالِكُمْ أَفْنَتُم
إنْ حُيْتُ أَرْتِيَبُ عَلَى الْوَطْبِ جَبْنَتٌ"

والمنة المعلومة هي طريق معلوم، محدد البداية والنهيّة يقطعه الحدث
من بداية إلى منتهائه. وتعيين أن انقضاء الحدث قبل انتهاء المنعكس كما تعبّر عن
الشخص الذي يوقف في منتصف الطريق قبل أن يبلغ تماماً. ولو امتد الحدث
أكثر من الوقت المحدد تعبر عنه كشخص تجاوز حدود الطريق المرسى.
تقول
العرب في تحديد مدة حمل الناقة: "إذا ألقته قبل حين جاهماه قيل أعجلت
وفي معجل وحسن ماجيل، فإذا ألقته قبل جهان وقته قيل خرجت وهي
خادج وخدج والولد خديج، فإذا كان ذلك من عادتها فهي ناقة مخدهاء،
إذا ألقته وقد تمت أيامه وهو ناقص بعض خلقه فهو خادج وهي مخدهاء، فإذا

(1) الأنف: أن تحلب في كل وقت. لا يكون خالبها وقت معرفته. والأنف في غير هذا:
النقص، قال بعض الحكماء: البطة تأرن النفسة (الزاهر في معاني كلمات الناس، ج1،
ص 55) وفي لسان العرب: أن الناقة والشاة ين.vnها أنت: حلبة في غير حينها، وقيل: هو
استخراج جميع ما في ضرعها. وأفنت الإبل إذا حلت كل ما في ضرعها. وأنف الحالد إذا لم
يدع في الدفع شيئاً. والأنف: الحلب خلاف التحيين، وهو أن تحلبه أن شئت من غير وقت
معلوم قال المخيل: إذا أنت أروى عيالك أمها، وإن حيت ادر على الوطب حينها وقيل:
هو أن يحلبه في كل وقت. التحيين: أن تحلب كل يوم وليلة واحدة. قال أبو مصور:
ومن هذا قبل للأحق مأمون، كأنه نزعة عقله كله. وأفنت الناقة، بالكسر: قل لينها،
فهي فتنة مقصورة. وقيل: الأنف أن تحلب الناقة والشاة في غير وقت حلبة فيفسدها ذلك.

(2) قال أبو بكر: هذا الشاعر عاطب امرأته فقال: هذه الإبل إذا أنت أروى عيالك لنتها
إذا جبت، أي حلبت مرة واحدة الحينية أن تأكل في اليوم مرة واحدة والأصل في زاد على
الوطن لنها. (ابن دريد: محمد بن الحسن، جمهورة اللغه، رمزي نبر بلبيكي، دار العلم
للعلّميين، بيروت، 1987، ط1، ج3، ص 1357).

(3) الخليل، ج3، ص 420.

58
جاوزت الوقت الذي ضَرَّبت فيه قبل قد أدرجت
الزمن مساحة مكانية:

هكذا مكانتنا في الزمن كما نخذه في رسم توضيحي لفضاء مكاني له ملامح بارزة ونوضع العلاقة بين العناصر الموجودة في الفضاء المرسوم بالنسبة إلينا، وبالنسبة إلى العناصر الموجودة في هذا المكان.

يقول خليل مطران:
أُظْلَمْتُ فِي ذَلِكَ الْزَمَّانِ شَجَرَةٌ هِيَ الْآنّ أُضْحَكَت جَذَّةُ الشَّجَرَةِ الْبَنَيَّةِ
والزمن في هذه الصورة استراحة مكانية فيها شجرة ضخمة نضرة؛ استظل الشاعر بظلها. وذلك في وصف لزمن بعيد كان مسرحا لأحداث سعيدة وحياة جميلة مضت وانتقضت.

وفي أيات يتصور فيها الشاعر الليل بستانًا جميلًا؛ يتأمل السماء فيه، ويشعر بالنسيم يسري في أرجائه؛ يقول إبراهيم ناجي:

زُبَّ ليل قُدْ صُفاً الأفقُ بِهِ
وُسَرَى فِيهِ نُسِمَ عِشْقٌ
فَكَانَ الليلُ بُسْطَانُ عَطْر
وُلَنَّ هذِهِ الثَّرِيَّاتِ الغَرَر
سَحْبُ تُبْجُو إِلَى وَجْهِ الْقُمَّر
فَعَّرَا الأفقَ قَتَامًٍ وَبَذَّت
كَأَكْفِيَ شَرْهِمُنَا تَتَظَانِير
أَدْرَكَ الْعَالَمُ حَفْتُ بِالخَطْر

(1) ج. ك.
ودائماً نتصور الليل مكاناً تشرق فيه شمس الصباح؛ يقول ابن حمديس:
يا ليل هل لصباحي فيك إشراق فقد نفى النوم عن عيني إيراق
عساكر البقل نحو فيك زاحفة كأنها بُثت وسط البيت سقاق
وفي البيت الثاني يدرك الشاعر الليل مكاناً ينتشر فيه البعوض حوله؛
فيعبّر عن الليل بعد أن يناديته يقوله: "عساكر البقل نحو فيك زاحفة" وكأن
الليل فضاء مكانى مجلس فيه والبعوض منتشر من حوله ويزحف متجها إليه.
والزمن مكان محيط بنا من كل جانب، يقول محمد تيمور:
كأنه والليل محن حوله وفي ظلال الليل موت أكيد
ونعبر عن الزمان مثل المكان تماماً، نسمي كلا منهما (ظروف) لأن كلا
منهما وعاء للأحداث. نسمي ظروف الزمان والمكان بالمصطلح النحوي
مفعول فيه. وتكثر التعبيرات الزمنية التي تتضمن معنى الحرف (في)؛ لأن
أفعال البشر وأحداث الكون لا تكون إلا في مجال أو وعاء زمني. ويتعدد مثل
ذلك التعبير في كتب التاريخ التي تحرص على أن تحدد الوقت الذي وقع فيه
المحدث؛ مثل قولهم: "مات في عام كذا" و"انصردوا على العدو في شهر
رمضان". وهكذا. وعُمرُ كل إنسان إجمالاً ظرف؛ ف"العمر هو الظروف
الذي يوقع المكلف فيه الأفعال المرجوة له السعادة العظمى، المخلصة له من
الشقاوة العظمى وليس له ظرف يوقعها فيه إلا هو خاصة، فكل جزء منه إذا
فات من غير عمل لم يعد الموت، فقد فات على الإنسان فوائده ما لا سبيل
له استدراك بعينه ولا اغتراض مثله، لأن المثل الذي له إما هو زمان آخر،
وليس ذلك في مقدور الإنسان، والزمان المستقبل الذي يعيش فيه الإنسان
لم يكتسبه هو ليناسب إليه، فقيل: إنه حصله عوضاً ما انقضى وذهب من عمره، وإنما هو فعل غيره. ومع ذلك فهو معد مهنياً لأفعال من العبادة توقيع فيه. كما كان الجزء الماضي معداً لأفعال توقيع فيه، فليس أحدهما عوضاً عن الآخر ولا قائماً مقامه (1).

و عمر الإنسان مقسم إلى أعام، والأعوام مقسمة إلى شهور، والشهور إلى أيام، والأيام إلى ساعات، والساعات إلى دقائق، والدقائق إلى ثوان.

يقول أبو فراس الحمداني:

"ليّنكَ كُلٌّ يَوْمٌ صَمِيتُ فيهِ
ليّنكَ كُلٌّ لَيْلٌ قَمُتُ فيهِ
مُصَأَبَةً وَقُدُحُمَيْيَ الْمَغُبَّرِ
إِلَى أَنْ يَتَسَدِي الفَجْرُ المُنِيَّرُ"

وفي هذه البيتين تمتزج عدد من الصور الاستعارية التي ندرك بها الزمن. فالزمن يفعل كفعل البشر إذ (بيكي) وتخذ هنا بعداً تشخيصياً وسيأتي الحديث مفصلأ عن هذا البعد في الفصل الثاني. ونجد الزمن (مكاناً) وقع فيه الصيام نهاراً في البيت الأول، ثم القيام ليلاً في البيت الثاني. والليل في البيت الثاني مكان له مساحة محددة متعدد من أول الليل إلى بداية الفجر.

ويتكلم الجزري عن الأوقات التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم - المسلم أن يصلي فيها فيقول: "نهى عن الصلاة إذا صارت الشمس كالآثارب أي إذا تفرقت وقضت موضعاً دون موضع عند الليل" (2).

(1) النمطي: أبو حامد مؤذن بن هبة الله بن محمد، شرح فقه البلاغة، تج. محمد عبد الكريم.
(2) الجزري: أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تج. ظاهر أحمد الزاوي ومحمد محترم الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399 (1980 م)، ج 1، ص 154.

61
وقوله: "عند المغيب" يلتبس فيه الزمان بالمكان؛ وهنا قد نساء الفقول: هل يقصد بالمغيب المكان الذي تغيب فيه الشمس حيث اختفى شعاعها وتفرق؟ أو هو وقت النهى عندما تغرب الشمس قبل دخول وقت صلاة المغرب الذي يكون بعد مغيب الشمس؟ وتتحدث عن الزمان وكأنه مساحة مكانية تقع فيها الأحداث؛ يقول المقرزي في كتابه (السلوك): "وحدث في شوال بالناس نفق الدم؛ فكان الإنسان يعيش في بدنه بجرار، ويجد في نفسه غثياناً، يصق دماً، ويؤثر عقيبه، يتجه أهل الدار واحد بعد واحد؛ حتى يفدو جميعاً بعد ليلة أو ليلتين؛ فلم يبق أحد إلا وغلب على ظله أنه يموت بهذا الداء."(1) الفضاء الزمني للأحداث التي يرويها المقرزي هو شهر شوال الذي انتشر فيه ذلك الداء وبين موقع يوم اكتشاف أهل الدار المصابين بهذا الداء يوم فئاتهم مسافة زمنية تكون "بعد ليلة أو ليلتين".

حين يحدد المتكلم نقطة زمنية في تاريخ ما فإن التعبير بلفظ (قبل) يعني الماضي بالنسبة إليها، و التعبر بلفظ (بعد) يعني المستقبل بالنسبة إليها. وقد تكون كل تلك المواقع الزمنية جميعاً في (ال الماضي) إذا كان سياق الحديث عن الماضي، أو تكون كلها في (المستقبل) إذا كان سياق الحديث عن أمر يقع في المستقبل. وقول المقرزي: "بعد ليلة أو ليلتين" الماضي بالنسبة لنا، ومستقبل بالنسبة لزمن الحدث الذي يرويه.

(1) المقرزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، نجح: محمد عبد القادر عطا، (1418هـ - 1997م)، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 4، ص 86.
وعند تحديد موقع حدث زمني بدقة يبدو التعبير عن الزمن وكأنه
وصف طريق إلى مكان محدد على خريطة جغرافية أو (كرودي) نرسمه في
أذهاننا، يقول ابن زاكور:
في ستة عشرة تبت الألف مع ظل، يوم الحميس الذي في منتهى رجب،
الشاعر هنا يرسم لنا خريطة زمنية كالمكانية تماماً. هذه الخريطة لعام
1116 هـ (في هذا العام (شهر رجب)، وتحديد (يوم الحميس) الموجود
آخر رجب؛ ولأن شهر رجب يوجد به أكثر من خمسة حد مكان يوم
الخميس المقصود والذي يكون في منتهى الشهر.
ومن ذلك قول أبو يعلى في تاريخه: "ووردت الأخبار من ناحية مصر
في سنة 436 هـ بوفاة الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي وزير
المستنصر بالله في داره آخر نهار الأربعاء السادس من شهر رمضان")1

ولتحديد موقع الحدث الزمني على الخريطة التاريخية الزمنية تتجه
للإطار الأشغال للموقع الذي صار فيه الحدث: "في سنة 436 "، وتحديد
الزمن بصورة أدق يعي شهير: "من شهر رمضان"، وموقع الحدث في جزء
من هذه المدة الزمنية وتحديدا: "اليوم السادس"، ويحصر حد الوفاة في
مساحة زمنية أكثر ضيقاً وهي: "آخر النهار من يوم الأربعاء". والشكل رقم
(13) خريطة زمنية لتحديد موعد وفاة الوزير أبو القاسم علي بن أحمد كما
وردت في مقولته أبي يعلى. وكما هو ملاحظ فأن تحديد النقاط الزمنية

---

1) ابن البهلواني: حمزة بن أسد بن علي بن محمد، ذيل تاريخ دمشق، تع. سهيل زكار،
(3) 1430 هـ - 1983 م، ط 1، دار حسان للطباعة والنشر، ص 69.
للحدث على الحرية الزمنية لم تختلف عن الطريقة التي تُحدد بها موقعًا مكانًا ما على خريطة جغرافية مكانية. ونحن بالفعل نتخذ خرائط زمنية تحدد عليها مواعيدنا ونستخدمها لتنظيم أعمالنا.

شَكِّل (١٣)

<table>
<thead>
<tr>
<th></th>
<th>السـبت</th>
<th>الأحد</th>
<th>الاثنين</th>
<th>الثلاثاء</th>
<th>الأربعاء</th>
<th>الخميس</th>
<th>الجمعة</th>
<th>الجمعة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td></td>
<td></td>
<td>٣</td>
<td>٤</td>
<td>٥</td>
<td>٦</td>
<td>٧</td>
<td>٨</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>١٥</td>
<td>٩</td>
<td>١٠</td>
<td>١١</td>
<td>١٢</td>
<td>١٣</td>
<td>١٤</td>
<td>١٥</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>٢٢</td>
<td>١٦</td>
<td>١٧</td>
<td>١٨</td>
<td>١٩</td>
<td>٢٠</td>
<td>٢١</td>
<td>٢٢</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>٢٩</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

التعبير بالحرف (في) قبل الألفاظ الدالة على الزمن يُعطي نظرة موضحة:

كفضاء مكاني محسوس عامر بالأحداث أو الأشياء، يُقال: "أريعة تضيع، وذكر منها: سراج في نهار" (١) وفي هذه المقولات نشعر أن الظهير مكان، وقد وضع السراج فيه على ظرفية مكانية حقيقية.

وعلى استخدام حرف الوجر (في) قبل ألفاظ الزمن في اللغة العربية كثير، منه:

"والله لو تداعت علينا في صبح نهار لم تلتق في مسائه١(٢)"

(١) الأمسيكي: أبو القاسم الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء وممارسات الشعراء والبلاغاء، نح. عمر الطبايع (دار الأرقام، بروت، ١٩٧٠-١٩٩٩)، ج٢، ص٢٧٤.
(٢) القلقشني: أحمد بن علي بن أحمد الغزاري، صح الأعشي في صناعة الإنسان، تحقيق عبد القادر زكار، (وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١)، ج١، ص٢٩٣.

٦٤
"ولينكن على أكمل ما يكون من إزاحة الأذار والتأهب لحركتنا
الشريفة في ليل كان أو نهار" (1)

"ستة إحدى وتسعين وأربعمئة، في آخر جمادية الأولى منها ورد
الخبر بأن قومًا من أهل أنطاكية من حملة الأمير ياغي سيان من الزرادين
عملوا على أنطاكية وواطوا الافرنج على تسليها إليهم لاساءة تقدمت
مه في حقهم ومصادرتهم ووجدوا الفرصة في برج من أبراج البلد مما
يلي الجبل بدعوهم للافرنج واطعوهم إلى البلد منه في الليل وصاحوا عند
الفجر فانهزم ياغي سيان" (2)

يقول أبو محمد الأندلسي:
وزائر زار في ليل كلَّتته
"وكفنت عن وطء الأحجار بالأمس في سبيل الله بوطاء الديباج في
هذا اليوم" (3)

قال عبد الله بن نوح:
في الأمس كان جبباً من يسائله، ما بالله اليوم لم ينطق بيمنت قم

يقول أحمد شوقي:

______________________________

(1) السابق، ج 11، ص 169.
(2) الفلانسي، ص 80.
(3) النوري: شهر الدين أحمد بن عبد الوهاب، خاية الأرب في فنون الأدب، تيج، مفيد
قمحة وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م)، ج 32، ص 29.
تُعمَّرُ ما في اللَّيْالي جَدِيد

سُنْنُ تُعاَدُ وَدَهْرُ يُعيَد

يقول جمال الدين بن مطروح:
ليل الوصال كليلة القدر
يا صاحب مطلع الفجر
قد زارني في جنحها-Qamar
في فاحم الأجنان والشعر

وكانت وفاته - رحمه الله - في ثالث ساعة من نهار الجمعة أول

يوم من ذي الحجة(1)

قد ألبس الله برقوق المهابة في نهار الاثنين من نصر وتمكين(2)

وذلك في ظهيرة نهار الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة(3)

وفي سحر ليلة الجمعة سابع عشري ربيع الأول وصل ولده الظاهر

وفي آخر ذلك اليوم وصل مظفر الدين(4)

قال العماد: وفي ربيع الأول منها تولى القاضي محي الدين محمد بن الزكي قضاء دمشق، وفيها يوم الجمعة تاسع عشر رمضان كانت وفاة

(1) الأناكي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري، مورد اللطافة في مِن ونِي الدوَلِيَة والخلافة، ن.ب. محمد عبد العزيز أحمد (دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م)، ج، ص 268.
(2) السابق، ج 11، ص 169.
(3) الدمشقي: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، الوحي في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ن.ب. إبراهيم الزبيدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1948-1997م، ج 1، ص 262.
(4) السابق، ج 14، ص 121.
نقي الدين

قال حافظ إبراهيم:

"فَقِيقَتْ ثُمَّ أُغْرَقَتْ ثُمَّ بَادَتْ
وأخقم بها ثم تهيا وخرج منها ونازل طرابلس في مستهل شهر ربيع
الأول ونصب عليها المجاني وضايقها مضايقة شديدة إلى أن ملكها
بالسيف في الرابعة من نهار الثلاثاء رابع شهر ربيع الآخر"(

"وأما كان الملك الأشرف عاصرا لعكا استدعى الأمير حسام الدين
لاجين النصوري نائب الشام وهو الذي تسلطن بعد ذلك حسب ما
أتى ذكره والأمير ركن الدين بيرس في ليلة الاثنينثالث عشر
جمادي الأولى إلى المخيم وأمسكهما وقيدهما وجهزهما في بكرة
نهار الاثنين إلى قلعة صفـد"(

يقول إدريس السلولي:

من داـي ولا أبغي التقلد بالسيف
وما أنا مـن يعبد الله عـن حرف
يراعي ذمام السيف من شدة الخوف
ونعم الرقيق في الشتاء وفي الصيف

في الصيد في وقت الربيع ولا الصيف
وقبل انصداع الفجر يجلو ههجـدي
ولي قلم يبرى إذا هـاج غيظـه
ففي اكتسابي وافتخاري ورفعتي

يقول ابن حجاج:

(1) السابق، ج4، ص290.
(2) الأتابكي، ج7، ص221.
(3) السابق، ج8، ص99.
غير أنى أصبحت أضيع في القو
قال ابن زيدون:
يا حسن إشراق ساعات الدنيا بدأت
وكbla في ÿلأا بعيدها الجرث
وقال ابن سحمان:
سعد السعود بها من بين أنواع
وقد يكون الفضاء الزمني مكاناً يقصده الناس أو يدخلوا فيه. يقول
الغزالي أبو حامد في التحصين من الأعداء والسباع بقراءة القرآن: "إذا
قصده العدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ أية الكرسي وشهد الله والإخلاص
والمعوذتين"
وكان الليل والنهار في هذه المقوله مكان على الحقيقة يقصده العدو أو
السبع بالتعبير عنها بحرف الجر (في) ويقوله (قصد) يدل على أن الزمن المحدد
مستقبل من ليل أو نهار مكانه في الأمام؛ لذلك يقتدم نحو الإنسان أو
الحيوان ويقصده. يقول أبو الحسن بن شداد عن صلاح الدين: "وانتفع
قاصداً نحو بلاد العدو المذكور في نهار الجمعة سابع عشر ربيع الآخر وكان
أبداً يقصد بوقائعه الجمع سيما أوقات صلاة الجمعة تركاً بدعاء الخطباء على
المتارب، فرضاً كانت أقرب إلى الإجابة فصار في ذلك الوقت على تعبي
الحركة".

الحدث الذي يرويه ابن شداد "أن صلاح الدين اندفع قاصداً نحو بلاد

(1) الغزالي: أبو حامد إحياء علوم الدين، (مركز الأهرام، القاهرة، 1408 / 1988، ط 1)، ج 1،
ص 248.
العدو المخذول" وهذا الحدث كان في فضاء زمني هو (يوم الجمعة) سببه
بجرف (في) (في نهار الجمعة) وهنا تصور نهار الجمعة مساحة مكانية كانت
مسرحاً لهذا الحدث.
وفي تصوّر آخر لأيام الجمعة مستقبلاً يعترّ المؤرخ عنها بالفعل (يقصد).
وقد قصد بمعنى أتي للشيء واتجه نحوه، وذلك يجعل أيام الجمع وأوقات
الصلاة فيها في كالفضاء الممتد أمام صلاح الدين يأتي إليه ويتجه نحوه أو
يقضيه. وفي قوله: "فسار في ذلك الوقت يعمر من الزمن طريقة يسير عليه
ماشياً أو راكباً، وطريق الوقت المحدد هنا يعود على وقت مسار إليه سابق
على وجه التعبين. ولكن السير يحتاج تحديد نقطة انطلاق ونقطة نهاية، ولا
يكننا أن نتصور أن المسير في نقطة محددة واحدة، إلا إذا تصورنا الحدث
بكماله داخل تلك المساحة الزمنية، وبذل يكون المسير واقعاً فيه.
وقد يكون تصوّر الزمن مكاناً ومسرحاً للأحداث تقع فيه، دون
استخدام حرف الجر (في) يقول ابن شداد في كتابه النوادر السلطانية: "لم
تزل الناس حولهم حتى نزلوا ظهر نهار ذلك اليوم" (1)
وفعل النزول كان في فضاء زمني هو (ظهر نهار ذلك اليوم) وتصوره
ذهنياً كفعل النزول في الفضاء المكاني.
الفضاء الزمني كما الفضاء المكاني مخطّط وفيه مساحات لها حدود
وأطراف، وبين هذه الحدود مسافات معلومة تفصل بين مكان وآخر، يقول
أبو تمام:

_________________________

(1) ابن شداد: مهاء الدين أبو الخاسين،النوادر السلطانية والمحاسن اليسوفية،ت.م. ب.الإين
الشمال (دار الفكر العربي، دمشق 1964 م)، ص 149.149.
إن ترّ في طرفٍ نهار واحدٍ، ورأين هاجاً نوعة وبلابل.

"في طرف نهار واحد الصورة الذهنية للنهاية مكان ممتد ول طرفان؛

الطرف الأول في اتجاه الليل وطرف آخر باتجاه بكرة النهار أو أوله، وبإمكاننا

الآن أن نتخيل المخطط الذهني لصورة اليوم، ونستطيع رسمه بمخطط بسيط

كالشكل (14)."

<table>
<thead>
<tr>
<th>الفجر</th>
<th>الصبح</th>
<th>الضحى</th>
<th>الظهر</th>
<th>الظهر</th>
<th>الهجر</th>
<th>العصر</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المغرب</td>
<td>العشاء</td>
<td>العتمة</td>
<td>السحر</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

في هذا الشكل تبين لنا أجزاء اليوم على مساحة محسوبة، وفي أعلى

هذا الشكل طرف اليوم وأوله (الفجر) وفي آخره الطرف الثاني لليوم

وهو (السحر). والنهار له طرفان، الطرف الأول (الفجر) والطرف الثاني

(المغرب)، وهذه الطرفان أمر الله المسلمين فيها بالصلاة، قال تعالى: "اقم

70
صلاة طرف النهار وزلفا من الليل (1) وزلف جمع الزلفة، وهي الزلفى: القرية، وزلف من الليل طائفة من أوله (2) وأول الليل في الرسم التخطيطي لأجزاء اليوم هو وقت (العشاء).

وإلى الليل له طرفاً: (المغرب) و (السحر). يقول أبو بكر السيد في حديثه عن تعامل السادة قديما مع الرقيق: "ويبع السيد في تكليفه رقيقه ما يطيقه العادة في إراجته في وقت القيولوة والاستماع. وإن اعتدوا - أي السادة - الحديدة من الأروءاء نهارا مع طرفي الليل لطوله (3) ونلاحظ أن قوله: "في إراجته في وقت القيولوة" يعطينا صورة مكانية للوقت ومتسع للراحة، ثم مع امتداد مساحة الليل طولا فإن الأرقاء يخدونون سادتهم على طرفي الليل; (المغرب و السحر) والأسحار هي الأطراف، وأسحار الغلالة: أطرافها، وسحر كل شيء: طرفه، شبه بأسحار الليلي، وهي أطراف ماخيرة (4).

وفي مثل هذه التعبيرات تنصور الزمن مساحة مكانية لها حدود وأطراف، يقول ابن المبارك: "أقصى الصلاة طرف النهار وزلفا من الليل قال فطرفا النهار الفجر والظهر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء." (5)

_____________________

(1) سورة هود، آية 41.
(2) الخليل، ج 7، ص 386.
(3) الشافعي: محمد بن دوشي بن محمد الحوت اليوتي، أسبق المطالب في أحداث مختلفة المرابط، يحيى مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1418 هـ-1997 م، ط 1، ج 3، ص 450.
(4) ابن منظور، مادة: سن، ج 4، ص 50.
(5) المرزوقي: عبد الله بن المبارك بن واضح، الزهد، تح، حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتاب العلمية، بيروت، د لت، ج 1، ص 317.

71
يقول القلقشندي: "يبقى على مدى الأيام حكمها ولا يندرس على
الليل البصر" (1) والليل اليأيا ما يصل إليه البصر في المكان المتسع.
ويقول أيضاً: "فلا يتغير عقد هذا الصلاح الشريف على مدى الليالي والأيام ولا
ينقضي حكمه ولا ينحل إبرامه على توالي السنين والأعوام" (2).

يقول إبراهيم الأسود:
ولو كان فضل المرة يبقى خالداً لكنه يبقى خالداً
والزمن مساحة مكانية متسعة مترامية الأطراف كالصحراء الشاسعة،
ولا يوجد إلا كأسما أجزاء أجزاء هذه الصحراء المتسعة الممتدة. والتعبير عن
أجزاء الزمن بأنها موجودة في بعضها الأخرى تمتثل في قولهم مثل: "ليلة في
رمضان" و"آخر يوم في شهر رجب" و"ساعة في منتصف نهار الجمعة"، أو أن
يكون مكان جزء من أجزاء الزمن محدداً بين أجزاء الزمن الأخرى؛ ومن
ذلك:

- قول حافظ إبراهيم:
  أهْرَمَتْنِي يَا لَيْلٌ في شَرْخِ الصِّبا
  كَمَ فِي كَسَالِ سَاعَاتٍ تُشْبِبُ وَتُنْهَرْمُ
  "وَحُدَّثْناَ عَنْ مَالِكِ إِنَّهُ سَمِعَ أَهْلِ الْعَلَمِ لَا يَكْرُمُونَ السُّوَاكَ لِلصَّائِمِ
  في رَمَضَانٍ في سَاعَةٍ من سَاعَاتِ النَّهارِ لَا في أوَّلِهِ وَلَا في أَخْرِهِ" (3).

- يقول أبو بكر الخطي:

(1) القلقشندي، ج 12، ص 81.
(2) السابق، ج 14، ص 120.
(3) ج.ك.
يا أبيه أنتِي بألَّي الْقَصَرِ سُقِيَّتا لَكِ من بَينِ يَلِيَامِ الدُّهُرِ
وَكَمَا أَنَّ للْمَكَانِ حُدُودًا فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ ضيَّقاً وَقَدْ يَكُونُ مَتْسَا رَجِياً
وَالْتَعْبِير بِضَيِقِ الْوَقْتِ أو اتِسْعَاهُ كِثَّرٌ مِّنِّهِ
في ذكْرِ سَلَطَتُهِ الْمَلِكِ الْظاهِرِ أَبُو النُّصَرِ عَلَى مَصرِّ "تَسَلْطُنَ فِي أَخْرَ نَهْارِ السَّبْتِ" قَبْلِ الْغَرْبِ بَنَحْوَ دِرْجَتَنِ عَاَشِرُ شَهْرِ رُيَّعِ الأولِ إِثْنَتِينَ وَسَبْعِينَ وَثَمانِينَةً وَلَمْ يَرْكِبَ بِخَلْوَةِ السَّلَطَةِ بِلَضِيقِ الْوَقْتِ "(١)
"فَأَخْذَ السَّعَدُ بِيِدٍ فَجَعَلْتُي قَطِبًا لَّمْ يَصَلَّ الْدُوَّارَةِ العَلِيَّةِ فَضَاقَ وَقْتُي
عَنَّ الْوَرْسِ وَمَضَى ذَلِكَ الشَّغْفُ كَمَا مُضِى الأَمْسِ "(٢)
قال أبو العتاهية:
وَلِلَّحَوْاتِ سَاعَاتٌ مُضَرَّعةٌ فِيهِنَّ لِلْحَيِّنِ إِذَا وَإِقْصَاءٌ
كَلِّيْ يَتَّقَلُّ فِي ضَيْقٍ وَفَيْ سَعَةٍ وَلِلْزَّمَانِ بِهِ سُدُّ وَإِرْخَاءٌ
قال الشريف المرتضى:
لَا تَعْتُنِي بِالْزَّمَانِ مَعْرُفَةٍ فَضَارِقُ يَمِرْتُهُ وَقَدْ رَجَحَا
وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نَّتَلْبِي فَرْصَةً أَخْرَى لِتَكْرَارِ عَمْلِهِ مَا أَوْ عَمْلِهِ بِصُورَةِ أَبْطَأٍ
دُونَ تَوَتُّرِ فَإِنَّا نَتَلْبِي "مَسَاحةٍ كَافِيَةٍ مِّنَ الْوَقْتِ" وَيُقَالُ: "أَعْطِي طَفْلِكَ
مَسَاحةٍ كَافِيَةٍ مِّنَ وَقْتِكَ وَ"خَذ مَسَاحةٍ كَافِيَةٍ مِّنَ الْوَقْتِ لِلَّتِفَكِيرِ وَ"لَازَالَ
هَنَاكَ مَتَسَعِ مِّنَ الْوَقْتِ أو "حَتَّى تَجْدِ فَسَحةٍ مِّنَ الْوَقْتِ".

(١) الأُنْبَارِيَّ، ج٢ ص١٧٧.
(٢) الأَلْوَسِي، غرَبَلِ الْأَغْتَرَابِ، (جَ، كَ).
وفي خبر بعنوان "التربيه تلزم المدارس بتطبيق فسحة الحليب للطلاب" 
يقول: "اقطعت وزارة التربية والتعليم 10 دقائق من وقت وجود الطلاب 
داخل دورها التعليمية لإقناعهم بأهمية شرب الحليب وتناول التمر، وترتكز 
فكرة البرنامج على تخصيص فترات زمنية من وقت المدرسة لشرب الحليب 
وإكساب الطلاب معلومات عن فوائده. على أن تبدأ فسحة الحليب قبل 
نهاية الحصة الأولى بخمس دقائق وتتم في الفسحة التي تفصل الحصة 
الأولى عن الثانية بحيث يبلغ الوقت المقدر لفسحة الحليب 10 دقائق.


لاهم هنا أن تحديد المساحة الزمنية لفسحة الحليب للطلاب تطابق 
بإمكانا طريقة تحديد مساحة مكانية ما، ووضع المعالم على حدودها لتمييزها، 
وتحديد المساحة التي تتقاطع فيها المدة الزمنية المحددة من مدة زمنية أخرى.


بداية هذه الفسحة الزمنية (قبل نهاية الحصة الأولى بخمس دقائق) ثم تدمج 
مع الفسحة الزمنية بين الحصة الأولى والثانية، ويتهيي حد هذه المساحة 
الزمنية (عند بداية الحصة الأولى) وبذلك صارت مساحة هذه الفسحة (10 
دقائق).


والتعبير عن المساحة الزمنية واتساعها صار يشع بصورة أكبر مع 
تقنية الميديا الحديثة، إذ تظهر المساحة الزمنية بصورة فعلية حقيقية أمام 
المشاهد على شريط عرض الفيديو بشكل حسي مرتين، أو في صورة مرتين 
عند رفع الملفات على أحد مواقع الويب؛ وفي أحد المواقع نقرأ مثل هذا


(1) عايض: علي، صحفية المدينة، السبت 1432/10/3/2011، عدد: 170، 

74
الخبر الذي يقول: "رضخ موقع "يوتيوب" لمطالب مستخدميه، وقرر زيادة المساحة الزمنية المتاحة لتحميل أفلام الفيديو إلى 15 دقيقة بدلاً من 10 دقائق (1).

والزمن ميدان مكاني لأفعالنا، ولا يمكننا مطلقًا أن نتصور أي حدث أو فعل من أفعالنا من دون مساحة زمنية تحتويه. يقول الوزير المغربي:

الليلُ ميـَـٰـٰضان الـهـوى
والـكـأسُ مجموع الأـزب

وقد يحيط بنا الزمن من كل جانب؛ قال محمد تيمور:

كـأـنـهّ واللهـ مـن حـولـه
ويضمن آخر الليل السحر، وصورة السحر مستقاة من إدراك العربي للصحراء؛ يُقال "أسحار الفَلْاَة": أطرافها، وسَحُرُ كل شيء: طرفه، شبهه بأسحار الليالي "(2)"

إذا امتد الليل بالحبيب من الأفعال؛ صار الإحساس باتساع مساحة الليل بهيجا. وروعة الليل كروعة مكان ساحر تفيض في أرجائه الأحداث الجميلة كما يفيض الماء من أرجاء النهر؛ يقول علي محمود طه:

آو ما أروعها من ليلـة
فاضـ في أرجائها السحر وشـاعا

ويقول إسماعيل صبري:

يا يعمها من ساعه فيها جرى

حالة الحديث فجاء طبـق مراعي

http://oasis-askar.blogspot.com/2010/08/15.html (1)

(2) الأزهرى، ج4، ص2172. 75
والليلة التي تعتبر مكان خال مقفر منظمة الأرجاء، لا يمتنع فيه ولا يخفثه
للافتراء. يقول إبراهيم البازجي:
في ليلة لا يكُن للحلم مُنتَج (10)
ويقول الشريف الإدريسي:
وقت لا خوف إن الحي قد ركزوا والليل مخلوط الأرجاء مُنكر
وفي تسمية العرب لأجزاء الزمن في اليوم والليلة تصوَر مكاني مشتق
من البيئة الصحراوية التي يعيشون فيها، ومن إحساسهم بها؛ فالسحَر وهو
آخر الليل وطرفة، مثل سحر الوادي وطرفة والناهر من النهر؛ قال شمر:
والسابق لопредел كما قاله سحر، قال: وسحر الوادي: أعلاه (1)
قال ابن الأعرابي: "الأسحار واحدها سحر، قال: وسحر الوادي: أعلاه (1)
"وسمَّي النهر لأنه ينهر الأرض، أي يشقها. والمثل الذي ينهر بين بيوته
القوم يلقون فيها كنستهم. وجمع النهر أنهار ونهر...ومنه النهر انفتح
الظلمة عن الضياء ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس (2)
ويُحدد مواقع مكانية للمواقيت حسب المخطط الذهني الذي نتصوره
عنها وعن ترتيبها في أذهاننا حسب تجربتنا الحسية. يقول الخاتمي عن صفة
صلاة المغرب: "وهي حالة بين الجه، والإسرار مناسبة لوقتها؛ فإن وقتها

(1) المتنج: المنزل في طلب الكمال. (ن. ج ع) ابن منظور، ج 8، ص 347.
(2) الأزهر، قذيب اللغة، ج 4، ص 172.
(3) ابن فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، نج. عبد السلام
محمد هارون، (دار النشر، بيروت، 1420 = 1999، م 1322)، ج 5، ص 362.
وقت يبرزخي بين الليل والنهار ما هو ليل فيجهر ولا هو نهار فيسرّ
والبرزخ: "ما بين كل شئين" (١)
وهنا عَبر عن زمن المغرب مكانا يقوله: "بين"، والبين مكان يفارق بين شئين أو مكانين؛ وبذلك يتوسط المربع بين الليل والنهار، وذلك يبدو ظاهرا في الشكل المتخيّل السابق لأجزاء اليوم زمنيا.
وتقوم بتعيين حدود المدة الزمنية حتى يكتنا أن ندرك مدى امتدادها، يقول القرطبي عن تحديد وقت الصيام في نهار رمضان: "فأما الركن الأول الذي هو الزمان؛ فإنه ينقسم إلى قسمين: أحدهما زمان الوجوب؛ وهو شهر رمضان، والآخر زمان الإمساك عن المفطرات، وهو أيام هذا الشهر دون الليالي. ويتبع لكل واحد من هذين الزمانين مسائل وقواعد اختلافا فيها؛ فلتبعد ما يتعلق من ذلك بزمان الوجوب وأول ذلك في تحديد طرفي هذا الزمان" (٢).
وأما الأجناد فكثر قتلهم ويبعد كثر في ذلك في آخر نهار الأعدة يوم قتلوا الأمراء المذكورين بقبة النصر" (٣).
يقول شهاب الدين ابن العطار:

(١) الخليلي: محمي الدين بن علي بن محمد الطالبي، الفتوحات الملكية في معرفة الاسرار الملكية،
(دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤١٨ - ١٩٩٨، ص ١) ، ج١، ص٢٠٦.
(٢) الخليل، ج٤، ص٣٣٨.
(٣) ج.ك.
(٤) الأثابكي، ج١، ص٧٥.
٧٧
والشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها من أول إلى قريب من العتمة، وقيل: فعلته عند غيوبية الشفق، وهم شفقات من أول الليل كما أن الفجر فجراً من آخر الليل، والهبة ساعة يبقى من السحر، وقيل: ثلثاً بهبة من الليل. قال أبو نصر حكاية عن الأصمعي: الفجر أول ضوء ثراء من الشمس في آخر الليل كما أن الشفق آخر ضوء منها في أول الليل. وقيل: فجر الصبح يفجرا، أو فعلت هذا حين افجرا الصبح وانقلق. وسطع سطوعاً والساطع أسنى من الطالع. قال: أذلنا عند الفلك (1).

يقول الدمشقي عن صلاح الدين الأيوبي: "ونازل طبرية وزحف عليها فهجمتها وأخذها في ساعة من نهار" (2) وقوله هنا: "في ساعة من نهار" تتمثل لنا مرة في بعد تجسيدي، وكأن ساعة النهار وعاء في داخله مدينة طبرية أخذ صلاح الدين الأيوبي، ومرة تمثل لنا صورة ساعة النهار الزمنية مكاناً وقعت فيه معركة طبرية وقد عبر عن ذلك بحرف الجر (في) قبل قوله: "ساعة من نهار".

ويتمثل الزمن في أذهاننا مكان يحدث شيء فيه ابتداء، ويتمت إلى نقطة زمنية بعد ذلك، ويكون التعبير عن هذا الامتداد الزمني بحرف الجر (إلى) أو (حتى) لتفيدينا معنى الانتهاء للمكان المقصود. يقول ابن المجاور الدمشقي في تاريخ المستبصر: "إن أمير المؤمنين محمد الأمين ولي محمد بن زياد بن محمود بن

(1) المرزوقي: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، الأزمة وأمكنا، تبع خليل عمرو الديش، المنصور (دار الكتب العلمية، بيروت، 1996 م)، ص 133.
(2) الدمشقي، ج 3، ص 294.
منصور اليمن. فجاء محمد بن زيد إلى أرض الخصيب، فوجد قوما يقتلون
في كل يوم إلى ضحوة نهار ويفتركون، فدخل بينهم وأصلح بينهم. (1)
وحدث الاقتتال في هذه المقوله يتكرر في كل يوم، ويتمثل الزمن مكانا
متشابها ومكررا يحتوي حدث الاقتتال الذي لا ينتهي في كل فضاء ذلك
اليوم، وإنما هو محدود إلى وقت الضحى، وعير عن هذامعنى بقوله: "إلى
ضحوة نهار".
وكمما يعبر عن الزمن كمكان يحتوي الحدث ويقع فيه؛ بإمكاننا أيضا أن
تنقل من الفضاء الزمني أو تنتقل إليه. ويتفرع عن هذه الصورة بحرف الجر
(من) يقول الأعشى: "وطارق الليل فصر ما أتي به؛ ولو وجد خيرا لنام.
والبريد" (2) متى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه" (3)
وقد يمزج تمثل الزمن بين البعدين المكاني والتشخيصي على مستويين؛
إذ تكون الصورة الأولى ذات بعد تشخيصي، ثم ذات بعد مكاني بنفس
التصور الاستعاري. ومثل ذلك قول العرب: "سقى الله تلك الأيام" والدعاء
بالسياق يكون للبشر، وقد يكون للمكان أو الديار، وكثيرا ما يدعون للأيام
الحوالي بالسقيا.

(1) ج.ك.
(2) البريد (الرسول على ذواش البريد) والجمع بریدا. قال الزمخشري في الفائق: البريد كلمة
فارسية براد فيها في الأصل البلغ، وأصلها بردا دم أي مخزوف الذئب، لأن يقال البريد:
كانت معرفة الأذان، كالعثمانية لها، فأخرجت وخففت، ثم سمى الرسول الـذي يركب
بريدا، والمسافة التي بين السكينين بريدا (البريدي، ناج العروس، ج7، ص418).
(3) الفلكشندي، ج14، ص413.
"يقول ابن خفاجة:
سقياً ليوم قد أنتخت بسرحة ٓرِبٍّا تلاعبها الرياح فتلعب "(1)
والمشهور أن يقولوا: "سقاه الله" فإذا تذكروا أياً طابت لهم ؛ قالوا:
"سقاه الله تلك الأيام" وريما دعوا لديار الحروب بالسقيا ؛ كما قال طرفة:
فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديه تهمي (2)
ينقل الحموي في كتاب غمز عيون البصائر عن التعالي: "العرب
تستعرض في كلامها الماء لكل ما يحسن منظمه وموقعه، ويعظم قدره وضمه؛
فتقول: ماء الوجه، ماء الشباب، ماء الحياة، ماء النعم، وداء السيف.
كما تستعراض الاستسقاء في طلب الخير.. وغاية دعائهم للمرجو أو المشكور أن
يقولوا: "سقاه الله" فإذا تذكروا أياً طابت لهم قالوا: "سقاه الله تلك الأيام"(3)
ولو تأملنا الرواية التالية، لوجدنا أن الزمن مكان يحتوي الحدث والمكان
أيضا. يقول شهاب الدين النويري: "واعد إلى قلعة الجبل المحرسة في
منتصف نهار الأحد ثاني عشر صفر، فأقام بقلعة الجبل إلى يوم الخميس
صلح صفر، وتوجه في بكرة النهار إلى جهة القصور بسراياوس، ثم عدى
البحر إلى الجانب الغربي، وتوجه إلى جهة المنوفية، وتصيد هناك وعاد،

(1) التلمساني: أحمد بن محمد المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تج. إحسان
عباس، (دار صادر، بيروت، ١٣٨٨ هـ)، ج1، ص182.
(2) التعالي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، مثار القرون في المضاف والمسوب،
تح. محمد أبو الفضل إبراهيم،(دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م،ط1)، ص563.
(3) ج.ك.
فكان وصوله إلى قلعة الجبل في يوم الخميس السابع عشر ربيع الأول من السنة "(1)

قوله: "عاد إلى قلعة الجبل المحروسة في منتصف نهار الأحد" هنا حدث العودة إلى القلعة، ومكان قلعة الجبل المحروسة، وامتداد المسافة بين القلعة ومكان العودة، كلها احتواؤها فضاء زمني محدد هو منتصف نهار الأحد. ثم يقول: " فأقام بقلعة الجبل إلى يوم الخميس"، يبد الفضاء الزمني في بعد مكاني ليتمس أكثر وهى المكان المحسوس الموجود على الحقيقة (قلعة الجبل) التي أقام فيها. وامتداد المكان الذي حدثت فيه حركة التوجه نحو قصر سرياقوس موجود في "بكره النهار" فالذهن البشري في هذه الصورة يتمثل الزمن فضاء أوسع من المكان المحدود. وكأن الزمن مكان واسع الأرجاء في داخله مكان آخر، هو المكان المحسوس على الحقيقة.

الزمن مكانه فوقنا:

لأن الحركة الكونية التي تعلمنا بانقضاء الليل أوانبلاج النهار من طلوع الشمس وغروبها مكانها السماء فوق الإنسان. يكون التعبير عن الزمن أنه فوقنا تعبيرا واردا نتيجة هذا التصور. أو قد يكون مستمدا من تصوير سلطان الزمن علينا لذلك يتموقع في منزلة فوق أو أعلى. ومن الأمثلة على هذا التصور العلوي للزمن:

- يقول ابن حمديس:

(1) النوردي، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 33، ص 99، 109.
فأوزرها عين الليل سقُفُهَا

ويقول ابن زيدون:

ورتب ظلام ليل جن فوقه،

يقول الطغرائي:

فلم نزل تحت جن الليل في عمقه.

يقول ابن حمدي:

أمه ضاحي نازرة ماء العنبر

فأوزرها عين الليل سقُفُهَا.

ويقول ابن طباطب:

وتنوقف مثل الضمير قطعتها

يقول ابن الساعاتي:

معاني إلى قلب المعالي لذيذة كأرق تحت الليل ماء الوقائع

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يعتقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو تأم ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد".

قال سعيد دخلت المسجد وأنا أرى أنه قد أصبحت وإذا علي ليل طويل فإذا ليس فيه أحد غيري".
وقال شاعر:
نشرت غدائر فرعها لتظلني
حذر العيون من العيون الرمَق
فكانها وكأنها وكأنْتي
صباحان با Та تتح ليل مطبق(1)

ومن ذلك قول السيد الخميري:
بشيتي البَنْبِعْ عذب ذي أَشْر
تحت ليل ساقط أكنا فـه

وقول الحسني:
شَدْوا المِهَارِي بأَكوَار وأَحِداج
وأدْعوا تَحَتَ ليل أَليل داج

ويقول أبو نواس:
رأَت شخْصُ الزَّرْقِبِ عَلَى الْبَدِنِي
فاسِبَت الظَّلَامَ عَلَى الْضَّياء
وَظَْلَ المَاء يَجَفُّ فِوقَ مَاء
فَغَابَ الصَّحِيَّ منَاهِجَ تَحَتَ لِلْيَلِ
قد يتبدَّر للذهن أن تصور الزمن فوْقًا مَخْصُوصًا بالليل فقط؛
لا رابطِه بصورة الظلام كِفطاء فوق الأشياء يحيِّجها. ولكن تصور الزمن في
مكان فوق الإنسان يرد في كلام العرب عند تعبيرهم عن الليل أوَالنهار؛

ومن ذلك:

يقول ابن الرومي:
وَكَفَى الْحَقْوَد مُهَانَةً وَغَضَاضَةً
أَن لَـست تَلقَاء عَدُو جَهَار
لا يَبَدْ تَحَت كَلْ نِهَار

وقال عبد الكريم بن إبراهيم يصف قبة زجاجية في قصر الملك:

(1) ج.ك

٨٣
إذا تبَلَّج فَجَّرُ فَوَقَ زَرْقَيْهُ
فلاح في شارقي من مائه شرقي
أو لاَرْوَزُدا جَرَّبَ في مَتْنِه دَهَب
ليل يُمِدَّد أطناها على الأفق.

الزمن مكان يأوي إليه الإنسان:
يعبر العرب عن الزمن كالمكان الذي يأوي إليه الإنسان فينزل فيه، أو يبيت فيه، أو يأوي إليه، أو يقيم فيه. ويذكر التعبير عن الليل بأنه بيت، لأن الليل هو وقت البيت، والبيئة دخلت في الليل، تقول بت أصنع كذا إذا كان بالليل وبالنهار. ومن فسر بات على النوم فقد أخطأ، ألا ترى أنك تقول: بت أراعي النجوم؛ معناء بت أنظر إليها؛ فكيف نام وهو ينظر إليها.
وتقول: أباههم الله إبائة حسنة؛ ف إنها بيتونة صالحة.

ومن التعبيرات التي ورد فيها الزمن كالمكان الذي يأوي إليه الإنسان أو يجل فيه:

- يقول البحثري:
- وما هذه الأيام إلا منازل
- فمن منزل رحب ومن منزل ضنك

ويقول البرعي:

(1) ج.ك.
(2) العين، ج.8، ص.138.
(3) الشافعي: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله، تاريخ مدينة دمشق، ج.2، ص.198.

84
وبما يلي عموتي وأحتسي مقيمون في يالِ من الهمم سرغم
"لا سماة تظله ولا أرض تقله ولا ليل يؤويه ولا نهار يأتيه ولا ضياء
يظهره ولا ظلام يستره
(1)
قال أمين خير الله:
وبات أخو المعباء في الأمس خافًا من الأسر أو من رقعة داخل القبر
(2)
" حدثنا محمد بن جعفر... أن رجلاً من الصدر الأول حضره الموت؛
فجعل ي بك. فقال له: ما ي بك؟ فقال: أما وَلاَهَا ما أ بك على
شيء تركته بعدي إلا ثلاث خصال؛ ظامل الهاجرة في يوم بعيد ما بين
الطرفين، أو ليلة اعتها فيها... أو غدوة وروحة في سبيل الله عز
وجل.
(3)
" وحدث سليمان ابن عباس السعدي قال: كان كثير يلقى حاج أهل
المدينة بقديم على ست مراحل، ففعل عامًا من الأعوام غير يومهم
الذي نزلوا فيه، فوقف حتى ارتفع النهار، فركب جمالًا في يوم
صاحب
(4)
يقول ابن السيد البطليوس:
فلله يلَّقّب فيه كأنني بورة اعتها المها وأصبها
(5)
قال ابن حمدي:
---------------------------
(1) ج. ك
(2) ج. ك
(3) ج. ك
(4) ج. ك
(5) ج. ك
85
حَلُلَتُ بِئْرِيَنْي إِذْ رَحَّلْتُ عَنِ الأَنْسِ، وَبَيْنَتْ وَلَا أَعِيُّلٌ جَاوَادٍ وَلَا عَنْسٍ

يَقُولُ ابنُ الرَّوْمِيِّ:
كَمْ لِيْلَةٌ نَصِبَّتْ مَسَاؤُها قَدْ بَثَّتْ فِي هَا بِالسُّهْاِ وَ كَحِيْلاً

"فَقَالَ يَزِيدُ: اللَّهُ أَعْلَمَ مِنْ هُوَ تأَتَّهُ فِي تَيْهِ النِّجَالَ، مَسَّرُكَ بِالمَلِك
المُتَعَالِ، الَّذِي لا سُمَاءَ نَظْلُهُ، وَلا أرْضَ نَقُلُهُ، وَلا لِيْلَ يُؤْوِيهُا"1)

الزَّمَنِ مَكَانٌ تُخْفَى فِيهِ الأَشْيَاءُ:
نَعْرُ عَنِ الزَّمَنِ كَالْمَكَانِ الَّذِي نَسْتَوَدُّ فِيهِ مَا مَتْلُكَ مِنْ ذَكْرَتِي سَيِّتَ أو
حَسْنَةَ، وَمَرْوُرُ الأَيَامِ وَذَهَابُهَا يَطْوِيُ فِي دَاخِلِهَا عَدْدًا كَبِيرًا مِنْ الذَّكْرَاتِ
وَالأَحَدَاثِ، قَدْ نِرْغِبُ فِي إِسْتِرْجَاعِهَا أَوْ نَرْجُو وَنَأْتِمُ أَنْ يَخْفَى عَنَّا دُونَ ان
نَسْتَرِجُعُهَا وَنَتَذَكَّرُهَا.

يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ الطَّيْضِرِيُّ:
هُنَالِكَ تَبَلَّوْ كَلِّ نَفْسٍ مَقَاهُا وَمَا أَوْدِعَهُ فِي الْلِّيْلَيْنِ الذَّوَاهِب
وَأَوْدِعَ الثَّوْبَ وَوَدْعَهُ: صَانَهُ. قَالَ الْأَزْهَريُّ: وَالْتَوَدِّعُ أَنْ تَوَدَّعَ ثَوَابَاً فِي
صَوْانِ لا يَصِلُّ إِلَيْهِ غَبَارٌ وَلا رَيْحٌ.1)

وَفِي صُوْرَةٍ أُخَرَ يُتَنََّى الشَّأْعِرُ أَنْ يَخْيَثُ هُوَ فِي الزَّمَنِ عَنْ أَعْينِ
nَالْنََاَسِ؛ يَقُولُ أَمْيِنُ تَقِيٌّ الْدِّينُ:
وَأَرِنِي فِي النِّهَارِ عَنْ أَعْيُنِ النََّاسِ فَإِنِّي خَدِينُ اللَّيْلَيْنِ الْمُسْوَدَةَ

(1) ج. ك.
(2) ابن منظور، لسان العرب، ج.8، ص.382.

86
ويقول شاعر:

"إن اختفت ما في الزمان الآتي فقس على الماضي من الأوقات (1)"

وهنا الشاعر يصف مثلما يصف الشخص القادرة على الحركة والإيثان أو المجيء. ويبدو الزمن في بُعد تشخيصي وفي ذات الوقت هو مكان تحتفي الأشياء فيه. ومجيء الزمن ليس كمجيء الإنسان لأنه كالصندوق المليء الأسرار التي تجهلها فيما تستقبله من القادم من الأيام.

الزمن مكان تقع (عليه) الأحداث:

تصوير الزمن أنه مكان تقع (عليه) الأحداث كثير في التعبيرات اللغوية الحديثة، ويرتبط تصوير الزمن بهذه الصورة مع الألفاظ التي تدل على الساعة أو أجزائها التي يقاس بها الزمن:

" تسشرف الجمعية التونسية: المعالم والمواقع ومكتبة مدينة تونس (دار ابن عاشور) بدعوكم لمحاضرة يقدمها السيد علي العلوي، عنوانها فقه العمارة، وذلك يوم الجمعة 28 ديسمبر 2007 على الساعة الرابعة بعد الزوال يُبّكر مكتبة مدينة تونس (2)

- البرامج تُبث على مدار الساعة"
- "تشاهدون مبارة كرة القدم بين الجزائر المغرب في 27 مارس المقبل، على الساعة التاسعة ليلا ملعب عناية (3)"

http://www.sites-tunisie.org.tn/ar/actualites.php
http://www.echoroukonline.com/ara/sports/19458.html

87

(1) ابن عربشاه، عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 51
(2)
ولكن شيوخ هذه الظاهرة في التصويرات الحديثة لا يعني خلو
الاستعمالات العربية القديمة منها. ف잠템ًا يقول الشاعر:
يُفقِنَ المَلْدُوكَ وَيَبْقِيُ الْبَرْدُ في شَرْفِ على مَدِی الْذِّهْرِ في عَزِّ وَفِي عَظِمٍ
ومن تعبيرهم (هو مني على مدى البصر) ندرك هذه الخاصية المكانية
المعطاة للذهن. ويقول ابن القيم:
تَبْغي الطعام على مدى الأزمان
فتعود هانيك البطون ضوامرا
وتسمع هذه الخاصية المكانية لتجلب قطعة من الزمن تأتي فوق قطعة
أخرى: يقول صفي الدين الحلي مثلاً:
يَقَوْلُ وَقَدْ لَاتْ فِي خَلْوِهِ مِدَادًا حَكِيِّ الْلَّيْلِ فَوَقَ الْنَهَارِ
ويجعل المعري قضاء الحياة ركوباً يقع (فوق) كاهل الليالي:
رَكِبْنا فَوَقَ أَكْتَائِدِ الْلَّيْلِي
فُواها ما أَحْبَكَ مِنْ قِلاصٍ

خلاصة:

نتيجة لما سبق من تحليل لتصوير العربي للذمن في بعده المكاني يتبين أن
هناك خطط للذمن: خط ذاتي خاص بكل إنسان بدأ بميلوده ويتهي بوفاته;
ونعير عن هذا الزمن مكاناً بقولاته من نوع: "في آخر أيام حياته" و"في
بداية طفولته" و"في منتصف الستينات" و"بلغ من العمر خمسين عاما" و"قبل
أن يبلغ الرشد" و"بعد بلوغه الأربعين".

وخط زمني آخر تسلسل عليه أحداث التاريخ بدأ من بداية المعرفة
الإنسانية وغير معلوم النهاية. وقد ندرك خط الزمن الذاتي في شكل خط
دائر يبدأ منذ ولادتنا ليعود مرة أخرى عند نفس النقطة التي تسبق

88
وجودنا؛ فما تكون حياة كل فرد من البشر إلا طريقةً دائريةً يبدأ من حيث
انتهى، ودورة الأيام أيضاً تبدأ من حيث انتهت. وكل دوائر الزمن هذه على
خط الزمن الأرضي أو الكوني الذي يحل مبتدأه ومتنهاه.
ورأينا في هذا الفصل كيف ارتبطت مرجعية الزمن في بعدها المكاني
بمحورنا الذاتية حينا وحركة الزمن حينا آخر؛ فالزمن يمتد خطياً كطريق نتقدم
من فيه نحو المستقبل، ويكون الماضي فيه من خلفنا أو وراءنا، والحاضر هو
النقطة التي توجد فيها. ثم نجد الزمن يمتد بنا كطريق نقطعه مسرين أو
متباطئين وتوقف عند محطات أو موافقت معينة، ونأوياً فيه إلى أماكن
أخرى. وفي ذات الوقت الذي نتحرك فيه نشأ على طريق الزمن يتدفق
الزمن باتجاهنا ويجري المستقبل متجهاً نحونا ويتخلل حاضرنا ثم يتجاوزنا
مبعداً من وراءنا ليصير ماضياً من خلفنا. وتحديد المدة الزمنية يكون من نقطة
معينة على هذا الخط إلى نقطة أخرى على ذات الخط الممتدة بلا بداية أو نهاية.
وتظهر للعين معالم مهمة على هذا الطريق هي أهم الأحداث الكونية التي
حدثت للإنسان من بداية التاريخ. ثم يمتد الزمن مساحة مكانية تحتوي
الأحداث حيث تقع فيها أو عليها أو عندها، ويذهب الإنسان إليها، ويتم
تحديدها كما تحدد المواقع المكانية على الخرائط الجغرافية.

وقد يمتد الزمن من فوق الإنسان ويكون له سقفه يظله، أو مكاناً بييت
فيه ويشبه وياتو إلى إله. ورأينا كيف عبر العرب عن قرب الزمان وبعده
بالنسبة إليه، وقرب الزمن وبعده بالنسبة إلى أجزائه بعضها من بعض.
وكيف يضيق الزمن ويتسع كالمكان حسب إحساسه به.

إجمالاً عالج هذا الفصل التعابير اللغوية التي اعتمدت على بعـد
إدراكي مكاني، وكانت متمثلة في صورة خط الزمن (الحاضر، الماضي)

89
المستقبل) حيث الحاضر مركز ووجودنا، والمستقبل أمامنا، والماضي ممن خلفنا. ثم يعتقد الزمن طريقا أمامنا نقطعه كالمسافرين. ويتخذ الزمن مساحة محددة فيكون مكانا تقع فيه الأحداث أو عليه، أو وعاء تخفى فيه الأشياء.
الفصل الثاني: الابد التشخيصي

- يد الزمن
- الزمن يسمع وينطق
- الزمن سلطة حاكمة
- للزمن سلوك وأخلاق البشر
- الزمن قاتل
- الزمن دوّار محارب
- الزمن جليس الإنسان
- حركة الزمن
- الزمن آلية
- خلاصة

- مدخل
- الزمن امرأة
- الزمن له مثل دورة حياة الإنسان
- الزمن يتنفس
- الزمن له صفات أجساد البشر
- الزمن له رأس
- الزمن له وجه
- الزمن له عيان
- الزمن له ظهر
- الزمن له منكب
يستخدم العربي مفهوم (الشخص) في بناء مفهوم (الزمن) ولهذا يتم بناء مفهوم الزمن (المجال/الهدف) من خلال تصويره بفعالية (the target) وعلاقات مستمدة من مجال الأشخاص (المجال/ المصدر) في ظهر الزمن في اللغة العربية بصفات البشر، فالزمن يأتي ويعي، يعيش ويتغلب، ويمتد ويعمل. وللزمن رأس وجه وبذور وقدم. يأكل، ويشرب، يغضب ويضجع. يبدو حليماً في بعض تصرفاته، وسرير الفتاك في بعضها الآخر. يتسلح وقتاً، ويفضح ويكشف، يتذكر وينسي، يتأذى ويأتي، ويفعل أفعال البشر. ويتسلح بالخيال واللغز والخادع والإجرام وتكدير العيش وتبني النكذ والغم، وأحياناً يكون كريعاً صادقاً رحيماً، وله قدرات هائلة تتجاوز قدرات البشر.

والليل يغير كالجيش ليضفي ضوء الصباح. وللزمن كثير من صفات المرأة؛ فالألقاب عتب وتدل أوهجها. وقد يتحلى الزمن بملاء النساء. وإذا تزرت الدنيا وطاب العيش فيها صارت كمرأة جميلة تسرع عن وجهها الصبح، ولا بد للإنسان أن يترقب غدرها لأنها امرأة سوء لابد أن تريك منها ما يسوىك.

وقد يدور حوار بين الزمن والإنسان؛ يشبه همومه ويستنك إليه، أو يشتكي منه. ويرجع أن يطول أمده حينما كان سعيداً، وأن يقضي ويعضي بسرعة حينما يكون الإنسان تعيساً، أو يعاني مرارة الانتظار والترقب.

وقد عمدت في هذا الفصل أن أبدأ بشخص الزمن في صورة المرأة. وقد كنت أرجأتها للتحليل آخر الفصل؛ لأن الزمن ظهر في كلام العرب بكل
صور الإنسان منذ كان جيننا في رحم الزمن وحتى يشيخ ويشيب رأسه؛
ولكي ندرس صور تشخيص ميلاد الزمن لابد أن نبدأ بالمرأة؛ إذ تبدأ حياة
الجنين في رحمها، كما يتخلى الصباح جيننا في رحم الليالي ليتمضى لنا
بالأيام. لذلك سأبدأ بالزمن امرأة تحمل في رحمها الأيام. وكل شهر تتم
ولادته ميلاد قمر جديد. وتستمر الحياة مادام رحم المرأة منجباً للأيام.

الزمن امرأة:

يصور العرب في كلامهم الزمن امرأة جميلة المظهر سيدة المخبر؛ هي
أم، ومرضع، وفتوة صيحة الوجه فالنوبة الجمال، فوجهة نهار يتخذ من
ليلةنقابا إذا حل الظلام. يجتمع في الزمن الخير ظاهرا والشر باتنا؛ فهو
امرأة تحلم ولا يتمضى حملها إلا عن المصائب والكوارث. وهي عقيم عين
إجاب أي فضيلة. والزمن (أم) بناتها (الأيام) والمصائب. واستمرار هذه
الأم لإجاب الأيام يعني استمرار الحياة للإنسان، ولو انتهت عن إجابهم
انتهت حياة الإنسان بانهاءهن؛ لذلك نرى اجتماع التنقيض في صورة الزمن
المرأة (الخير والشر) معا. ولادة الأيام تعني استمرار الحياة، ثم وفاة القمر
رأس كل شهر، ومعرفة حساب كل ما هو متعلق بحياة الإنسان مرتبط بها.
ولكن ما يغيض الإنسان ماتعمله هذه الأثنى في بطنها من مصاب وما
تتمضى به الأيام من كوارث، و "الليالي حبلى، ليس يدري ما تلد"(1).

يقول عطاء بن يعقوب الغزنوي:

(1) ج.ك.
الليل حبلى والعجاب جمة. ولطيف صنع الله ما لا يحسب.
ويقول لسان الدين ابن الخطيب: "حرب لم ينسج على منوالها، ولا أنت الليالي الخيالي بمثل أجنة أهوالها"، ويقال: "متخصت المرأة؛ وتخصت ضربها الطلقة. وتخصز الزمان: جاء بالفتنة".
وإذا كان أحد الأيام سيئًا فإن أم السوء هي الليلة السابعة؛ وقد تمتخصت وولدته فجأء مشابها لأمه تقول العرب: "وتمتخصت هذه الليلة عن صباح سوء".

الزمن المرأة ليست أما للزمن فقط؛ بل هي أم للبشر وللأيام والليالي.
ولابد أن تكون منجية للخير والشر؛ لأن الناس منهم الخبرون ومنهم الأشرار. ويجتمع بين الأصحاب من العمر الواحد صلة الرحم التي تربطهم بعدد الليلي التي مرت عليهم؛ وكأنهم توأم ولدوا معا. يقول بديع الزمان البهذائي مصورا الزمن أما تُرضع البشر وتكون رابطة نسب بينهم:
أخي العشرين أنت من المعالي
بمنزلة الحسام من القراب
تراضعنا معاً أئدي الليالي
وذلك بيننا رحم انساب(6).

(1) ج. ك.
(2) ج. ك.
(3) ج. ك.
(4) ج. ك.
(5) ج. ك.
يقول أبو العلاء المعري:

"آلا إنها الأيام أبناء واحد،
وهي الليالي كلها أخواتٌ
والليل والأيام قابلة للتأنيث والتذكير في كلام العرب.
والله أحد الأيام، وأحد الأنهار يوم.
والله يقول: "والأيام ضرatha للليل. يقولون اليوم والليلة;
والله يطلق اليوم على الأنهار والأيام الواحد.
والله أم حبيرة تلد الكرام من الناس، يقول ابن المخلص:
وقد ولد النهار الكرام فأنجبها.

يقول الحنفي واصفا صورة النهار امرأة ترضع بنيها من وقائع الأيام:
ومفصليها من فظى الذرة والأحباب، ويلاء الجسد وذهاب الصحة: "ولهذا
يقال: إن العشQString( 1 ) XII أجمل عقولٍ من الأشبال.
وقيل: من بيّست الحوادث سواه:
له، وأخلقت التجارب لباس جذبه، وأرضعه النهار من وقائع الأيام.

إخلاف ذريته"."

ومن صور ميلاد الأيام من رحم الليالي، يقول البخاري:
بومَ تَدْرَعُ جَوُهَرُ بَغَيْوِمَه– في العزالي كي تجرد بابتها
وتفجّرُ في السحاب وَحَلَّتُ
وتجاويت في الرعود وسللت
قضبُ البروق تلودُ في أرجاتها
فاليوم المُصدِّق في احشائها.

(1) ج.ك
(2) ج.ك
(3) ج.ك
(4) النيفاشي، ص. 280
في أيات البخرازي صورة مشهد لموت جنين في بطن أمها؛ مات في أحسائها قبل أن يولد. واليوم الجديد يعلن عن بداية حياة جديدة؛ ولكن ذلك اليوم تدرّع بالغيوم فما ظهر ضوء الشمس. وصار لون الأفق أسود. حتى صار النهار وكأنه ليل. فما طلع الصباح، ولا استفتح الناس بداية يوم جديد، لأن صبح ذلك اليوم كان ليلا، والغيوم حجبت كل ضوء الشمس.

وبدأ كان نهار ذلك اليوم جنيناً مات في أحساء أمها التي هي الليله الفائته.

وتظهر على الزمن الصفات الأدبية الشكلية في بعض التعبيرات; يقول التعايب في نعت الأيام الشتوية، وذكر الليل والنهار ووصف أوقاتها واختلاف أحوالهما: "يوم كان الأرض شابث لهوله. يوم فضي الجلباب، مسكي النقاب. يوم عبوس قمطرير، كشر عن ناب الزهير، وفرش الأرض بالفوارير. يوم أخذت الشيا رزماه، وكساء الصر ثياه."

وصف التعايب ذلك اليوم كامرأة منتقتة بالبياض وترتدي جلبابا أبيض؛ وذلك هي صفات الأرض حين الشتاء حيث يغطيها بياض الثلج. ولكن هذا اليوم ليس صورة جامدة ملونة فقط؛ بل هو مشهد متحرك تداخل فيه صورتا (الأرض و المرأة). ووصفّ اليوم بالعبوس القمطرر شائع عند العرب. وقد اقطر يوم قمطرر اقطرارا، وذلك أشد الأيام وأطوله في البلاء والشدة، ومنه قول بعضهم:

بئني عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قمطرر قال بعضهم هو أن يعبس أحدهم فيقبض بين عينيه حتى يسيل من بين...

(1) ج.ك

97
عينيه مثل القطران
والصوره في تعبير التعاليمي صورة بشعة جدا عابسة مكشرة عن أنبوب من زمهرير والزمهرير شدة البرد. ورحل مزهرير الوجه أي كالموجه.
وعضة فازمرة عيناه أحدها. ونرى أن سمات العذاب واللون الأحمر مجتمعة في معنى لفظ (زهرير) الذي هو البرد الشديد في جهنم حيث العذاب المقيم. كما أن اللون الأحمر مرتبط بالموت والفتاك إذ هو لون الدم.
ولنا أن نتخيل هذه المرأة مرتديا جلبابا من جليد فضي اللون. كانت نقابها عن وجه عبوس قطرير، مكشة عن أنبوب حمراء تبشر بالعذاب والبلاك.
وريح الشمال السريع الباردة أخذة يزمامها تقودها وتوجهها.
قيل في وصف أبي على الحسن بن تداررت: "درة تحل بها الدهر العاطل، وعدة أجزها للزمان الماطل، وغرة أطلها العصر البهيم، وفائدة أنجبها الدهر العقيم".
و العاطل من النساء التي ليس في عنقها حلي. والدهر هو تلك المرأة التي قد اتخذت من أبي علي الحسن بن تداررت دفة تزينتها بها في عنقها. وقد أعجبت أبا علي وهي عقيم؛ ومعنى أنها عقيم عن إنجاب الخيرين من الناس ولكنه تفردت بإنجابه وعقمت عن إنجاب مثيل لب. والزمن امرأة تجلب؛ ولكنها لا تلد إلا الخائنين والغادرين، وكل سبي من الناس ينسب إليها.
ونصف العرب الزمان بأنه أم للغادرين من البشر؛ قال مهياو الدليمي:

(1) ج. ك
(2) ج. ك

98
وقاد الزمان الغادرين فـا أرى
أم الوقاء سوى المقل المـلِيت
قال ابن نباتة في الوزير ناصر بن مهدي العلوي:
バック أضمحي جيد الزمان عالي
لا يباريك في تجاربيك خلق
أنت أغلى قدرًا وأعلى علا
ومن تصوير الزمن امرأة تحلى بقلائد من الفاضلين من الناس؛ يقول
أبو بكير بن سوار:
وجاءوا على جيد الزمان قلانداً
أوقعهم فيها ضروب لآل (1)
وقد يمثل الزمن في صورة امرأة تحلى في جيدها بعقد من لؤلؤ مناقب
العظماء من الناس. وتزين يدها بأساور من فضائل الناس.
ففضله في يـبـد الزمان يـسوار يثلها زاوي علـا المـلـك شور (2)
وإذا انتقلنا لوصف الزمان امرأة بعالم الصفات الشكلية بينهما؛ نجد
اللون الأبيض لبشرة المرأة هو ضوء الصباح النير؛ فجيء المرأة صباح،
ووجها مريء كضوء الشمس. ويفضلون وجه المرأة الجميلة بالصباح
فيقولون: وجه صبح، والجامع ليس فقط اللون، لأننا نشعر بمشاعر أخرى
حسنـة تحدث عندما نرى الوجه الصبح كما نشعر بها عند إشراق شمس
الصباح. مشاعر الهجة والسعادة والانشراح، كلها مشاعر تكون ظاهرة مع
ظهور ضوء الصباح بعد ظلمة الليل، مع طلعة الوجه الصبح بعد طويل

(1) ج.ك.
(2) خريدة القصر وحريدة العصر، فـم شعراء الشام، ج7، ص37
انتظار، أو مع رؤية يغمر فيّر عن ابتسامة يضاء. إن الوجه الصبح ليس بالضرورة أن يكون شديد بياض البشرة، ولكن لا بد أن يكون مشرقا مبتسما تضيء منه مشاعر الوجهة؛ فلا يليق أن يوصف الوجه بأنه وجه صبح وهو عابس متجمه حتى وإن كان أبيض البشرة. وليق بالوجه أيا كان لونه أن يسمى صبحا إذا كان يحمل ابتسامة مشرقة ووضاءة بهجة. والليل هو شعر المرأة والجامع بينهما اللون الأسود؛ يقول ابن مشرف:

شعرها ليل وصباح وجهها
فتعجب من دجاء معه صبح

وقال ذو الرمة:

كان عمود الصبح جيد ولبَّة
وراء الدجى من حرة اللون حايس

وتصوير عمود الصبح (الفجر الأول) كجيد المرأة وعده يجعل صورة هذه المرأة مميزة بعناق طويل وآخر متسع ووضيء البشرة. وانفلاج الفجر الأول يظهر عمودا من نور وظلام الليل لا يزال موجودا؛ لذلك تبدو الصورة وكأن الدجى ثوب أسود ينحسر ليعيش لنا عن جيد معتد مضيء. وليس جامع الصفات هنا بين المرأة وانفلاج الفجر الأول مجرد تشابه في الشكل واللون؛ ولكن هناك مشاعر أخرى يحس بها الشاعر العربي حينما تظهر له امرأة بهذه الصفات في لحظة غير متوقعة. هي ذات المشاعر التي يشعر بها حينما يرى عمود الفجر مبضا بصبح قريب ويتبدى له في منظر بديع في هدوء الليل وسكونه.

(1) ج.ك.
ويكثر في كلام العرب وصف بياض وجه المرأة بالنهار، وسواد شعرها بالليل في تخييل شكلي للزمن يجمع اللون بينهما. من ذلك قول بكر بن النطاح:

"بيضاء تسحاب من قيام فرعها وتغيث فيه وهو جبل أسحم فكانها فيهم عمار ساطع وكأنها ليل عليها مظلوم".

وقد يكون الليل نقابا ترتديه المرأة، ولن تثبت إلا أن تكشف وجهها في الصباح؛ فطلع وجهها ممسكا كشمس النهار. وصباح وجه المرأة يخفى نقاب الليل؛ يقول ابن المعتز:

"حتى جدا الإصحاب من نقابك ما بدأ المنصل من قرب".

وقال أبو جعفر البطليسي:

"وقال أمائم الأيام وهى مصاصى منهم علينا جهيمة وذهاب، أما علمت أن الشباب خضاب بتند من ضحك المشيب بمفرقى وقالت غبار ما أرى وتجاهلته، وليس على وجه النهار نقاب".

وقال عمرو بن معدى:

"وبددت لهيم كأنها وجه النهار إذا تبدى".

الزمن له مثل دورة حياة الإنسان:

"يولد اليوم في الفجر طفلا صغيرا في الوقت الذي ينتهي فيه اليوم السابق".

(1) ج.م.        (2) ج.م.

١٠١
كِبْرِيَةٌ كَانَتْ رَأْسِهِ، وَوَلِئَلِّ الشَّمْسِ كُلْ صَبَاحٍ كَأَنَّهُ يَقُولُ عِنْ عَيْنِ يَوْمَ يُمِتْ. يُقُولُ:
اليَوْمُ لَعْدَةٌ وَثَابَةٌ بَينَ الْخَشَايَةِ
كَانَ بُشْرُهُ مُولُدًا لَّفِي الْفَجْرِ كَأَنَّهُ
وَيْلًا لَّمَّا بَلَغَ الْزَّمَانَ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ:
غَشَيْتُ الأَرْضَ فِي سُبُبَ الْزَّمَانِ
رَافِعُ الْحَسَنِ مِنْ بِنَيْيَ الْإِنْسَانِ
وَكَمَا لِلْزَّمَانِ طَفُولَةٌ وَشَبَابٌ فَإِنَّهُ يُشْيَخُ وَيَهِمُ، يُقُولُ بِطَرْسِ كَرَامَةً:
شَيْخُ الشَّيْخِ وَإِنَّ شَافِهِ الْزَّمَانُ يَعْقِدُ
مِنْ مَجِدِّ أَحَدِ الْخَنَّاطِينِ ذَا شَمْمَ
وَالبَشَّرُ هُمْ أَبْنَاءُ الْزَّمَانِ، وَالْمَتَقَدَّمُونَ مِنْهُمْ وَلَدُواً فِي شَباَبِ الْزَّمَانِ وَفِي
زَهْرَةِ حَيَاتِهِ وَشَجَاةِهِ، وَبَعْدَهُمْ بِهِمْ لَا تَحْزَعُهُمْ. قَالَ:
الْمُتَّبَعُ:
وَقُطُّ يَضَعِّي وَعَمْرُ لِيَتْ مَدُتُهُ
فِي غَيْرِ أَمْعَةِ مِنْ سَالِفِ الْأُمُّ
أَنْتُ الْزَّمَانُ بَنِوُّهُ فِي شَجَاعِهِ
فَسَرْهُمْ وَأَتِيَاهُ عَلَى الْهُرْمِ
يَقُولُ لِي وَقُطُّ يَضَعِّي فِي مَخَالِفَةِ أَهْلِ الْذَّهِرِ وَمُسَاحِبَتِهِمْ; وَلِتَمَدَّ
عُمْرِي كَانَتْ فِي أَمْعَةِ أَخَرِّ مِنْ الْأُمُّ السَّالِفَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ أَبْنَاءَ الْزَّمَانِ مِن
الأَمْمِ السَّالِفَةِ كَانُوا فِي حَدِيثٍ الْذَّهِرِ وَجِدْتُهُ وَشَجَاهِ وَسَرْهُمْ وَأَتِيَاهُمْ مَا
يُفْرِحُونَ بِهِمْ وَخُنْ أَتَيْنَا الْزَّمَانَ وَقَدْ صَارَ هَرَمًا خَرْفَا فَلَمْ تَجِدَ عَنْهُ ما يَسْرَنَا.
وَالْمُتَّبَعُ نَظْرٌ فِي بِيْتِ إِلَى قُولٍ مِنْ قَالٍ:
107
ونحن في عدم إذ هزنا جذع فالآن أمسى وقد أودى به الخرف

وتصور الزمن رجلًا كهلا صورة حاضرة في الميثولوجيا الإغريقية، وممازلت حاضرة في الثقافة الغربية في تمثال آلهة الزمن بصورة رجل كهل له لحية بيضاء يحمل منجلاً في يده أو يلتهم أطفاله. وذلك تجسيد للزمن في تمثال آلهة اليونان، أو ساتورن Kronos، أو ساتورن Saturn الذي يسمى أبو الزمان، أو Old Father Time الذي يبلي جمع جميع أبنائه ماعدا زيوس.

شكل (15)

(1) ج. ك. جordon; Michael, Dictionary of gods and goddesses, Printed in ١٩٩٣
(2) the United States of America, ٢٥٢nd ed., P. ١٧٣.
لوحة مرسومة لآلبة الزمان (Saturn devouring his son) في متحف ديل برادو؛ مدريد ۱۶۷۸ (۱)
وإذا كان الزمن يولد طفلاً ثم يترعرع شاباً ويهيم كهلان فإنه لاشك بموت. وكل الماضي من الزمن قد مات وانقضى. يقول عبد الحميد السنوسي عن موت الأيام الماضي:
قد أذكر الأيام في لحدها فنبكي على ما مضى في الشباب.
ويكون ميلاد كل شهر بميلاد الهلال، "وغلب المختلفة عليها في الأتم في التاريخ، لأن ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلدها ولا ولدها، ولأن الأهلية لليليالي دون الأيام" (۲). في إعلان على موقع إخباري عن شهر رمضان يقول: "أغسطس يشهد ميلاد شهر رمضان فلكياً" (۳) ويعتر الفلكيون عن دخول كل شهرين قمري بالميلاد، ويزيد مصطفى أحمد تييزاً على قدر كبير من الأهمية العملية بين نواع من الحسابات الفلكية.; أحدهما: متعلق بتحديد ميلاد الشهر الجديد فلكياً، والثاني: متعلق بتحديد إمكانية مشاهدة الهلال في موضع ما، وفي وقت ما." (۴)

http://www.museodelprado.es/en/the-collection/online-
gallery/obra/saturn-devouring-his-son/?no_cache=1
gallery/on-line

(۱) حك.

http://valamcom.blogspot.com/۲۰۱۱/۰۷/blog-post_۲۰۱۲.html

(۲) الشقغي: محمد بن المختار، تجديد أوائل الشهر القمري، الوكالة العربية لأخبار الفلك.

والفضاء، ۴۱-۱۹۰۱-۲۰۱۲م

۱۰۴
كل يوم يمر بنا نشهد فيه ميلاد يوم وموت يوم آخر. وفي كل شهر نشهد ميلاده نشهد موت الشهر الذي سبقه ومضي. وعند ميلاد كل عام جديد نوَّع عاماً انقضى ومات. وتعامل مع الأعوام والشهور والأيام كما نتعامل مع الإنسان الذي نستقبله بالاستقبال والمرارة عند ولادته، وخائر عند مفارقته ووداعه.

الزمن يتنفس:
ولا يتنفس إلا ذو رئة، وربما ترتبط صورة ميلاد الصباح بالنفس، فالطفل يصرخ عند ميلاده مع أول نفس له في الحياة. وانقطاع نفس الزمن المتجدد كل صباح يعني انتهاء الزمن ونهاية الكون؛ فالنفس حياة، وانقطاع النفس موت. والتنفس مرتبط بأسام الصباح الباردة التي لها من الصفات التي تميزها عن النسيم في الأوقات الأخرى من النهار والليل، والعرب تقول عن مبدأ الصباح: "تنفس"، وصفة أنفس الصباح ليست كغيرها من أنفاس بقية اليوم؛ يقول ابن هذيل:

"تلقى بنا نفس الفتى المتشوق(1)
لالة مفجع الصباح ورقة
ويقول عبد الجبار بن حمدي:
لطاف أنفس الصباح فيهنالك
وعجبت لطوله من دُجاء هبه
"وإذا الصبح تنفس"

وقال شاعر:

(1) ج. ك.
وَأَتَشِيرُ في الصبح إذا تنفَّسً

وَفي تصوير انتشار ضوء الصباح فجأة وهو ينشر ضوته بسرعة كما ينفجر البعوض من العطاس يقولون: "عَطْسَ الصَّبَحِ: تنفَّس، ومنه فيل للصَّبح: العطاس" (3) وقال الليث: "الصباح يسمى عطاساً، وقد عطس الصبح إذا انقلقً" (4) وتصوير طلوع الصباح بالانفجار منه أيضا "الفجر" وهي مستمدة من انفجار النهر في البدع الإدراكي التجريدي للزمن.

يقول عبد الغني النابلسي:

عَطْسَ الفجر فانتهوا يا نديمي

ويقول أيضاً:

عَطْسَ الصبح في الدجى فاستقبيها

ويقول محمد بن طباطب:

الصَّبح يرقب من دجاجة غرة

والمتضائل من سجفه يتطلع

منتنفِّس فيما جنانا واهاشا

وفي كل لحظة ساعة يتشجع

ولم تزل العشاق تشكو من الليل وطوله، ويسفونه بسواح الوجه عند حلوله، وعذرهم في ذلك ظاهر، ويظنو أن الليل ليس له آخر وكأن الزمن

(1) عسمس الليل إذا أقبل بظلامه وإذا أدرب (عس س. ابن منظور، ج 6، ص 139)

(2) ج. 4. ك.

(3) الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية،

(4) الأزهرى، ج 2، ص 40

106
انتهى ومات ولم يبق إلا الليل بظلامه؛ يقول أحدهم:

لَوْ كَانَ لِلْيَلِّ صَحِيحٌ

(1)

وقال شرف الدين أحمد بن منقذ:

وَلَرَبْ لِلْيَلِّ فِيهِ تَأَنَّ اعْتَجَامًا

(2)

واسئله عن صاحبه فأجابني

لَوْ كَانَ فِي قِيَّدِ الْحَيَاةِ تَنْفَسْا

(3)

ويقول عبد الجبار بن حمديس:

تَهَدَّتْ مُرَتَّاعَ الفَوْؤَادِ وَأَنَّا

(4)

"فَلَمَا تَنْفَسُ الْصَّحِيحُ، وَعَرْدَتْ الْدِّيَوْكَ الْصَّدِحُ"

يَقُولُ شَاعِرُ:

بِـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَ~لاَيَلِّ إِنَّ الْصَّبَاحِ

(5)

وَرَوحُهُ بِالْبَطْحٍ

أَنْفَاسُهُ في البَطْحِ

(6)

ويجعل الشاعر إبراهيم الرباحي للزمان أنفاً تغلبه:

شِيْمَ يَهْرُ الرَّأْسِيَاتِ سَاعَهَا

(7)

ويَفَحُّنُ في أنف الزمان غَوَالٍ

وَهُنَا تَشْخِيصٌ للزَّمَنِ فِي صُورَةٍ تْنَى تَفْجُوحُ مِن أنفه أنفاس تُغْلِي مِن شَدَةِ

الغَضْبَ لِلْحُوَادِثِ العَظِيمَةِ.

(1) ج.ك
(2) ج.ك
(3) ج.ك

١٠٧
الزمن له صفات أجسام البشر:

المشهد الزمن المتحرك الذي يولد كالبشر ويتو مثلكم له صفات أجسام البشر أيضاً. ويتصور العرب في كلمتهم جسد له رأس وقدمان ويدان، وفي رأسه وجه وعينان وأذنان وقدم ولسان، وله ظهر ومنكبان، يسمع ويرى وينطق وينصت، وأحياناً يصاب بالصمم، ينام ويفيق، له أبناء وأبناه هم البشر. يبطش يبه ويخنو. وفيما يلي تفصيل الحديث في صفات جسد الزمن كما وردت في كلام العرب.

الزمن له رأس:

يظهر الزمن رجلاً كهلاً؛ شعر رأسه أبيض اللون؛ يقول القاضي محبي الدين في وصف نزول الثلوج من الغيم:

ولما شاب رأس الدهر غيظاً، لما قاسي من فقد الكرام
أقام يميط هذا الشيب عنه، ويشل ما أمات على الأناّم.

صورة الزمن في هذا المشهد المتحرك إنسان رأسه في السماء وجسده على الأرض، أو صورة مخلوق يسكن السماء، يبلغ من الكبر عتيماً، وشاب شعر رأسه غيظاً وكمداً من فقد أحبابه؛ فصار يميط الشيب عن رأسه ليثيره على الناس في الأرض.

(1) ج. ك

108
وفي صورة أخرى لرأس الزمان الكهل، يقول شاعر:

"قد شاب رأس الزمان واقتهل الدهر، وأشواب عمرو جدد"

ومن قصيدة للشريف أبي الحسن علي بن إسماعيل الزيدي، يصف الليل ملكا رأسه مكلل بناج مرقص بالدرر. وهذه صورة مستمدة من مشهد السماء في الليل والنجم تزينها كالدر المثير، يقول:

"ألف وفوق رأس الليل تاج، مكللة جوانبة بـٍدير"

وإقبال الصباح مبدأ ظلمة الليل كالشيب الذي يتشر في الشعر الأسود.

ودائما يوصف الليل بالشباب، والنهار بالشيب، والجامع بينهما اللون.

ولارتبط الوسواد بالسياق من الصفات سموا الشباب (ليلا) والكهولة (نهارا).

وضوء النهار مثل مرحلة الرشد التي يصل إليها الإنسان حين يخط الشباب في شعره. يقول ابن الرومي:

"وعزاك عن ليل الشباب معاشر، فقالوا: نهار الشباب أهدى وأرشد"

فقلت:

"نهار الماء أهدى لسعبه وليل أندى وأبرد"

وفي ذم الشباب قالوا: "الشبيبة ظننا الجهيل، ومطية الذنوب، وسكر الشباب أشذ من سكر الشراب. إن الشباب جنون بروح الكبير"

(1) الجاحظ، الحيوان، ج 3، ص 423
(2) ج. ك.
(3) ج.
(4) ج. ك.

109
ويقول ابن سنا الملك:

وكنت سراجاً بليل الشباب
فأطفأ أنوره نهار المشيّب
والعرب بذلك يصفون زمن الليل كرأس اشتعل الشيب فيه إذا أقبل النهار:ً "قد تنصفنا عمر الليل، واستغرقنا شبابه، مضى من الليل صدره، وانقضى شتره، اكتمل الظلام، شاب رأس الليل، كأديم النسيم بالسحر" (1)

ويقول ابن المعتز:

للآلهة النجوم في انجلاط
وهب رأس الليل باشيطاط

ويقول شاعر من العرب:

فأفتح الليل ممشئًا ذوئبه
وأقبل الصبح موشياً أكارعة
جعل ذوئبة الليل شمئًا مازجة الصبح، وجعل أكارع الصبح موشية من مازجة الليل، وجعل أخذ الليل من آخره وهو المتصل بأول الصبح، وأخذ الصبح من مقدمه وهو المتصل بآخر الليل. وأصاب في التشبيه كأنه أومأ إلى الصبح فجعله كالثور الوحشي، والثيران الوحشية كلها بيض وأكارعها خاضبة موشية. (2)

وفي صور أخرى يتم ترتيب الأيام في صورة جسد الإنسان ويكون بعض منها رأساً وعيرها بقية الجسد. وقد ورد ذلك في الأثر النبوي: 'إذا كان يوم القيامة حشر الله الأيام على هيئة الجسم فجعل رأس الأيام يوم الجمعة، ويدها اليمنى أيام عرفاً، ويدها اليسرى أيام الترويات، وجعل أجنحتها أيام

(1) تيفاشي، ص 88
(2) التيفاشي، ص 88
الأعياد والأضاحي، وجعل قلبه شهر رمضان وجعل أرجلها أيام العشر

الزمن له وجه:

يقول الجاحظ عن بقاء الكتبات القديمة، وأماكنها: "وكانوا يجعلون الكتاب حفراً في الصخور، ونشقًا في الحجارة، وخلقًا مركبًا في البنيان؛ فربما كان الكتاب هو النانئ، وربما كان الكتاب هو الحفر؛ إذا كان تاريحة لأمر جسيم، أو عهداً لأمر عظيم، أو موظفة يرجى نقعها، أو إحياء شرف يريدون تكليد ذكره، أو تطويل مدته. كما كتبوا على قبة غمدان، وعلى باب القبور، وعلى باب سريرته، وعلى عمود مأرب، وعلى ركن المشقر، وعلى الأبلق الفرد، وعلى باب الرها. يعمدون إلى الأماكن المشهورة، والمواضع المذكورة؛ فيضعون الخط في أبعاد المواضع من الذكور، وأمنىها من الدروس، وأجذر أن يراها من مر باها؛ ولا تنسى على وجه الدهر." (2)

وكم نعلم أن العلامة في جسد الإنسان إذا كانت في يده أو في قدمه أو على رأسه لا تكون ظاهرة للعيان؛ أما إذا كانت العلامة على الوجه؛ فإنها تكون واضحة يشتر الإنسان بها يعرف بذكراه. وقد يغلب عليه التسمية بما هو ظاهر من علامة على وجهه؛ لأن ما يكون على وجه الإنسان لا يستطيع أن يخففه؛ بخلاف العلامات التي قد تكون على سائر جسده يستطيع

(1) ج.ك
(2) الجاحظ، الحيوان، ج.1، ص.69
أن يخفيها بالطيب والأردي أو العمامة أو الطاقة. وبالمقابل يعتمد الإنسان لتزيين وجهه ويحرص أن يبرز عليه ما يحب أن يراه الناس به لأنه سيعرف ويشتهر به، لذلك ما يظهر على الوجه لا ينسى سواء كان قبيحا أو حسنا. وهذا ما يجعل المباحث يصف الكتابات المشهورة في الأماكن التي يحرص الناس على صيانتها بأنها لا تنسى على وجه الدهر.

ووجه النهار أوله؛ وإذا كان الليل هو شعر رأس الزمان والنهاز وجهه فالصباح له خد؛ يقول الشريف الرضيٌ:

ومازلت تمسح خذ الصباح وتترحم قلْب الظَّلام الأشيب

يقول الربع بن زياد بعد مقتل مالك بن زهير:

من كان مسرباً بمقتل مالك فلايات نسوتنا بوجه نهار(1)

ووجه النهار أوله، وفي التنزيل العزيز قال تعالى: "وقالت طائفة من أهل الكتاب، أي نوا، بالتالي أنزل على الذين أمُنو وَجَهْ النهار. وأكفهموا آخره لعلهم يرجعون(2)

ويقول أبو هلال العسكري بصف سواد الكحل في العيون بالليل؛ فإذا نزلت الدموع مصطفاة بسواد الكحل صارت دموعا من ليل على خد

النهار:

كأن ظلال الليل أذى دموعه فظلَّت على خذ الصباح تصواب(3)

(1) ج.ك
(2) آل عمران، آية 72
(3) ج.ك

112
قال إبراهيم الأحذب:

نشروا أفراح عرس للأنام

أصبحت شامة خذال الزمن

قال أبو محمد طلحة بن عبد الله:

يا شقيقى أتي الصباح بوجه ستر الليلى نوره ويهماوء

يقول مجد الدين بن قضيل:

و أراكة سجع البديل بفرعها والصبيح يسفر عن جبين نهار

ومن الصور التي تظهر فيها المشاعر التي تجمع بين صفات الزمن

وصفات الإنسان قول ابن خفاجة الأندلسي:

و لا علقت وجه النهار كابة

ودارت به للشمس نظرة مشفق

وقال إبراهيم قطان:

أثار على العراق غبار حزن يرى وجه النهار به سوادا

الغيبار الذي تمركه الريح في النهار، والكرر الذي يحجب الرؤية الصافية

للسماة هو كابة تغطي وجه ذلك النهار، أو حزن يصب وجه اليوم بالسواد.

وليس ذلك بجامع اللون فقط الذي يغطي السماء، و يصب وجه الحزين

المتكدر، وإنما مشاعر متوافقة بين الإنسان المتكدر، ورؤية مثل ذلك اليوم

الذي يحجب فيه الغبار الرؤية، ويكدّر المشاعر ويشيع الحزن والكابة.

(1) المغربي: ابن سعيد، المغرى في حلى المغرب، ترب، شوقي ضيف، (دار المعارف)

القاهرة 1956م، ط2 ص 367.

(2) ج. ك

(3) ج. ك

113
وقد يتحسس الشاعر تغيّراً في الزمن، وتعبرا يعلو وجه الزمن حينما يحزن. ويرى أن الزمن يشاركه أحزانه ويظهر ذلك الحزن على ملاعبه؛ يقول أبو عمر الرمادي:

وانست في وجه الصباح لبينها نحولا كأنه الصبح مثل مدنك
و الدنم المرد اللازم. وقد شارك الزمن الشاعر في الاحساس بالمرض
وذلك ما يجعل وجهه يبدو نحلا، وذلك ما أحس به الشاعر. وربما لم يشعر
به الآخرون في ذات اليوم، ولكن لامتناع أحاسيس الشاعر بزمن الفراق
شعر بمشاركة ذلك الصباح له في أحزانه.

وفي المقابل الصباح السعيد يرتدى تيابا صفراء مصفرة جميلة،
ويسفر عن وجه أبيض موضي؛ يقول ابن المعتز:
قد أعتدي على الجياد الضمير والصبح قد أسفر أو لم يسفر
حتى بدأ في ثوبه المصفر وشمعه مثل السراج الأزهري
كأنه غرة شهر أشقر.

الزمن له عينان:

واللزمن عين ترى، وتقترب، وتقر، وتغفو، وتنام، وتكتحل برؤية
جميل الأفعال والأقوال. يقول أبو العباس: "كتاب لم تكتحل عين الزمان لـ

(1) ج.ك.
(2) ج.ك.

114
وقيل في محمد بن نجم الدين بن محمد الملقب شمس الدين المعروف بالصلاحي البلاطي: "أبلغ بلغاء عصره، وأفصح فضحاً دهره، لم تكتمل بمثله عين الزمان، ولم يتسم لنظيره ثغر العرّافان" (1)

يقول ابن نباتة المصري:

"لعمري لقد أصبحت عين زماننا في جنا عين الزمان وحاجبه كما يقول أيضاً:

"ليهنك يا عين الزمان وأهله ويهنيي الوري عام بسدك آيب.

وفي وصف شدة ظلام الليل يقول أبو نواس:

"أين لي كيف صرت إلى حريفي وفجع الليل مكتمل بقار
والزمن يرى ويبحر بهته ويرقب ويقارن بين قدراته وقدرات البشر.

يقول ابن قسيم الحموي:

"رااك اللهد منه أشده بأساً وشبح مثل كل الزمن الكرم
وقد يغفل الزمن عن الإنسان حيناً وذلك للتعبير عن اللحظات التي يختفي فيها الإنسان بنفسه ليعمل عمله خاصاً به. يقول تعالى في مقدمة كتابه (يتيمة اللهد): "فاختلست لمة من ظلما اللهد وانهت رقدا من عين الزمان" (2) وما التعبير برقدة عين الزمن هنا إلا بانشغال الناس عنه وتركه في فسحة من وقت لهخلو بنفسه وينجز عمله.

وعين الزمان لا ترى وتبصر فقط؛ بل إنها قد تخذد أحياناً وتصيب ما

(1) ج.ك
(2) ج.ك

115
تراه بالعين. وقد عبر عن ذلك القزويني وهو يصف كورة واسعة بين بغداد ووسط في شرق دجلة، كانت من أجمل نواحي بغداد وأكثرها دخلاً وأحسنها منظراً وأبهاءها فخراً، يقول عنها: "اصابتها عين الزمان فخرت بسبب الاختلاف بين الملوك السلجوقية وقتل بعضهم بعضاً."

و حينما تقرر عين الزمان وترتاح تقرر أعين البشر وترتاح، يقول ابن دراج القسطلي:

و قررت عيناً بالذي قررت به عين الزمان وأعين الإسلام ويدعو الصيادي على الزمن بالبلاء واللعنة، وكأن الزمن فرد من الناس؛ ثم يدعو عليه بالشرام من النوم، يقول:

لها(1) الله الزمان فقد تعدد ونام، فلا غفت عين الزمان

 الزمن له ظهر:

و ظهر الإنسان أو ظهر الدابة هو العضو من جسد الإنسان الذي يتحمل أكبر القتال لأي شيء يحمله. وما يقل ظهر الزمان هي أفعال الإنسان الحسنة أو القبيحة، أو المصائب العظيمة. وقد تكون الأفعال الحسنة ثقيلة على ظهر

(1) ج. ر. ك

(2) لما الرجل لحوا: شتهم، و حكيم أبو عبيد: لحية الله لحواً، وهي نادرة. وفي الحديث:

فيت عن ملاح؛ة الرجال أي مقاتلهم وخصائصهم، هو من لحية الرجل لحواً لحيًا إذا له لحية وعدته، ولاجئه ملاح؛ة وحوا إذا نازعته. وما الرجل لحواً لحياً: لامه وشتهم وعنفة ولاحية الله لحياً أي قبحه ولته. يقول ابن سيده: لحية الله لحياً قبحه وأهلها ولته. (ل ح. ابن منصور، ج 51، ص 242)
الزمن ثقل مثقة رد الجميل؛ فهو يتحمل هذه الفعال الجميلة بهم ردها بالحسنى لمن فعلها؛ قال حيدر بن سليمان الجليّ:

أثقلت كاهل الزمان أياديه فأمسى عياله النقلان (1)

وقال ابن الخياط:

وأرغمت أنف pairs بوطأءاً

تخفف على ظهر الزمان وتنقل الزمن له منكب:

قال عبيد بن حصن الراعي النمري:

هم كاهل الدهر الذي يتقى به ومنكبه إن كان للدهر منكب (2) وما كاهل الدهر ومنكبه الذي يتحمل عظائم الأمور إلا أناس يعتمد عليهم. وكأن البشر هم الذي يشكلون جسد الزمن؛ فمنهم أعضاء يعتمد عليهم ويتكلمون أكبر التقل، ومنهم أعضاء لا تقوم إلا بهم مساعدة أو ليس لهم إلا أدوار هامشية، أو قد لا يبدو لهم دور أبدا. فهم عالة على الزمن وزيادة دون نفع.

يد الزمن:

للزمن يد أفعالها حسنة وقبيحة، تشح بما فيها ولا تجود به إلا قليلاً. وفعل الطي يقوم به الزمن كثيرا حين يخفي حدثه صار في عهد مضى وانقضى. وما يطوي الزمان الأحداث إلا ليدخلها في مقف النسيان؛ حيث

(1) ج.ك
(2) الجاحظ، البيان والتبين، ج 1، ص 584

117
لا يراها أحد. يقول إيليا أبو ماضي:
خلت أني إذا بعدت سامسها وطوي الزمان سفر وهاها أو تسدل يد الزمان ستارا على مشهد الأحداث الماضية حتى يتواري خلفه. وكان أحداث الحياة تكون على مسرح الزمن، الذي يسلد الستار متي ما أراد مشهد ما أن ينتهي. يقول إبراهيم ناجي:
حلم كما مع الشهب توارى سدلت عليه يد الزمان ستارا وإذا كانت يد الزمن تفَقدنا أحبنا أو أشياءنا الجميلة، فهي التي منحننا إياها أولئك. وذن يفعل ذلك إنا يسترد وديعته:
ووديعة رجعت فما خططي إذا ريد الذي كان الزمان أعاولا ويد الزمان ترمي سهام المئية، وسهام المصائب على الناس. يقول عبد الرحمن بن أبي الهاده:
رمتلك يد الزمن بسهم عين فصارت ملوجا بدخان نار ويقول الشهريوري في يد الزمان الغادرة التي ترمي الناس بسهام الفراق:
ورمتى يده الزمان بقوس القدر من جعبة النوى بسهام يد الزمان تأخذ وتعطي، تنفق وتسلب، تجود وتبتخ. وقد تسرق أو تختلس. وأحيانا تجز عن كل ذلك، ويقى الشيء أمدا على حاله. ومن ذلك قولهم: "والعزة التي تقصر أيدي الليالي عن اختلاسها".

(1) ج. ك
(2) ج. ك
(3) ج. ك

118
إذا أراد الإنسان أن يعبر عن عجزه عن أمر أكبر من قدراته نسب ذلك العجز إلى الزمن، وعبر بأن يد الزمن مع قوته وجيروته وقدرته غير المنهاجة على الإنقاذ أو الحرص عاجزة عن فعل ذلك. كتب عبد الله الفضل الإمام الطيب الله أمير المؤمنين ردا على كتاب أرسله له رجل طالبا منه المعونة على ضيقة له توالى عليها الخراب؛ يقول فيها: "وأن مثلها لا تسمع يد الليالي للإنفاق عليه".

ومن يجيد التعامل مع الزمن ويجتهد في أيام السعة، فلا بأس أن يجري ثمرة تعبه. يقول البازجي:

"بالأمس وأنا أكثر أرخوا رطب واليوم لا أثقل أيديي الدهر بالفقر ولا تكف يد الزمان عن التغيير في كل ما غمر عليه، يقول ابن الزقاق البلنسي:

غيرتني الأيام الزمان، فقد شهدت والتحلى (1)

ولأن مرور الزمن هو السبب في دخول الإنسان مرحلة الكهولة والمشيب؛ فإن يد الزمان هي التي تلون الشعر بالياض، وهي ترسمها خطوطاً أو تذر عليها من الكافور الأبيض. يقول الثعالبي: "لاحق الشعرات البيض، وجعلت تفرح وتبيض. بدت في رأسه طالع المشيب وطول العقل" (2). أخذ الشيب بعنان شابه. ذرت يد الزمان كافوراً على مسكه" (3)

(1) ج. ك.
(2) الفقيه: الشيب، وقيل: هو أول ما يظهر منه. ق. ت. ر. ابن منظور، ج5، ص73.
(3) ج. ك.

119
و ليس أكثر إزعاجاً من الشيب الذي يرسمه دم الزمان على رأس الإنسان أو خيته. يقول سعيد بن عمرو الفرشي:

"خطيط يد الزمان على عذاري" سطوراً من حروف الشيب بيضا فأبلغها وإن كانت كـ"بصع" ولم أقبلها صبيحاً بغيضاً

وقوله: "صبيحا بغيضا" يصف المشاعر التي يحملها الإنسان للزمن حسب ما تعني بالنسبة إليه. والعادة جرت أن الصباح استبشر وفرح، وهو زمان محب حيث الوضوح والانكساف. والتغييرات التي تجريها يد الزمان مزعجة، ومؤذية؛ يقول الهمذ الحمامي:

ركب أَلْحَت يد الزمان على إزعاجهم في البلاد فانتقلوا وإذا حدث أن جادت يد الزمان البخيل بساعات من الأسئ والفرح فإنها حالة استثناء؛ لأن العادة جرت أن الزمان لا يوجد إلا بالصائب. يقول ابن العكربي: "أما تستمتعون بما سمحت به يد الزمان البخيل"

وقد تكون يد الزمن ماغة كريمة؛ يقول عبد الباقي الفاروقي:

فكم من يد فيها لروحى راحة كـ"قدمة يد الزمان حزانيها"

(1) العذار: جاني اللحية لأن ذلك موضع العذار من النداءة قال رؤية: حتى رأى الشيب ذا التلوه يغشي عذاري لحبي ويرتقي وعذار الرجل: شعره النابث في موضع العذار. والعذار: استواء شعر الظلام. يقال: ما أحسن عذاره أي خط لحيته. (ع ذ رابين منظور، ج، ص 350)

(2) ج ك

(3) ج ك

(4) ج ك

120
 الزمان يسمع وينطق:
والزمن يمتلك إحساس الصفات الجسدية التي يسغبها العرب على الزمن وصفاً. وهم يشعرون بدُى إدراك الزمن وإحساسه بما يحدث فيه ويذك هم يصفونه. ينقل ابن الجزري خبر هجرة الرسول _عليه الصلاة والسلام_ قوله: "حتى جاء الخبر من يثرب أن النبي _عليه الصلاة والسلام_ بلغ دار هجرته آمناً. ووعت أذن الزمان ما لا نزال نردده في كل عيد للهجرة، من هتاف المدينة ترحيباً بالمهاجر العظيم"(1)

في هذه القوله أذن الزمان وعت. وما تعيه أذن الزمان لا بد أنها ستنطق به، وهو ما يتجلى في قوله: "ما لا نزال نردده في كل عيد للهجرة" فالزمان سمع قصيدة الترحيب ووعها، وبنوه حفظوها وردوها.
وقيل في الشاعر فتح الله النحاس: "بِشاعر لم يطن مثل شعره في أذن الزمان"(2)

والزمن مستمع جيداً ينصب لما يقال له، قال عبد الغفار الأخرى:

"نيباً عن المجد الأئل ومنبى"(3)

ويقول محمد بن سودة الفاسي:
"فإذا امثلت صواب صدق وصيتي يصغي الزمان لكم ويصفو المهله"(4)

(1) ج.ك
(2) ج.ك
(3) ج.ك
(4) ج.ك
ولا يكفي الزمن بالإنصات لما يقال له فقط؛ ولكنه أيضا ينطق بلا لسان، وكلامه معلن في كل الأرجاء. لأنه إذا قال كلمته لا يستطيع البشر إلا أن يذعنوا له. يقول عبد الجليل:

وأما يوم العروبة يوم سر
لقد نطق الزمان به فقالا (۱)

ويقول أبو العلاء المعري:
وقد نطق الزمان البلا لسان (۲)
فمالي لا أقول، ولي لسان ينطق شرف الدين التيفاشي:

والفجر في كبد الليل السقيم حكى
سر النتيم عن أجنانه غلبا
حينما تصور الزمن ينطق ويسمع وينصت، تكون صورة الزمن في جموع البشر، إلّا مم الناس؟ وماذا يقول أكثر الناس ويرددون؟
وكان جموع صوتهم صوت ضخم يتردد صداه في أرجاء الأرض \(�\) بذلك ينطق الزمن، أو أن إصافاء البشر وإنصاتهم لسماع ممولة أو إعلان هو ما يسمعه الزمن وينصت له ويعيه.

يقول حيدر الخليل:
أدم ذكرها يا لسان الزمان وفي نـّشرها فمـّك العاطر
يدعو الشاعر الزمن أن يديم ذكرها الحسن ويرده. وهو إذ يطلب من الزمن ذلك إلّا مم الناس، وفي نـّشر ذكرها تعطير لفم الزمن.
وللزمن ثغر يردد صدى الوحي السماوي؛ يقول علي محمـّد ظه:

(۱) ج.ک
(۲) ج.ک

۱۲۷
بيانك من نبع الجمال المخلّد
صدى الوحي في أسلوبه المتجدّد
سرى في كل قلب كأنّها
شدا الحبّ في ناي الربيع المغرد
غريباً من الأسماع وهو كمهدٍ
قديمٌ على ثغر الزمان المردُوّ

وthur الزمن يبتسم كما يتسم ثغر الإنسان؛ يقول مروج الرصافي:
واتمأنّت له القلوب بفؤوز
يغتدي في فم الزمان ابتسامة
وابتسام الزمن يجلّي في الشعور بالاطمئان بفؤوز المدوّ.
وفي تشخيص آخر يضحّك الصباح ساخراً مكشراً عن أنيابه؛ لأنه جعل الليل
يفرّ منه.

قال ابن المعتز:
قد أغتدي والليلُ في إهابه؛
كالحبشيُ فرَّ من أصحابه.
والصبح قد كشف عن أنيابه;
وقد يضحّك من ذهابه.

ويقول أبو بكر الخالدي:
هو الفجر قابلنا بابتسام
ليصرف عن عابوس الظلام
وتسممُ الصباح عند شروق الشمس يرد كثيرا في كلام العرب؛
لجامع صفة بياض نور الصباح وياض أستن المبتسم، ولأن مشاعر البهجة مرتبطة
 دائما بمطلع الصباح. يقول الطائي:
أمسى ابتسامك والألوان كاسفة;
تسمم الصبح في داج من الظلم

ويقول التنوخي:

(1) التيفاني، ص59

123
كان سواد الليل، والفجر ضاحك
بلون وضياء، أسود يبسم (1)
يقول إبراهيم طوقان:
طلّع الفجر باياسماً فتأمل
ينجوم الدُنيا تُرنج سهدًا
وصورة الزمن مثبتة مرتبطة بالسعادة التي يشعر بها الإنسان في ساعة
ما، يقول إبراهيم الأسود:
فلولاً لم يبسم لي الدهر ساعة
ولولا في ذي النحاء ما نلت مقصدا
وقد يلجأ الإنسان لما يبحر الزمن على الضحك ليشعر بالسعادة. ولا
يقدر على إضحاك الزمن إلا ذوو مهارات خاصة يستطيعون بها أن يُخرجو
الزمن من حالة الغضب الدائمة إلى الابتهاج والضحك. قال ابن معصوم:
وإِسَتَضْحِكَ الدَّهْرُ العَبْوسَ بِهَا فِي مَثَلٍ يَسْتَضْحِكُ الْمَدْهُرُ

الزمن سلطة حاكمة:
يصور العرب الزمن ملكاً يتصرف في حكمه وهم في مجموع من
يخمهم، مع إيثامهم بالقدر الذي لا مفر منه. والزمن ملك عادل حيناً،
وإنجر في أحيان كثيرة.

يقول سعيد بن حميد:
فإن قلَ إنَّصَافَ الزمان وجُودُه
فمن ذا على جُوُرُ الزمان يُجبرُ؟ (2)

ولابد للناس أن ينزلوا حكمه لأنه ليس بأيديهم معارضة ما يقضي ويتأمّر

(1) الدعوي، ص 68
(2) ج. ك.
به وهم يعرفون حكمه مقدماً وذلك بقياس الحاضر والمستقبل على ماضيه.

فلا بد أن يكون مرور الأيام قاتلاً. الزمن وأن قتل أنسا فأنه يخلق آخرين. قال ديك الجني:

نزلنا على حكم الزمان وأمره وحيل يقبل النصف الألد المشاغب

يقول أبو الحسن الموسوي وهو يطلب من أهله أن ينقل كلامه لياليه مخاطباً بذلك الزمن الذي قد استسلم ملكه، ولكنه يرجوه أن يكون سهلًا ليتنا معه:

قل لليالي قد ملكت فأسحقي  
ولغيرك الخلق الكريم الأسحِج  
إن ساء فعلك في فراق أحبتي  
فليس فعلك في عذاري أقبح

الموسوي في هذين البيتين على يمين من أن الزمن ليس من شئته الخلق الكريمن إذ يقول: "ولغيرك الخلق الكريم الأسحِج". والشاعر هنا قد يغفر للزمن سوء فعله في تفريقة عن أحبته، ولكنه لا يغفر له سوء فعله في جسده. وسمات الكهولة التي بدت في الشيب الذي خلق عارضي خليه فعل

(1) الأصفهاني: أبو الفرج، الأغاني، تح. علي مهنة، تيم جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان 1995م، ط(1)، ج 4، ص 66.

(2) خلق سهيل: له سهيل، (س ج، ابن منصور، لسان العرب، ج 2، ص 475).


(4) ج.ك
أقيح من تفرق الأحبة.
والزمن الظلم يستل منك ما يريد بسرعة خاطفة: يقول صالح القرواني:
قد سلة مني زمن غاشم سلئت حواءك كم مثل المصارم
وقد يكون في حكم الزمان جورًا وظلما على أناس فائدة تعود على
آخرين: يقول المتنبي:
بذا قضت الأيام ما بين أهلها: مصائب قوم عند قوم فوائد
يقول المعرِي في شرح هذا البيت: "هكذا حكم الأيام فيما بين الناس. أن
يجعل مصيبة قوم فائدة لقوم; لأن هذه السبابا لنا فوائد، وعلى أهلها
مصائب."(1)
تقول فدوى طوقان:
أنت في الأرض؟ فيم اغتافك؟ فيم ينسى بك نحو الأعلى
أنكرت في الأرض هول الفناء، وظلم القضاء، وجوهر الليالي
يقول الشريف المرتضى متصورا الظلم جهازاً قضاياً فيه الصباح يبرم
الأحكام التي تكشفها للناس يد الليالي. وأن للزمن ساعات يظهر الجلم
فيها; ولكن على الإنسان ألا يغتر بها:

---
(1) المعري: أبو العلاء، معجز أحمد: شرح ديوان المتنبي، تحت. عبد المجيد دياب،(دار المعارف،
ط 1992-1413 هـ)، ص 226
(2) أ.م
قضى الزمان بأن يبتز عاتقه، ما يجعل الصباح تعبره بيد الطفل
ولا يغرنك حلم في مواطنه، فاللدن يغطي، وقضي عائلة العقل.
وللزمن قوة في الحكم وصفاته لاتسفعها العرب إلا على آلهة تجاوزت.
حدود قوتها وستائهما حدود قدرات البشر، يقول ابن دارج القسطلي:
وإذا لا صباحي قريب، ولا ليل وصلى ظلام بهيم،
وقد كتب الشنفي قصيدة في مدح محمد الطوسي، ورفعه في منزلة أعلى
سلطة وقوة من الزمن، ثم قرن ذلك بالاستناد به ضد إيليس وذلك ما لا
يخصبه غير الله عند المسلمين، يقول:
يا من نلّذ من الزمان يظلله، أبدا ونظره باسمه إيليسًا.
وهنا صورة الزمن طاغية يهاجم الناس ثم يفرون منه ويلوذون
بالمدح ليحميه منه، وصفة الطيفان البشرية متصلة دائما بالزمن، وهي.
أحد أهم صفاته، التي تظهر في كثير من التعبيرات اللغوية العربية.
والبروض من جور الزمان قد يكون لشخص معلوم ذي مكانة بين
الناس يرفع عنهم ظلم الزمن ويغطف عنهم، أو أن يلجا الإنسان إلى الصبر.

(1) أبوم الخير، والاصهل في إبرام الفن إذا كان ذا طاقين (ب ر م، ابن
منثور، لسان العرب، ج 12، ص 42). (2) الطفول: الليل، وطفلات الشمس تطفول، وطفولات تطفيلة: هتم بالوجوب ودنت
للغروب، وتطفيل الشمس: مليها للغروب (ط ل، ابن منثور، ج 11، ص 40). (3) الإغفاء: إدنا الجفن. غض الرجل وغضه: أطبق جفنه على حدقته، وتفاضيت عن
فلان، إذا تغابنت عنه وتفاغلت. (4) غض، ابن منثور، ج15، ص 128. (5) ج. ل.
يسلي نفسه وفي مثل ذلك. قال محسن الجوهرى:

إلى كم امتنى النفس بالعز والنصر وأفزع من جور الليالي إلى الصبر
ويضاف للصفة الجور التي يتسم بها الزمان سلوك آخر من طبائع البشر
وهو الغدر. قال أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان عن الوزير أبو
عمر بن الفرج: "وتوالي عليه جور الزمان وغرده فاندفعت آثاره وعفت
أخباره"(1)

والزمن ليس سيء السلوك دوما؛ إذ له أوقات يعدل فيها، والتفايلون

دائما يأملون في عدل الزمن مستقبلا. يقول لسان الدين الخطيب:

نفر إلى عدل الزمان الذي أتى ونبرأ من جور الزمان الذي مضى
وصورة الزمن التشخيصية في هذا البيت متحركة؛ الزمن متحرك
والبشر متحركون. ويشير الزمن الجائر ماضيا في الطريق مبتعدا خلفهم،
والناس قد فروا منه إلى زمن عادل آخر مقبل نحوهم.
ويأمل التفاعلون أيضا أن يكون الزمن قاضيا منصفا. يقول ابن المصوص
المدني:

لو أنصفتني الليالي حزت مطلبى ولم أبت حلفا ووجد عاقر الوطر
وفي صورة تشخيصية أخرى للزمن وهو يعدل أو يجور؛ يقول أبو جوثة:
لا يعدين برفدهم عن سائل عدل الزمان عليهم أوجارة(2)

(1) ج.ك
(2) التلماساني، ج 6، ص 126
(3) ج.ك
(4) ج.ك

١٢٨
والزمن يدرك كل ما يحدث حوله وله من الحواس مثل ما للإنسان؛ فهو يسمع ويرى وينطق، وله عقل يخزن الخبرات. ولكن الزمن قد ينسى أيضاً مثلما ينسى الإنسان.

يقول ابن المعتز:

"يَلَيْلَةُ نَسْيَ الْزَّمَانُ بِهَا أَحَدَائُهُ كَوْنَى بَلاَ فِجْرٍ(1)"

ويشعر الإنسان بسياق الزمن له إذا كانت اللحظات التي يعيشها حظات سعيدة. وعند الزمن طاغية مستبد، يرقب الإنسان كل لحظة يائساً بعيش. واللحظات السعيدة لن يحصل الإنسان عليها إلا إذا اختلها أو أن يكون الزمن عليها أو ناسياً. والزمن هو الذي يعطي الأذن للساعات أو الليالي الهائمة بأن تتدفق أو لا يسمح لها؛ يقول أبو عبد الله محمد بن إدريس الجزيري:

"وَعَشْشِيَا قَدْ ضَيْتْ أَرْقَبُ وَقَتِها سَمِحْتُ بِهَا الأَيَامُ بَعْدَ تعْزُرٍ(2)"

للزمن سلوك وأخلاق البشر:

يتصور الزمن يمثل صفات البشر من شمائل حسنة حميدة وصفات أخرى رذيلة. ووصف العرب الزمن بالحنانة والغدر والبخل والكذب أكثر من وصفه بصفات أخرى حميدة كالرحمة والصدق والكرم؛ بل إن سوء الطباع أمر أصيل في الزمن وحسن الطباع فيه إما هو استثناء نادر. والزمن تسب النهار عند النوازل والحوادث والصائب النازلة بها. ولن يحسن الزمن

(1) التيفافي، ص 37
(2) التيفافي، ص 50

129
إليك يومًا إلا ليدخر لك سوءًا في يوم آخر؛ يقول ابن المعتز: 

إن الله نِيالي لم تحسن إلى أحسان إلا أساءات إليه بعد إحسان

ومن الصفات الذيلية للزمن العذر والحيل أو تكييف حياة الآخرين؛ يقول 

محمد حمدي النشار:

إلا زمانُ للصفاء يبدد 
وليس ليوم الدهر في سلمه غد 
ومن ذا الذي يعطي الزمان أمانة 
ألم يقدر أن الغذر شيمة دهره 
فان سكن الدهر الخؤون هنئة 
فما هوا إلا للمهموم يجده 

قال البهم المحيطي:

خاناتهم الدهر بعد عزهم 
والدهر بالناس خائن ختل 
ولما خجل الزمان فأكثر من جوده، وكثيراً ما يشح على الناس بالأشياء الجميلة، واللحظات الهائجة، والناس الفضلاء؛ من ذلك قول أبي تمام:

هُيّهات لا يأتي الزمن بملته إن الزمان بميله لبخيل 

يستبعد الشاعر أن يأتي الزمن بملع المدبوح، في حين أنه قادر على أن يأتي بالشرار من الخلق. وليس ذلك بغريب على الزمن فكل عادته أن يكون بخيلاً. ويقول المعري في بخل الزمان بلحظات صفويه بها الناس:

بخل الزمان على الكرام بصفوه وكذاك فعل مباين الأخلاق

(1) ج.ك
(2) المختصر: حداد عن غفلة (ابن منظور، م، ج 11، ص 199
(3) ج.ك
(4) ج.ك

130
والمعري لا يستنكر تلك الصفة الذمنية التي تصف بها الزمن، وهي من أخلاقه وعادته، وكذلك فعل مباين الأخلاق.
قال شهاب الدين بن معتوق الوسوسي وصفاً للزهر بصفات حسنة والزمن بصفات سيدة:
والزهر يعكس ما تحاوله النوى متافيجمع بيننا ووفقُ
سمح إذا مطل الزمان نوعذة أوفي من الفجر الأخير وأصدِقُ
والدهر تطلق الدهر على الأبد وهي الأوقات المتوالية غير المتناهية
وغير الحدود. قال الأزهر،: إطلاقه على الزمن القليل مجاز وإتساع،
والموسو يجعل الدهر هو الأسمى أخلاقاً والأكثر حكمة وسماحة في حين يبدو الزمان أسوأ أخلاقاً وتصروا، وذلك التصور مستوحي من أن الدهر أكبر وأعلم وأحكم. وهي صورة سائدة عن العرب حيث ينسب حميد
الأفعال للزمان الذي يتمتعون بالحكمة والرشد وصلحون ما يفسده الشباب
أو الصغار من أعمال غير محومة، والكبير هنا(الزهر) الذي يمنع الفراق،
وحاول أن يجمع بين الناس، متسامح كريم. وفي ذات الوقت الذي يكون فيه
(الزمان) ماطلا كاذبا لا يوفي بوعده، يكون الدهر أصدق من الفجر الصادق
(1) الدهر: يطلق على الأبد وقيل هو الزمان قل أو أكثر قال الأزهر و (الزهر) عند العرب
يطلق على الزمان وعلى الفصل من فصول السنة وأقل من ذلك ويقع على مدة الدنيا كلها قال
وسمعت غير واحد من العرب يقول أفنى على ماء كما (زهر) وهذا المرعى يكفينا (زهر) ويبقينا (زهر) قال لن يقال (زهر) أربعة أزمنة ولا أربعة فصول لأن إطلاقه على
الزمن القليل مجاز وإتساع. (المقري: أحمد م محمد بن علي المصاحي النجير في غريب ال sher)
الكبير للراحفي، ج1، ص 290

131
المستنير المبين:

والزمن كاذب، مخادع، لثيم، أفّاك، خائن ماكر، وذو كيد عظيم.
ومكر الزمان وكيده معرف معلوم؛ حتى بات التحذير من خديعته ومكره
من نافلة القول. وإنا التحذير من أبناء الزمان هو الذي يدور في كلام
العرب؛ أما الماضي من الزمان والأوقات فهو خير شاهد على أفعال الليالي
في الناس مهما بلغت منازلهم ومهما اشتدت قوته.

يقول ابن الرومي:

مكر الزمان علينا غير مأمون
بل المخوف علينا مكر أنفسينا
إن الليالي والأيام قد كشفت
وخبترنا بأنها من فرائسها
واستشهدت من مضى مثا فأبانا
من هالك وقتيل بين معتبطة
فكيف مكر وهي الدهر تنذرنا
من الموادّ بالابتكار والعقول

الزمن لا يؤمن غدره، ولو رأيت منه يوما حسنا؛ فإنه لا بد أن يريك في
يوم آخر وجه السوء. والليالي "ما قدمت لأحد سعادة إلا عقبتها تغير، وما
سقط صفو الأماني بشرا إلا شاب كأسه يبكدير".

(1) ج. ك.
(2) القلقشدي، ج 14، ص 289

١٣٢
هل يطلب الإنصاف في الناس حازم، وهو الظالم المتحكم، 
أناشيء إنه لم أبكى لم يبكي، 
يقول ابن الصباغ الجذامي، يصف الزمن بالحيانة والبخيل:
منازل في المناد يهاجنين، بهما الزمن المخون غدا بخيرا.
ويقول ابن سنان الخفاجي:
علي أي حال فيك أعجب بلعرد، وما أنت إلا واحد من بني الدهر، 
فكن كيف ما شاء الزمن فإنه، لكيك مطاع القول مماثل الأمر.
ولو استعد الإنسان بالضمانات والتآمين على روحه وملكاته وقطع له 
الزمان العهد، فإنه لا بد مخفف وعده ولذلك هي عادته، وإذا الخلل في 
الإنسان إذ صدق الزمن آمن بقوله. ولا يأخذ بعدد الزمن إلا أحقه سفهه 
لا يعتبر من أعفله في الماضين من الأولين. يقول قس بن ساعدة الإيادي:
"ليها الناس، هل أناكم ما لم يأتي آباءكم الأولين، أو أخذتم عهدًا من 
السنين"(1)

ويقول ابن خفاجة:
وليلي إذا ما حلت قد بدأ قانقضة، تكشف عن وعود من الطن كاذب، 
من صفات الزمن التي تجعله مخلوقا كريها يمتلك سلطانًا قويا على 
البشر. ويتصرف فيه كالحاكم المستبد، وليس لهم حيلة إلا أنهم يعرفون آثم 
المعرفة، وليس لهم إلا انتظار تصريحه. قال أبو حصينة المعري:

(1) ج.ك. 133
وانقراض الكرام من شيم الدهر وَمَنْ عَادَةُ الزَّمَانِ اللَّهِيّ

ويكذب الزمن حينما نشترك في شعورنا به ثم لا يظهر لنا كما أدركتنا.

ومن ذلك: ظهور الفجر الأول حيث يبدأ كعمود من نور في آخر الليل يعقب ظلام، ثم بعد ذلك يظهر الفجر الصادق منددا عرضا في الأفق. وسما الفجر الأول كاذبا لأن ظهور النور في آخر الليل يخدعهم إذ يوههم أنه نور الصباح الذي سيئث ولكنه لا يظهر إلا ليغيب مجددا. وسسبب ظهور الفجر الأول إرباكا للمسلمين في تحديد أوقات العبادة من صيام وصلاة؛ لذلك يكون عمود الفجر الأول كرجل كاذب يخرج كل يوم. وقد علموا كلمة كذبه فهو (كذوب)، ثم يأتيهم فجر آخر قد لزمته صفة الصدق. يقول ابن عبد الله الأندلسي:

فَجَّرَ وَكَذَّبَ فَجَّرَ صَادِقٍ

والفجر عند شيوخنا فجران.

ويقول ابن الحاج النميري:

عَلَى أَنْفِ الفَجْرِ الَّذِي صَدَقَ الصَّبح

وَأَفْتَقَكُ بِشَرَّى إِنْ خَرِ بَشَّرِي كَمَا أَفْتَقَ

ويقول ابن زمرك:

سَرِينَا بِبَلِّيَ الَّذِي يَكَذِّب فَجَرَهُ فَلَمَا تَجَلَّى فَجُرَهُ صَدَقَ الفَجْرُ

ويظهر الزمن من المشاعر كما يظهر من البشر، فهو يفخر بما هو حادث فيه. والزمن يفخر بأبنائه من البشر ومن الأيام، وقد يفخر بعض أيامه ويجعلها تاجا على رأسه يزهو بها ويفاخر بها أمام بقية الأيام. يقول ابن معاذ: "شرف ضخم ونائل جزيل، وفخر شاهد وحسي وتنزيل. يفخر

(1) ج.ك

134
الزمان بوجودهم على ما مضى من الأزمة وسلف، ويتوج الدهر بأيامهم

(1) الخضر رؤوس سنه؛ فيحصل لها بذلك غاية الشرف.

ومن فخر الزمن بأفراد من البشر؛ يقول أحمد الكحلاوي:

"نحن الأمى بهم الوطن

ويتمنى الزمن بهم أفكاره..."

وفي فخر الزمن بعض أيامه دون بعض؛ قال الشيخ أبو المحاسن يوسف النهاتي في كتابه جامع كرامات الأولياء؛ عن أحد الأولياء: "وكثيرا ما كنت أذهب معه إلى زهوره; فتمر بنا هناك أيام يفخر الزمن بها علمًا ومذاكرة وذكرا.

(2)

ويتبه العربي أنه لا فعل للمؤمن على الحقية إلا أفعال الناس، ولا حركة له إلا حركتهم، ولا سوء خلق وقبيح سلوك يفعله هو بذاته وإنما يفعله الناس ثم ينسبه للزمن؛ لأنهم لا يرغبون أن ينسبهم لبعض من الناس.

وذلك لا ييرئ الزمن براءة تامة؛ وإنما الناس هم بنو الدهر وقد شابهوا أباهم ومن شابه أباهم فما ظلم. قال أبو عبد الله الحافظ أنشدني أبو سعد المؤذن قال أنشدني أبو العباس محمد بن شادل الباشمي:

"ليعيب الناس كلهم الزمانا وما لزمانا عيب سوانا

نعم زماننا والشيخ فينا

ولو نطق الزمان به رمانا (3)

ولا عتب على الدهر فإن العيب على بني والذم لأهله والناس"

---

(1) ج.ك.
(2) ج.ك.
(3) ج.ك.
بأزمانهم أشبه منهم بآباءهم"(1)

ور بما يجلى هنا البعد الثقافي وأثره في التشكيل الإدراكي لصورته الزمن عند العرب. ففي هذه العبارة السابقة يبدو الزمن كأنه شيخ القبلة وكبيرها، أو هو (الوالد الأكبر) الذي خرج بدنه وأهلوه عن استقامته المفروضة، وحكمته المقررة، والذي لا يجوز من ثم العتب عليه أو ذمه. وهذامعنى يدور في كلام العرب حيث تتجاوز محاولة تبرئة الزمان مما ينسب إليه، وأن البشر الذي يظلمونه. يقول ابن غلبون الصوري:

على فئة: يظلمون الزمن. ن لا ينزلون على واجب ومن الناس من هو أقوى وأشد بأسا من الزمان، حتى أن الزمن يبدو ضعيفا ومسلوب الإراده مقارنة به.

والشائع عند العرب أنه إذا استمر الزمن أمدا على العطف والرخمة، فإنه لابد أن ينبو عن تلك الصفة ويربك يوما شديدا، أو مصيبة جليلة. وصورة الزمن العطوف من الصور النادرة للزمن عند العرب. يقول أبو الحسن الموسوي:

انظر إلى الأيام كيف تعود، وإلى العمال الغر ككيف تزيد، وإلى الزمان نبا وعاود عطفه. فامات قلثة، وأورك عود.(2)

و هنا نرى أن العادة الملازمة للزمن في قول الموسوي هي (العطف). وقد نبا عنها فترة ثم عاود عطفه. وهو هنا يجعل العطف صفة ثابتة في الزمن

(1) ج.ث.ك
(2) بتمية الدهر، ج 3، ص 196

136
بخلاف السائد والشائع عند العرب من وصف الزمن بالصفات الذهبية.
وقيلما يتصف الزمن بالشمايل الخمسة، وإن اتصف الزمان بها فإنه
يصرفها لغير أهلها؛ يقول حمودة التونسي:
وَلَوَلَا حَلْمَهُ وَالْفَضْلِ بِعَدْيِ لَا حَلْمٌ لِّالرَّمَضَانِ عَلَى الْقَهَام
الزمن قاتل:
إذا استثناي تصوير العرب للزمن وحشا قاتلا، فإن مرور الأيام بحد
ذاتها يفتك بالإنسان ويتله. لأنهم يرون أثر مرور الزمن على كل جزء من
جسد الإنسان؛ على جلده، ولون شعره، وضعف عظامه، ووهن قواه.
قيل عن المجاج بن خالد: "وعاه المجاج بن خالد بن الحارث بن قيس بن
نصر بن عائشة ابن ذهل بن مالك بن سعد بن عبد الله حري من هرم، ولم من
الحياة. وزعموا أنه قال:
لقد طوَّفت في الأفق حتى بلت وقد أنى لي لو أبد
وأفنانى وما يفني نهار وليل كلما يضي يعود" (1)
وقال بعض الحكماء: "الأيام سهام والناس أغراس، والدهر يرميك
كل يوم بسهامه ويتعرمك بلياليه وأيامه؛ حتى يستغرق جميع أجزائه.
فكم بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك، وسرعة الليالي في دينك؟ لو كنت
لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص، وما هي عليه من هدم ما بقي منك

(1) السجستاني، ص 30

137
لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك، واستثقلت مر الساعات بكٌ(1)

ويقول ابن حمديس:

سبعين عاماً ترى شمسها
ونفسك عن زلّة راحبها
إليك أمانتها الكاذبة
فهل بستردم السالب
أما سلبت منك برد الشباب
إذ فوضئت
وإن دقائق ساعاتها
وأتيت ابن حمديس تيدي لنا تصويره عن الزمن الذي يسلب ولا
يعطي، وكيف يسترد من هذه الدنيا السالبة؟ ولا يحتقر مرور الساعات من
الزمان؛ فإنها تهشم من جسد الإنسان، وكل دقيقة تمر عليه تأكل وتشرب
وتتغذى من جسده، وذلك أمر لا يحتاج إلى برハン، فانظر إلى شبابك الذي
سلبت منه.

تعاقب الليل والنهار قاتل في ذاته دون أن يرمي الإنسان بصيحة أو
كارثة. وقالوا: أيلك الجَبيدا، والأَجدَد، والفَتيان، أي الليل والنهار.

وقال الباحث الجَعَلْي: 
غداً فَنيا دَهْر ورحاً عليهم
نهاز وليل يَكِرر التوالياً(2)
ولا مهرب من مرور الزمن علينا، وأينما حللنا فإن الزمن متعاقب علينا
وكل مكان في الدنيا هو تحت سلطة الزمن غير المحدودة. وما من سبيل
لمقاومتها أو الهروب منها. قال أشعـج السُلمي لابريس بن عبد الله بن

__________
(1) ج.ك
(2) المرزوقي، الأزمة والامكنا، ص 59
الحسين بن علي، وقد بعث إليه الرشيد من اعتزاله في المغرب:
أظن أن إدريس، أنك مفيّط. كيّد الخلافة أو يقيق جدار؟
هيهات إلا أن تتحلى بليدة، لا يهدي فيها إليك تهارٍ(1)
ويقول أبو البدى الصيادي في وصف غدر الزمن وسوء طباعه. وهو يناسب صفات الوحوش المفترسة التي تأكل لحم البشر مستمتعاً بتذوقها، ولا تستمع لكلام معتب أو ناصح:
 директор اعتبارك في الزمان
وتجوال فيتمنى 열ماً
بصناديق(2) وحالة إلى الأدائي
تعابه الخصال الغرم عمن
فأعرض مثل ذي صنف(3) ويكم
أيات أبي البدى الصيادي تصور لنا الزمن (وحشا) في مشهد متحرك
مع مؤثرات صوتية، بعد أن يأمرك أن تتأمل الزمن وأفعاله جيداً. وفي هذا

(1) زهر الآدائ، ج 2، ص 40
(2) البهنسى: البتجتر، وهو البهنسة. والبدي يهنىء في مشاه ويبتهى أي يبتكي. (ب ن)
(3) التلمثم: الأخذ باللغام ما يبقى في الفم بعد الأكل، وقيل: هو تبعي الفم والشفى، وقيل: هو تحريك اللسان في الفم بعد الأكل كأنه تبعي بقية من الطعام بين أنسانه، واسم ما
(4) الأصل: الأسملص(ص) (ل خ. ابن منصور، ج 3، ص 42)
(5) التضحية: تحريج الحية لسافارا، وتبادل للحية: نضانض ونضانضة. قال ابن جني: أخبرني
أبو علي يرفع إلى الأصمعي قال: حدثنا عيسى بن عمر قال: سألت ذا الرمة عن النضانض
فأخرج لسانه فحركه. (ن ض ض، ابن منصور، ج 7، ص 138)
الشهيد يمشي الزمن مبتخراً كالأسد، ثم يتحرك كالأفعى التي تلدغ الناس لدغات موجعة أكثر من طعن الرماح. ثم يأكل الأعالي بسرعة شديدة ويفيض ما يأكله على جوانب فمه فيحرك لسانه ليلعف الطعام خارج فمه متلمظاً، وإذا انتهى من الأعالي نزل إلى الأدنى ليأكلها فلا يبقى على شيء مرم على إلا التهمه. وهنا تتعلق الخصال الشريفة لتعابه: لم أخاف الناس الفضلاء؟ وقد كان من حقهم أن يؤمنهم ولا يوقد عيشهم، ولكننا نعرف بكل غور وكونه أصم أيكم، أو أنه قد انعقد لسانه فماعاد قدراً على الكلام.

الوحش أو الزمن في هذا المشهد يظهر لنا في أرض بها أشجار وشجيرات وأعشاب وكأن هذه هي الحياة الدنيا، والزمن لا يدع شيئاً ير عليه دون أن يفسده أو يتركه إلا أثراً سيئاً. وهو في ذلك لا يفرق بين إنسان طيب أو سيء، ولا يفرق بين الضعيف والقوي، مروره قبل جميع الناس الفقراء والملوك والأنبياء والعظماء.  

(1) من القصيدة:

لا تنس الملوك الشهود من قد
أناخت تحت ظلمهم الأمات
ترى أن الزمن بغي عليهم
وبيان بين محفور وعوان
فكيف يؤمل الفضلاء فيه
غياباً من فلان أو فلان
ومنيرته بأهل الفضل ما قد
رأيت وذا بدوي البيان
أهل إن المكارم والمساوي
لديه كما شهدها ضرتان
وحظاً لله مننة النдви
فمكن بالصير مدرعاً وسلام

140
وتصوير الزمن وحشا برأس أسد حاضرة في الميثولوجيا الفارسية، وهذه الصورة مشابهة لصورة آلهة الزمان (زيرفان) عند الفرس، وهو تمثال رجل برأس أسد له جناحان، ويلتف حول جسده أفعى ضخمة يعتلي رأسها رأسه ؛ شكل رقم (١٦).(١)

زيرفان

(١) انظر:簧 P.٣٦٠
Macey: Samuel, Patriarchs of time: dualism in saturn–cronus, father (٢)
وعمائل إنسان يسمك بيقده كرة - مفهوم شمسي - وإذا كانت تجلبه حية تعظ ذنبها فإنه مفهوم للأبدية، وهي رموز الزمن الألفيني المعروف لدى الفرس... ويدل فم "الستور" المنتوج قليلاً والمتشكل عن فكين ضخمين على القوة المدمرة للزمن الفرس.
وقد أظهرت حفريات أخرى ملكية بابوية في "كاستيل غاندولف" مجموعة أشياء منحوتة وموادها المركزي رجل برااس أسد مع وجود رؤوس أسود على البطين والركبتين ووجود حيتين تشردان على جانبه. ويعرف هذا التمثال بأنه آلهة الزمان."(1)
وهذا التكرار لهذه الصورة في أكثر من ثقافة إنسانية يعذنا تستنجد أن لها أساساً إدراكيًّا عاماً يتجاوز الخصوصية أو المخلية. وقود هذا الأساس الإدراكي هو الخوف البشري من الحيوان الوحشي المفترس (الأسد هنا) أو من الحيوان الوحشي المتخفي (الحيث هنا). ومن ثم أصبح هذا الحيوان هو (المجال الخسي/ المصدر) لتشكيل صورة (المجال المجرد/ الهدف) الذي هو الزمن.
الزمن إذن وحش ماكر يفتك ويبرك على صدور البشر ليودي بحياتهم. يقول قس بن ساعدة:

---
time, the watchmaker god, and father Christmas, 2010, University of
Georgia Press, P. 12

(1) سيرنغ: فيليب، الرموز في الفن والأديان والحياة، ت. عبد الهادي عباس، (دار دمشق
للنشر، دمشق، 1992 م; ط 1). ص 92.

١٤٢
فتك الزمان بملك حمير فتكة
أودي أبو كرب وعمرو قيله
أباداد ملك أذينة الصباح
لا تأمن مكر الزمان فإنه
أودي الزمان بشمر الصباح
وبرك الزمان على ابن هاتك عرشه
وعلى أذينة سالم الأرواح
ولأن مرور الزمن لابد أن يحدث أثره على ما يبر عليه؛ يرجو الشاعر محمد بن أحمد الحسيني المعروف بابن طاطبا أن يأخذ الزمان شبابه ولا يتعرض للليل بشيء فلا يتقيقع ظلامه؛ رغبة من الشاعر بأن يطول أمد الليل فلا ينضي. فكان أن طلب منه مقايضة أن يعطي الصبح شبابه ويدع الليل بقياً متمتعا بكواكه وأنسه. يقول:
والصبح يرقب من دجاه غرةٍ
متمضائل من سجفه يتطلب
وقد استجاب ظلامه يتقبع
حتي انزوى الليل البهيم لضوته
يا صبح هاـك شبيبتي فافتك به
ودع الـدـجي بـسواده يمتـمـع
ونرى في هذه الأبيات (الليل) منزولاً خافتاً من طلوع النهر الذي سيزيله بضوته. ويظهر الشاعر منتقذاً للليل من فتاك النهر به ويعرض شبابه مقابل الإبقاء على سواد الليل وظلامه. ولكن سنة الكون قائمة مستمرة وما حديث الشاعر مع النهر إلا أمانّ يعلم أنه مستحيلة الحدوث.
ومن صور فتك النهر بالليل قول الفرزدق:

(1) أذينة الصباح وشر الصباح; أسماء الملك من التباعة.

(2) ج.ك.
والشيب ينفجع (1) في الشاب كأنه ليّل يصبح يجانبه نهار (2)

وفي هذه الصورة الليّل وحيدا يصرخ من العذاب الذي قد أحاط به ليزيله من الوجود، وكان سرعة انتشار ضوء النهار كانتشار النار في المسامير، والليل يتلاشي مغطيا ليلي وسط ضوء النهار.

والزمن قاتل وإن اختفت الطريقة التي يقتل بها ؛ والمقدمين وصفوا الزمان وحشا قاتلا، أو طاغية مستبدًا، وظهرت صور مستمدة من مفهوم الزمن القاتل حديثا نسبيا مستمدة من حياتها المعاصرة ؛ يفتق فيها للزمن جامع الافتراس أو الفتاك مع الاستمتعاب بهذا الفعل، والتلذذ تعذيب البشر ؛ يقول السموري: "سجائر نحن ؟ بين أصابع الزمان، يشعلنا، يدخنا، يتصينا، ينشئنا، ثم يرمينا بعثابة ويدوسنا، والمصنع نتفج، والدهر المدن يدخن بشراهة (3)

كتاب هذه المقالة يفصل بين إله الخير (الله) وينسب الشر (الزمن)، ثم إنه ينسب الخلق إلى شيء آخر (المصنوع). وهنا نرى صورة الزمن الطاغية يسلم الحياة ويستهين بها، ويتلذذ تعذيب الناس، في حين أن المصنع ليقصد مصنوع التناسل البشري ؛ أي آليات الإجابة والتكتار، تنتج البشر وتتهب الحياة وتتلاك هي المخلوقات / السجائر التي يفتل بها (الزمن).

(1) النهوض: الراح من الموضع والقيام عنه. (ن هض. ابن منظور، لسان العرب، ج 7، ص 245)
(2) النيفاش: 81
(3) السموري: رائد، 28/3/2011، http://twitter.com/Alsamhouri

144
الزمن عدو محارب:

تقول العرب: "جنب الطوارئ" إذا أقبل الليل؛ يقال: "كأنه جنب الليل" يُشبه به العسكر الجرار، وجمالا الطائر يدها وبدا الإنسان جناحه وجمالا العسكرية جنباته.(1) وإذا كان الزمن جيشا مقاتلا؛ فلا بد من عدو يقاتله.

وعدُد الزمن هو الإنسان، وتتمثل صورته وهو محارب الإنسان في شعور الإنسان بذلك فعلاً. وهو محاربه حين يتجه في المطابقة بشيء ولا يصل إليه، وحينما يمر الوقت سريعا قبل أن يستطيع الإنسان تحقيق ما يريد، ويفوت أوان العمل الذي يريد إنجازه. ولا يمر الزمن دون أن يترك أثرا مؤذيا على جسد الإنسان من مرض وكهولة وضعف.

والزمن لا يفتئ من إطلاق سهام المذنبة التي تنحرف الأحباب، أو تفرّق بينهم. يقول جبريل:

لا يلبث القريناء أن يقرقوا
ولا يلتقا الزمن إلا رافعا سيفه محاورا لك بنفسه أو بينه. قال ابن المقرب العبوني:

فَجَرَّهُ لَهُ سَيْفٌ مِن العِرْمِ قَاضِبا
فَمَا الْذَّهْرُ سَمَاعًا لِمَن جَاءَ عَابِيًا
وَلا تَلْقَه مَسْتَعِبًا مِن ظَلَامَةٍ
وَجَانِبُ بَنيه ما إسْطَعَتْ فَإِنْهُم
بَلْوُتُهُمْ دُهْراً طَوِيلاً وَغَرْنِي
تُلَاوَهُمْ عُقَارِبُ لَيْلٍ لا تَزَاوَلُ صَوَارِبا
تَلَاوَهُمْ عُقَارِبُ لَيْلٍ لا تَزَاوَلُ صَوَارِبا

(1) العين، ج.3، ص.84
ويتفق كثيرا التعبير عن الزمن مع التعبير عن القضاء والقدر عند العرب.

وفعال الزمن هو ذاته القضاء والقدر؛ يُنقل عن الشافعي قوله:

دع الأيام تفعل ماتشاة وطُب نفسا إذا نزل البلاء
ولا تُعَمّ لحادثة الليلي فما حوادث الدنيا بقاء

ولذلك الإنسان دائما ما يشتكي الزمن، وينسب له قبائح الأمور والصائب؛ ولكن يظهر في شعر العرب مؤخرا الحث على مقاومة الزمن وعدم الاستسلام له؛ وذلك بالعمل والاستفادة من كل ثانية ودقيقة تمئته.

والاتصال على الزمن أن يقرب بعيدا أو يبعد عدوا، أو ينجز لنا شيئا احتفظ من لغة المتفائلين الناجحين؛ يقول إبراهيم طوقان:

وانهض ولا تشكي الزمان
نقول حواري الّزمن
وقعتت مكتوف البدي

يقول أحمد نسيم:
إن صوب الدهر فيهم سهم كارثة
كانتوا على الدهر أجبالا وأطواء
أو الزمان دهائم في خاصمتة

يقول أحمد العاصي متهما الزمن بمدادة مصر، وقد كان يعجز عنها في الماضي:

مال الزمن على مصر فأضعفها
وتأتها كما شاءت لياليها
ومصر ما قعدت يوما بهمتها
والدهر يکاد يعديها
بالآمس كانت لهذا الدهر معجزة
واليوم يعجزها خل بوسیها

وبالرغم من الصفات السوء في شخص الزمن إلا أنه لاسيما لكسب
المعالي إلا ببطيئة الزمن، ولابد أن يمر الوقت كي تصل إلى غايتها، ويجل
الحرب الزمن مطيعة تخضع لراكيها لتوصله للمكان الذي يريد؛ يقول محمد
بن عبد المطلب:
وركبتنا مدة الزمن ذلولاً (1) فمضينا لغابات الغامات
والذالة لا تكون ذلولا إلا بالترويض والاجتهاد والعمل على تدريجها
حتى تكون خاضعة للذليلة فتصير (ذلولا)، وضدها الذالة الصعبة التي
لاتذن ولا تنقاد لصاحبة.
والمذكرة لمقاومة الزمن صارت بأشكال متعددة في الوقت المعاصر،
والسيطرة على الزمن والانتصار عليه في هذه الحرب صارت تظهر في كلام
الناس بصورة أكبر؛ حيث يشير الإنسان منصرا عليه ؛ بل متحكما فيه. وقد
أصبح لدينا فنون للتحكم في الوقت والسيطرة عليه. وتنوعت الآلات التي
تaccine بها الزمن؛ لنتطوى من أصغر جزء منه. وصار التعبير عن الزمن أنه
شيء نتحكم فيه كمال تماما وأنه مورد لا ينضب إلا بانتهاء حياتنا. ومن باب
المفاخرة أن يعلن الإنسان أنه لن يستسلم لمرور الزمن وإفساده لكل ما يمر
عليه. يقول الكاتب سعد العمجي: "أو كمن أعلن التوقف عن الطموح
 والاستسلام للزمن، وأنا لست كذلك (2)" وظهرت تعبيرات تحت على عدم
الخضوع للزمن ومقاومته، وإخلاص الزمن لخدمة الإنسان بعد أن كانوا

(1) الذلول: أي المنقاد من الدواب.
(2) العمجي: سعد بن طلبه، أنى والفشل، مجلة المعارفة، عدد، 82،

147
خاضعين له، قال رضا الأصفهاني:

فرصة للشباب فانهزلوها في زمن أعوانه ساعات
والمبالغة في المديح، وإسباب قدرات خيالية بالغة الندرة والقوة؛
 يوسف الإنسان بقدرته على التغلب على مرور الزمن. يقول علي
الصنعاني:

ولهوافاء ليل خائفًا ممن هجوم الصبح ماطلغ النهار
مليك هذى الأيام حتى خشت سطواته الصم الحجار
والملوك المذهود في هذين البيتين قادر على تهذيب الأيام والليالي
وجعلها خاضعة تحت أمره ونهيه. وإذا كان قادرا على التصرف في الزمان فلا
شيء سيعجزه بعده؛ وكل أمر بعد ذلك سيكون دون الزمان سهلًا مبسورًا.

ومع عدم مقدرة الإنسان على الخلوص؛ يبحث عن أشياء تجعل من روحه
شيئا خالدا. وذلك يتجلى في انتصار الإنسان بالفنون الخالدة على الزمن
الذي يفهمه كلما مر به. والفن هو انتصار على الزمن، وتحرير للإنسان من
ربقه من خلال الأعمال الفنية الخالدة بحريتها المتجلدة وطاقاتها المتفققة
دوما. ذلك إن الفنان قادر على أن يستخرج الدائم من الوقت، والحقيقة من
المزيج، والباطن من الظاهر، والجوهر من المظهر، والمعنى من المبنى
وقد يقاتل الزمن الزمن؛ في صورة تكرر في كلام العرب نرى فيها

(1) البدر الطالع، ج1، ص452
(2) تبيين: راغب، كيف تصبح أديبًا، ص27 مدونة فنون جميلة:

148
جيش النهار يقتتل مع عساكر الليل المقبلة وفي يدها رايات الظلم السوداء،
فإذا أشرقت الشمس فإن ذلك إعلان انتصار جيش الصباح على جيش
المساء. يقول صفي الدين الحلبي:
وأسرق صبيحها فسألوا هزيع الليل في جيش هزيم
وكف الصبى حمله الليل البهيم
وهزيع من الليل طائفة منه نحو ثلثه أو ربعه. وهنا نرى هزيع الليل قد
ولى خاباً منهزما يجري أذيال الهزيمة في بقية ليله. انتصار الصباح يتمثل في
مشهد تمرزق فيه أثواب الليل البهيم وحلته السوداء، وتسع خروقاً من
كثرة السهام التي أطلقتها يد الصباح. وهنا يتسلى النور من خلال تلك
الخروع فما يبقى من ظلام الليل شيء.
في بعض الأحيان يستسلم الليل دون قتال، ويولي عساكره تاركاً
المكان بهدوء لطلائع الصباح المغيرة؛ يقول محمود سامي البارودي:
فلمَّا رأيت الليل ولى وأقبلت طلائع من خيل الصباح نفَّيزٌ
ومثلها قول ابن بسام البغدادي:
أما ترى الليل قد ولت عساكره يعراض الفجر بالإشراق قد طلعاً
ويستسلم النهار ليل في صورة أخرى، ويشبمن المكان ليتركه
لليل الذي كر عليه بجيشه. يقول أبو حاتم رأيت على حجر بطبرستان
مكتوب:
يومك يومان فخير وشر
نهار يزول وليل يكر

(1) ج.ك

149
الزمن جليس للإنسان:
تدور كثير من الحوارات بين الإنسان والزمن. يخطب الإنسان الزمن ويناديه، ويطلب منه ويرجوه. ويشعر به صاحبًا فيخرج معه وكأن الزمن يصحبه بشر يستأنسه به، يقولون: "كلما خرج من بيته مع الفجر (1)، أو يشعر بإقباله عليه فستقبله، يقال: "كان إذا رأى الفجر أقبل عليه (2)". ودائماً ينادي الشاعر العربي الليل، وبيته أحزانه وهمومه، ويرجو منه أن يجود عليه بأمانه، يقول ابن زيدون منجئاً الليل:
يا ليلٌ طلُّ، لا أشتهي، إلاّ يوَّصلِي، قَرْكَ، لوُتِّبَاتٌ عَنْدِي قَمْرَي، مَا بَت أُرَغْى قَرْكَ، يا ليلٌ خَبَرَ: أنا أَلَتْ عَنْهُ خَرِكَ، باللهِ إلَّا لِي: هلْ وَقَىً؟ فَقَالَ: لا، بَلْ غَدِرَكَ!
وَقَالُ الراَّجِزُ:
يَالِيلَ لَعَذَّلْنَ وَلَا مَلَاماً في الحُبِّ إِنَّ الحُبَّ لَن يَدَامًا (3)
ويطول الليل بأبي نواس، فيخلطبه من شدة الملل من إقامته وعدم انصرفه عنه، يقول أبو نواس:
أيُّاليِلَ لَا القَضِيَّتْ، وَيَاصِبْحُ، لا أَتَيْتُ طِرقًاهَا، فَلا اهتَديتُ

(1) الجاحظ، الحيوان، ج، ص 269
(2) ج، ك
(3) ابن دريد، ج، ص 308
ويقول إبلى أبو ماضي شاكيا الليل إلى الليل:

يا ليل قد أغرئت جسمي بالضناء
حتى ليؤلم فقده أعضاي
وأغسنتني يا ليل بالهم الذي
يسري الحشا وآلههم أعرس داء
يا ليل ما لك لا ترى لحالي
أغركا والآيات ومن أعدائي
رحماك لست بصرخة صماء

ثم يطلب من الليل الرحيل بظلمته لعل في طلوع الصباح عزاء له:

ين يا ظلام عن العيون قربما
طمع الصبح وكان في غزائي
ويدور بين الليل والشاعر حوار آخر، فيتلف الليل على الشاعر ألا
يشرب في النهار، ويهدده بالمقاطعة، أو أن يست ضوء البدر عنه فيكون الليل

شديد الظلم. يقول عبد الله بن محمد المروف بابن البغدادي:

في ليلة حلقت علي بطيها
لأقطعتك إن شربت نهارا
ولاسترر البدر عنك بظلمتي فيكون في ليل التمام سرا(1)

وحينما يكون الليل مؤنسا فإن طول بقائه يعود محبا، ويكون حوار

الشاعر مع حوار المحب الذي يجزع من ذهابه. يقول عبد الجبار بن

حمدس:

في صبح لا تقبل فإنك موحش
وياليل لا تذير فإنك مؤنس.

ويقول أبو فراس الحمداني:

فيا ليل قد فارقت غير متمم
ويما صبح قد أقبلت غير حبيب.

ومن لطائف الصور يقول الطغرائي:

(1) التيفاشي، ص٤٨

151
لُو أرتشي الليلٌ من صَبْبٍ فِدام لَهُ
أستودعُ الليل سِرٌّ وَهُوَ يَكتبُه
عن العيون ويأتي صحة الواقعي
الليل: المرتشي، والعاشق: الراشي، والثمن روح الراشي، والمقابل
أن يدوم الليل ولا يذهب. والليل دائما هو صاحب العاشق الولهان،
ومستودع سره بستر الظلم الذي يطمئن عيون الوشاة.
والليل ضيف محبة يأتى به الناس ويستقبلونه بالحفاوة، ويشيعونه
عند رحيله. ومن آداب العرب تشيع الضيف إلى باب الدار. وهنا يطلب
الشاعر إبراهيم طوقان من ثم أرته أن تشيع الليل عند رحيله في ذات الوقت
الذي تستقبل فيه شمس الصباح. يقول إبراهيم طوقان:
شيوعي الليل وقُومي إستقبلي طلعتة الشمس وراء الكرمل
ويناجي البهاء زهير ليلة الخامس عشر من الشهر; إذ يحضر بدرها
مكتملاً؛ فيذكر الشاعر وحده وعسانلس الليل بيرده؛ ف يقول ليل متحسراً
على نفسه متمانيا اكتمال المشهد بحضور حبيته:

يا ليلى بدرك حاضر باليت بدري كان حاضر
وإذا كان الليل طويلا ملأ وغاب الأصحاب عنه؛ فإن مشهد الليل
الطويل مثل البعيد عن صاحبه فلا يلقاء. وصاحب الليل هنا هو الفجر، ولا
يجل الفجر إلا أن يلتقى بالليل؛ ولكن هذا اللقاء لم يتم. يقول ابن عين:
فيا لك من ليل نأى عن صحبه فليس له فجر إلا يُؤول
ويقسم ابن حمدي الزمن إلى عدو وصديق؛ فالليل عدو، والنهار

(1) ج. ك.
صديق:
لله خلقنا بالغتنة خليقت
ويسط قربنا يوم صديق
(1)
وقد يكون الزمن جليسا ومحارباً، ولن يفعل إلا عدوا قد يستفيد الإنسان ما يقوله وقد يضروه. ولم يجلس الإنسان الزمن إلا لشدة ارتباطه بسير حياته حتى وإن كان هو عدوه الأول. يقول أبو الفرج المخزومي:
لمت الزمان على تأخير مطلق
فقال: ما وجه لومي وهو مظهر
فقلت: لو شفت ما فات الغني أمل
أخطأـت بل لو شاء سابور
أسرف فإنك في الإسراع معذور
والنصح حتى من الأعداء مشكور
(2)
وقد تقبلت هذا النصح من زمني
حركة الزمن:
يتحرك الزمن كحركة الكائنات الحية في التعبيرات اللغوية العربية؛ فهو يمشي ويركض ويطرد دائما إذا لم يتسع لعمل أردننا إنجازه بسرعة. وتعبر عن حركة الزمن مثل الإنسان في حركته يروح ويجلد، ويضي ويقبل، ويظهر
(1)اليوم: معروف مقداره من طول النهار إلى غروبها. (ي و م. ابن منظور، ج 12، ص 142)
(2)أبو نصر سابور بن أردشير الملقب بـ مهño الدولة، وزير هنالك الدولة. أتى نصر ابن عبيد الدولة بن بويه الدلمي كان من أكابر الوزراء وأماثل الرؤساء جمعت فيه الكفاءة والدرفاوية وكان بابه مختصر الشعراء. ذكره أبو منصور الشعيلي في كتاباته وعقد لمداحه بابا مستقبلاً. (وفيات الأعيان وأبناء آباء الزمان; ج 2، ص 354)
ثم يختفي. تقول العرب: "أقبل عام"، و"ليل قد مضى"، و"مرور الزمن"، و"تأدرك الليل". والمستقبل يقبل غفنا، والليالي الماضية ذهبت ومضت خلفنا، ونحن في سباق معه كي لا يدركنا في مكان لا تريد أن تكون فيه معه. ويتتحرك المستقبل غفنا في تعبيراتنا اللغوية اليومية. إذ نقول: "تفعل كذا إذا جاء يوم السبت"، و"إذا جاء يوم العيد ذهبنا لكذا". وعن الماضي نقول: "راح يوم الأربعاء"، و"رحل عننا عام كذا"، و"حل علينا عام كذا". ونذكر الزمن ضيف مستقبله ليحل علينا حاضرا، ثم يرحل ليكون الماضي. يقول الجرجاني: "وأنا الدنيا فثلاثة أيام: مضى أمس بما فيه فلا يرجه، وصار اليوم في يدك ينبغي أن تغتته. وغد لا تدري من أهله تكون أم لا. أما أمس الماضي فحكم مؤدب، وأما اليوم القادم عليك فصديق مودع، وأما غد فليس في يدك شيء إلا أهله."

قال زكى مبارك:

مرت الأيام والروح الحزين هائم الآمال يرجو كرمك
ويقول المؤيد في الدين:
وتجلى سباحة وأطلال ليل وتقبض عام وأقبل عام
ويقول سويد بن أبي كاهل الشكيري:
وإذا ما قلت ليل قد مضى عطف الأول منه فرجع
ويقول رشيد أيوب:

("1) ج.ك.
(2) ج.ك.

104
وقفت بعيداً بعيداً الفكر أراقب وحدي مرور الزمان
وإذا حل الظلام وهم لم يفرحوا بعد من إنجاز أعمالهم النهارية؛ عبروا
عن الليل كشخص يلاحقهم وصل إليهم ليمنعهم من إكمال عملهم. قال
النابه:

فإنك كليل اللذي هو مدركي. وإن خلت أن المتتأى عنك واسع
وفي تعريف (الخليفة) يقول الخليل: "وحبسه الجبل ما سرق من
الراعي في الجبال وأدركها الليل قبل أن يؤويها من المأوى (1)
يستخدم العرب تعبير (المداهمة) مع الليل؛ لأنه يقلى فجأة دون
استعداد ويلزم الناس بإيقاف أعمالهم، والدهمة هي (السود). والليل
يجب الرؤية بظلماته فيمنع الناس من رؤية ما يمكن أن يهددهم من السباع.
قال الأموي بعد أن فقد ذا الرياضتين: "لقد أصبحت نسطرة بعد فقد ذي
الرياضين بمنزلة رجل في فلآت إزدهرك الليل خاف من السباع. وإن واقعة نهار
خاف العدو." (2)

ويشعر الشاعر بقرب الزمن منه حين يقبل عليه وكأنه واحد من الناس
الذين يكون بينهم؛ يقول الشمردل اليروعي:

إذا ما أتى يوم من الدهر بيننا فحباك من أشراقه وأصائل (3)

(1) ج.ك
(2) الخليل، ج.3، ص 137
(3) ج.ك
(4) ج.ك

155
والزمن يتحرك وهو يحمل معه أحداثا سعيدة أو حزينة. ويكون المستقبل متجها نحو نمط مستقبلي، أو مقتب من الجمع. أو يهم علينا غاصبا منا شيئا ما

يقول ابن الطبطس في استقبال الزمان السعيد:

يا حذاء ساعة بالبشر قادمة بها علني تباشير الحياة السcka
إذ قال قائلنا للساعة اقترب:

وينزل الزمان مع الامل ليقدمه للإنسان: يقول ذو الزمة:

أنينا وشكوى بالنهار كثيرة
علي وما يأتي به الليل أفرح

والتعبير عن سرعة حركة الزمن أو بطا الزمن يكون بوصفه بأوصاف الإنسان السريع في حركته، أو بآية أوصاف الحيوانات السريعة. يقولون تعبيرا عن سرعة مرور الزمن: "طار الوقت" أو "الوقت يركض". وقد نقيس الوقت بحركة معينة من جسد الإنسان; نقول: "مر اليوم في رمشة
عين"، أو "في غمضة عين".

ويظهر لنا الزمان إنسانا سريع الخطوات عند الشعور بالسعادة، ويتنى الإنسان في مثل هذا المشهد أن يوقف الزمن، أو يبطئ من خطواته قليلا.

يقول الأيبوردي:

وذكرت عصرا أسرعت خطواته
ولمعي أخضر الحرباء نوم
ولأقم ما ذاك العصر لا يصرم

وقال الشريف المرتضى:

ساعات له بمرور مسرعة
علي وثقي العناء والتعب

(1) العين، ج3، ص 216

156
بينما يكون التعبير عن سرعة مرور الزمن بسرعة حركة الإنسان أو الحيوان، وبطاء حركته يكون التعبير عنها كذلك ببطء حركة الإنسان أو الحيوان؛ يكون هناك تعبير ثالث عند الشعور بوقوف الزمن وانعدام حركته بسكون الإنسان وإقامته وعدم انتقاله. فالزمن يكون مقيما لا يذهب ولا يتتحرك، في حظات الانتظار أو الخزن؛ ومنه قول امرئ الطيس الشهير:
فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغارة الفنيل شدت بذيل
ومنه كذلك قول التنوخي:
رب ليعلني كتِجَّوْنِي
ك تُقَيَّمُ ليّ لَيْسَ يَذْهَّبٌ
ويتحرّك الزمن بالنسبة لنا؛ المستقبل مقتراً، والماضي يرحل عنا، وساعات الحاضر مُرَّ علنا. يقول ابن طباطب: 
وليله مثل أمر الساعة اقتربت
كانت ولم تعتقل وهما ولا نظر
حتى تفضت ولم نشعر بها قصرا.
ويقول إبراهيم طوقان:
أمَّرُ علَيْي سَاعَاتٍ
وداع سَوْيَةٍ تَمَضي
وغير الزمن بطيئا وكأنه إنسان يبتكر ويتمتى في مشتهه. يقول امرؤ القيس:
وليل كموج البحر أرخى سدله
وفي كل يوم ينهض ليتله
وردد أعجازا ونقاء بكل كله.

(1) التيفاشي، ص257
(2) السابق، ص35
(3) أ.م

157
والعرب تقول دائماً (مطي) النهار أي: امتد وطال. يقال: مطي بهم السفر، ومطي بك العهد، كذلك مطي في مشيته وذلك إذا تبتخ ومد يديه(1). والكلخل من الفرس: ما بين حزمه إلى ما مس الأرض منه إذا رضى.
ويقال لكل أمر ثقيل: "اناخ عليهم بكلكلته"، وذلك لنقل مرور الليل على مهموم يكون مروره أشبه بمرور دابة تنوء بحملها وثقل وزنها وهي تتمطى في مشيته.

ولأن الليل ستر لقاء العاشقين؛ يكون الليل حارساً والصباح فاضحاً وواشيما. وقيل في الغبش (قبل الفجر): "بقيه لم يفضحها نهار"، يقول القاضي الفاضل مصورة الليل بواباً يجرس بيته البوي. ويدور حوار بينهما يرجعه فيه ألا يجيب عنهم:

بتنا على حال تسدر الهوى ورءى لا يكَن الْشَّرْح
إن غبت عننا دخل الصبح
وقال الليل وقلنا له
وطلب ابن النبي من الليل أن يمنع الصبح من الدخول عليه، وجعله حاجباً له:

قلت للليل إذ حباني حبيباً
و غناء يسبني النهى وعقاراً
وكن أنت يا دجي برد داراً(4)

(1) ابن منظور،ج
(2) المرزوقي،الأزمنة والأمكَنة، ص 132
(3) التيفاشي، ص 36
(4) ج. ك.
ولذلك يستقبل الناس الليل بما يشتهون لأن الليل يطمءن عين الرباه والوشاشة؛ يقول محمد بن يسیر:

حتى إذا اللَّيْلُ أُتِبَى مَتَّعِيًا واسْتَرَّتْ فِيهِ عِيُّونُ الرَّقِيبِ 
فَاسْتَنَبَّلِ اللَّيْلُ بِمَا نَشْتَهَى إِلَّا أَنَّ اللَّيْلَ نَهَارُ الأَرْبِبَ

يستر الليل الأجسام ولكنه عاجز عن ستر الأصوات. والليل زمن يسكن فيه الجو ويهدأ، ويصير سماع الأصوات فيه أكثر وضوحًا؛ حتى وإن كانت همسا. وهو بذلك إنسان يشي بهمآ السحرين للحاصلين؛ يقول أمين تقي الدين:

نَسْهَبَ اللَّيْلُ سَمَائِيْنِ لَتْئَلَا يَكْشِفُ اللَّيْلُ سَرْوًا لْهَمْسَوْنَ
ويصور أبو تمام مشهدًا آخر للمرأة التي لا يُنفِّعها دخول النهار؛ لأنها لا تفعل ما تخشي أن يفضح أمره. ولم تدخل تحت حجاب الليل في باب عيب. يقول أبو تمام:

نُقْيَةُ الجِيِبِ لَا لِيْلَ بِمَدْخُلُها 
في بَابِ عِيْبٍ ولاْصْبِحْ يَفْصِلُها
والزمن يجمع الأحبار ويفرقه، وهو المتصرف في أحوالهم؛ يقول مورج بن عمرو:

هُلَّ لِلَّزَمَانِ إِرَابٍ فِي تَصِرْفِهِ 
بِلِيْلٍ سَلَفْتُ مَنْكِنْ لَمْ يُعْدَ لِيْلٌ يَضِمُّ إِلَى نَفْسِ شَقِيقِهَا 
وَيَلْضِقُ الكَبْدَ الحرى إلى الكَبْدَ 
ويرفع الفجر ظلام عن الأرض كما يرفع الستار ليدعو نور الصباح

(1) ج. ك.
(2) ج. ك.

159
يقول ابن المعتز:

وقد رفع الفجر للظلماء، كأنه ظلٌّ "(1) على بيض تكشف جانبٌ.
والظلم هو ذكر النعام الذي يرقد على البيض. وسواه لون ريشه على
بيض لون البيض الذي يرقد عليه يبتعد من تحته، كصورة الفجر حيث
يظهر بياض لون البيض من تحت سواه ريش النعام كالليل مرتفعا عن طول
الفجر، والصورة هنا صورة متجهة تشبيهية للفجر. إذ يرفع ظل النعوم عن
الأرض كما يرفع النعام من على البيض، ويتكشف بياض قشة البيض مع
حركة طائر النعام كما يظهر ضوء الفجر متبنا على الأفق.

وفي مشهد آخر لطول الفجر، وتروية الصورة ببلاط يخرج من تحت
السود كما يخرج الرجل الكههل من خلف جلباب أسود، يقول أبو نواس:
لما تبدو النسيم من حجابهِ كطلعة الأشمش (2)
من جلبابهِ فإذا أقبل الصباح فإنه يقبل مهما يقبل الرجل الكههل ذو الشعر الأبيض.
وإذا أقبل الليل فإما يقبل مثل إقبال الشاب ذي الشعر الأسود. وتُصوَّرُ
العرب الشاب نهارا بجامع الوضوء والرشد. وكل حكمة وعلم وخبرة
تنسب للصباح، هذا إضافة إلى جامع لون البايض بين الشاب والنهار، وسواه
شعر الشاب العربي والليل. وفيه شيء من تعزية النفس، فقد الشاب
وحيويته جعلوا الشباب ليلا والمشيب نهارا؛ وإن كانوا لا يصرحون بذلك

(1) والظلم هو ذكر النعام.
(2) رجل أخط، وامرأة غطاء، وقالوا شخط الرجل في لحيته، وشخط المرأة في رأسها. (ش. م. ط.
أساس البلاغة، ص 338)
علانية ولكنها في سياق كلامهم. وكأنهم يقولون إن فقدنا حيوية الشباب وزهرته؟ فإن للمشيب النضج والرشد والوضوح والحكمة فهو نور أشعل في رؤوسنا. وقد تحسن أسامة بن منذ على ليل الشاب الذي لا يعود قائلا:
فما لي أرى ليل الشباب إذا جلّا وجاء نهر الشباب ليس يعود
ويقول ابن الرومي:
وجاء على ليل الشباب فضاءه نهر مشيب سرمد ليس يقدّف وعزاز عن ليل الشباب معاشرة فقالوا: نهر الشباب أهدى وأرشدت ونهر الشباب سرمد دائم لا ينهي إلا الموت، والعزة عن امتناع عودة ليل الشباب أن نهر المشيب أهدى وأرشدت. وربما أقبل الليل كأنسان يلبس جلباب أسود. يقول ابن المنتر:
يا رب ليل أسوق الجلباب لمتحفظةً يخفق كي غرارب
وقد يكون مجيء الليل ثقيلا على صاحبه لأن الليل يحمل معه هما ثقيلا يلبقيه على المهموم؛ فصور العبّريّ تقل هموم الليل أو مصاب الزمان كثقل دابة تهوي بقل صدرو على المهموم. يقول شاعر:
وألقى الليل كل كله عليه كأن سواده لون المداد والكلكل من الفرس: ما بين محزمه إلى ما مس الأرض منه إذا رض.
والكلكل صدر أي دابة، ويرقال لكل أمر ثقيل: "أناخ عليهم بكل كله"، أو "ألقى كله عليهم"; مشهد يستمد العرب من ثقل الدابة العظيمة إذا أراد أن تبرك بصدرو وهو أثقّل ما في جسدها. وكان قدوم الليل بظلامه يحمل الهوموم والأحزان ويأتي أن ينفضي يهبط بيقه على الإنسان العظيم
حيوان عظيم يبرك على الإنسان بصدره. حتى أنه يشعر وكأنه يلقي عليه كلله.

وقد يكون من مشهد نزول المصيبة التي يأتي بها الدهر كالشيء الثقيل الذي يهبط فجأة على الإنسان ويلقي بكل ثقله عليه. قالت أعرابية ترثي ابنتها: "ألقي عليه الدهر كلله". وكأن الزمن حيوان عظيم قد هبط عليه بكل ثقله وكتم أنفاسه فقتله.

ولا يقبل الزمن ويُدير على حالة واحدة؛ فقد يقبل ويُدير مستبشرا أو مكشرا. يقول ظاهر الخداد:

والأليل قد ولّى بعيمة راحل، والصبه قد وافى بشير مغرس

وحركة إدار الليل يكون مشهدا لكشف المستور ورفع الحجاب. وإذا كان الليل هو الذي يسلل الأستار، ويعد أطلاله على الأفق ليستر الناس ويبتتون تحت خيمته؛ فإن هو الذي يقوّض هذه الخيمة ويتنزع أطلالها فلا يبقى بين الناس وبين ضوء الشمس حجاب. يقول شرف الدين التيفاشي:

"نَبْتُ نُدْنِيًّا إن السَّلِيك قد صخبا، والأليل قُوَّض من خيمته الطنبا، والليل يلقي بستاره على الناس حينما يحل الظلام. والفجر يرفع ستار الظلام ليشرق ضوء الشمس. ويظهر النهار وهو ينشر ظلام الليل ويبدده أو يحوه. يقول شاعر:

بريدي بشر حاف الغادر بعدما نشر النهار سوء ليل مظلم (1)

ومن صور تعاقب الزمن ومطاردة بعضه بعضًا، وذلك في حركة تعاقب

(1) الجاحظ، البيان والثبيين، ج 1، ص 401

162
الليل والنهار. ومشهد النهار يطرد الليل بإشراك شمس الصباح، كشخصين يلحقا ببعضهما؛ الأول يمشي سريعا فيتعرّض فيما أمامه من عجلته، والآخر خلفه يطرد حاملا رايات من نور. يقول عبد الله بن محمد الأزدي:

والليل يعثر بالكواكب كلما طردته رايات الصباح المشرقٍ(1) وفى مشهد آخر يعثر الليل في مشيته ويرتيل في خطاه ويتشّيه النهار.

حافيا بعد أن انتهى شسع نعله؛ يقول ابن دارج الفسطاطي:

سماً(2) ليل بات مرتبك الخطي ونكباء(3) يوم ظل منقطع الشعع(4) والتعبير عن حركة الزمن بالمشي والمرور يصوّر الزمن شخصا ذا قدم، وفي هذا التصور يكتمل جسد الزمن بشرا له صفات الإنسان. وأقدام الزمن ليست مختصة بفعل المشي فقط؛ بل إنها قد تدوس الأشياء استهانة بها. وقد يقف الزمن عليها للقيام على أعماله. يقول ابن هانئ:

طرقتُ فتاة الحيّ إذ نام أهلها(5) وقد قام ليل العاشقين على قدم(6) وقول مسلم بن الوليد:

خلوته بها والليل يقطن قائم على قدم كالراهب المتبنِّي(7) والعرب تقول عن الشيء قائم على قدم وساق إذا كان العمل فيه.

__________________________
(1) التيفاشي، ص 89
(2) ضرب من الطير نحو السماء؛ واحتدته سماها. (س.م. ابن منظور، ج 12، ص 305)
(3) النكبة الريح الناكرة، التي تنكب عن مهاب الرياح القموم. (ن. ك. ابن منظور، ج 1)
(4) الشعاع: أحد سيور النعل. (ش. س. ع. ابن منظور، ج 8، ص 18)
(5) ج. ك.
متواصلًا و☀وارًا. ولأن الليل في الينين السابقين حافل بالأحداث الموالية الكبيرة عند الشاعرين صار الليل قائمًا على قدمه. وفي مقابل صورة الليل المستيِقظ القائم على قدميه صورة الناس النائمين؛ فإذا نام الناس استيِقظ الليل.

وَهَنَاكَ امِتِهانُ الزَّمَنِ لِلْناَسِ وَأَحْتَارَهُ لَهُمْ حَتَّى أنَّ يُذْوَسُهُمْ بِأَقَدَامِهِمْ.

يَقُولُ فَأَرْوَقُ جَوِيدَةَ:

هَكِذَا غَضَبَيْنَ خَارِي

تحت أَقَدَامِ الزَّمَانِ (1)

يَقُولُ أَبُو العَتَاهِيَةَ:

وَمَا زَلَّتْ مَزْمُومًا نُقِّادُ إِلَى البَلَى يُسَوَّقُكِ لَيْلًا مَرَةً وَنَهَارًا

وَالْسَوْقُ فِيهِ دِلَالَةُ عَلَى الْإِقْتِبَادِ أَنَّ الزَّمَنَ يسَرُّ الإِنْسَانَ كَمَا يَشَاءُ لا حَسْبُ مَشْيَةِ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ مَنْ يَحْتَارُ طَرِيقَهُ فِي الْحَيَاةِ إِذَا الزَّمَانُ يَقُودُهُ فِي الْبَلَى كَمَا يَسَوَّقُ الإِنْسَانُ البَهْتَامُ أوَّلَ الْعَبْدِ وَقَبْلُ فِي الْمَثْلِ "مَنْ كَانَ النَّهَارُ وَالْمَرَّةُ زُوَّاهُ فَيُسَارُ بِهِ وَإِنْ لمْ يَسَرْ" (2)

يَقُولُ ابْنُ الْمَعْتَزِ:

فَوَرَدتْ قِبْلَ الْصَّباَحِ الْمَغْتَهَابِةِ وَالْأَفْقَ الغَرْبِيُّ ذُو الْتَتَمُّودِ

وَكَانَ النَّهَارُ يِسَبَقُ الزَّمَنَ لِيَسَلُّ قَبْلَهُ فَهَلَّ الصَّباَحُ غَدًا؟ وَالْغَدُو هو السِّيرِ وَالْزَهَابُ وَالْتَبَكِيرُ أَوْلَى النَّهَارِ. وَهَذَا وَقِيفُ التَّبَكِيرِ جَاءَ لِلْصَّباَحِ حِيْثُ ذُهِبَ

(1) أَمَّ
(2) يَك
باترا، يعني بذلك لحظات الغروب، بدليل قوله "والأفق الغربي ذو الموت"؟ فالخيل سبقت ووردت لتشرب الماء قبل أن يغادر النهار تماماً.

استمرار حركة الكون وتعاقب الليل والنهار يعني استمرار الحياة وعدم توقفها. وتوقف تعاقب الليل والنهار يعني نهاية الكون، أو انتهاء الحياة للإنسان. قالت زينب أم حسانة الضبية:

وريح صبا تجذب إذا ما تنسمته ضحي وسرت جنح الظلام خبيته
فأقسم لا أنبى مما دعت حية وما دام ليل عن نهار يعاقبه
تعاقب الليل والنهار صورة تتكبّر في كلام العرب لطرائد بيض تلحق بها طرائد سود؛ يقول ابن زمرك:

كالليل طارده بيض نهار
سويد وبيض في الطراد تابعت
يقول مجد الدين بن فضل:

هيئة يا أوتي بعودك سالما
وقيت ما طرد الظلام نهار
وأيذا كان الزمن قادراً على الذهاب بالناس أو الأشياء؛ فإنه قادر على الجيء بهم. والمتفائلون فقط هم الذين ينظرون للزمن بهذه النظرة التوازنة.

وهم كذلك ينظرون بها للناس؛ فليس الإنسان كله شر محض، ولا خير محض إنما من هذا وذاك. يقول أسامة بن منذر:

فقلت نعم فرقت ما جمعت يدي وأرجو الغدا يأتي بما أنبى الأمسُ

(1) الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج2، ص254
(2) اللطسي، ج1 ص182
ويقول مبارك بن حمد العقيلي:

ذهب الأمس بـ... كأن فيه من سـور
وأتيى اليوم الذي فيـه تـسير الأمـسـور
ومن المتبقرين في حكمة الزمن وتقلبه بين اليسر والعسر، إبراهيم

اليازجي إذ يقول:

"هـو الـجر لا يـبقى عـلى شـتـر حالـة قـبرة بـلي سـقما، وـيـسر بـلي غـسرا
يَمَحَّصَهُ!" هـذا الـجر صـبر رـجاله فـالقـسوة التي يراها الإنسان من الزمن، والمصائب التي تحل به؛ ليست

إلا لتبين معدنه، وتخرج منه أفضل ما فيه، وليعلم الصابرين منهم الذي

سيظهر نقاء معدنهم مع شدة مصائب الزمن.

والمشائمون لا يرون في الزمن إلا شرا، ولا يرون يتصرف إلا بسوء؛

قال جلاوح:

"ومن جهلها ترجم لنا الغد شافيا، على أن هذا الداء أحدثه الأمـس
والحكاماء يعلمون أنهم قادرين على كسب ود الزمن فيجعلون مروره

في خدمتهم ويعمل لصالحهم، يقول حافظ إبراهيم:

رجال الـجر المـأمول لا تـتركوا غـداً يـمَر مورَزم الأـمس وعـيشُ أـغـبر
والعاقل يتحسس على مرور الساعة دون إنجاز ما يريد؛ ويشعر بالساعة

(1) المحسَّن: خلوص الشيء، مصاطب عصا: خلصته من كل عيب. (م ح ص، العصين، ج7،
ص 127) و يمحص ذهب المعدن أي يخلصون بعضهم من بعض كما يخلص ذهب المعدن من
التراب. (م ح ص، لسان العرب، ج7، ص 90)
كأنسان يمر عليهم ثم يذهب ولا يعود. كأن الفرزدق يقول: "تمري علي الساعة وقلت ضرّ من أضرامي أهون علي من عمل بيت من الشعر" (1).

يتحرك الزمن بشكل دائري باستمرار كما تتحرك عقارب الساعة.

والتعبير بدوران الزمن وعودته عند النقطة التي بدأ منها دوما كثير في كلام العرب. وكل يوم يعود ليبدأ دورته من النقطة التي انتهى عندها وكأنه إنسان يدور حول نفسه. يقول التجاني يوسف:

«إنظر الأيام في دورتها، تجدها في كثرة أخوات بعضها شبه الأخرى وتكثر الأيام في كثرة أخوات بعضها شبه الأخرى.»

وإذا عرفنا أن الشاعر نشأ نشأة دينية صوفية محض لنا مشهد الرقصة المعروفة عند مبتعي الطريقة الصوفية، التي يكون الرقص فيها بالدوران حول النفس، فإنه يوافق الرقص فيها متسقا مع حركة الكون. ولكن مشهد رقصة الأيام الراقصة فيها نساء وهنا أخوات متشابهات، وتلك هي رؤية الشاعر للزمن التي تنبت من تجربته الشعرية الخاصة حينما تأمل تشابه الأيام وتكرار حركتها المتسقة بنظام معلوم.

ومن تصور الزمن يجري في حركة دائريه متكررة; يبدأ فيها من حيث انتهى، ثم يعيد ما قد أخذه وسلبه; يقول علي الجارب:

أين يلمك الأيام بفتيُّ وشًا وتولَّست بنشاهة الأحباب؟

أين تفعَّل الأيام أجرامها تغيّب يومًا عهدًا

فكلها أرى الزمان وقد ذا.
الزمن آلية:

يبدو لنا في ظاهر كلام العرب أنهم يعتقدون أن الدهر أو الزمن (الله) شر، وإليه ينسبون كل مصيبة تقع لهم. قال الخطيبي: "كان أهل الجاهلية يضيفون المصائب والنجوم إلى الدهر الذي هو مرّ الليل والنهار. وهم في ذلك فريقان؛ فرقة لا تؤمن بالله، ولا تعرف إلا الدهر الليل والنهار اللذين هما محل للحوادث وظرف لمساقط الأقدار، فنسبت المكارة إليه على أنها من فعله، ولا ترى أن لها مدبّرًا غيره. وهذه الفرقة هي الدهرية التي حكى الله عنهم: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا غوت وغيا وما يهلنا إلا الدهر). وفرقة ثانية: تعرف الخالق فتنزهه أن تنسب إليه المكارة فتضيفها إلى الدهر والزمان. وعلى هذين الوجهين كانوا يذمون الدهر ويبونوه، يقول القائل منهم: بابية الدهر، يا بأس الدهر." (1)

الفرقة الأولى من العرب وهم الدهرية لاتؤمن بإله؛ وإما تنسب المكارة للدهر حيث إنه محل للحوادث وظرف لمساقط الأقدار، والفرقة الثانية التي تؤمن بالله تنزه الله عن نسبة الشر إليه فنسب الشر للزمن.

يذكر فراس السواح أن مفهوم التوحيد الذي صاغته الديانات المشتركة بشكل خاص؛ في سياق الألف الأول قبل الميلاد، يترافق مع صعوبة ذات طبيعة فكرية وعاطفية في آن معا. ذلك أن الإسلام بإله واحد هو علة الوجود

(1) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، نسخة أثرية ياسين، مكتبة الشيد، الرياض، 1433/2002 م، ط 2، ج 9، ص 329, 168
والتحكم بجميع مظاهره؛ يجعل مشكلة وجود الشر في العالم بدون حل. لقد كان من السهل تعليل الشر في المعتقدات الوثنية التعددية بأنه نتاج تناقض أهواء الآلهة ومقاومتها، أو أنه نتيجة طبيعية لوجود آلهة خيرة وأخرى شريرة. أما في معتقد التوحيد الذي يترافق مع تصور الله تعالى أنه كله القدرة وكله المعرفة وكل الحضور، وعلى أنه معنع العدل والخير، فإن تعليل الشر يغدو بمثابة المهمة الأولى والملاحا المطروحة أمام أي معتقد توحيدي.

وقد حل الإسلام إشكالية نسبة الشر للشيطان حيث يثير الوساوس للإنسان في الشرور، ولكن ذلك فيما هو من شر من فعل الإنسان؛ لكن ما يتبع للناس وللطبيعة من مصائب وكوارث ليست من فعل الإنسان، ولا يستطيع أن ينسب هذه المكاري للبشر، ولا أن ينسبها للشيطان مصدر الشرور. ولذلك استمر العرب في نسبة المصائب والكوارث التي لا حيلة لهم فيها للزمن أو للدهر؛ فقول القائل منهم: "يا خبيئة الدهر"، "يا بوس الدهر".

ولكن الإسلام دين التوحيد ولا شريك لله يفعل خير أو شر؛ وكل ما يقع في الدنيا هو حادث بأمر الله تعالى: "قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وآنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" (1) وسبب ذلك أن العرب كان شأنه أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها؛ من موت، أو هرم، أو تلف مال، أو غير ذلك فيقولون: "يا خبيئة الدهر".

(1) السواح: فراس، الرحمن والشيطان، دار علاء الدين، 2000م، ص 2.
(2) ج.ك.
وينتوقف هنا قليلاً نتأمل هذا النص الذي يقوله الله تعالى: "الله الدهر" وتتساءل: هل آمن العرب المسلمون بالدهر (الله)? ودلاله ظاهر النص تقول: الله الدهر. هل يعتقد المسلمون المتقدمون والتأخرون أن الدهر إله؟ في النص التالي يبين معنى الدهر وتصريف الله في الدهر: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل: "يُؤذيني بن آدم يقول: يا خبّيحة الدهر فلَا يُقوَّلُنَّ أهَدَكُمِ يا خبيَّة الدهر؟ فإنّي أنا الدهر أقَلِبُ لَّهُ ونهاهُ فإذا شئت قبضت همًا".

قال أبو هريرة SMعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل "يَسْبُ عِنْدَ أَيْمَانِ الْرَّحْمَةِ اللَّهُ الدهر وآدم الدهر يُبَيِّنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ"(1) والتقدير أن ابن آدم يسب من فعل هذه الأمور، وأن أفعاله إذا سب الدهر فمقضوه سب الفاعل، وإن أضاف الفعل إلى الدهر، والدهر لا فعل له، وإن الفاعل هو الله وحده(2).

ويفصل الخليل بن أحمد بين مفهوم الله ومفهوم الدهر والعلاقة بينهما، ويقول: "وقوله: "لا تسوا الدهر فإن الله هو الدهر" يعني ما أصاب من الدهر ففاعل وليس الدهر، فإذا سبت الدهر أردت به الله عز.

(1) ابن حبان، الإحسان في تقرير صحيح ابن حبان، تح. الأمير علاء الدين علي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408 هـ، ص 24، ج 1.
(2) ك.ج.
(3) ابن تيمية، أحمد الخراشي، مجموع الفتاوى، ت. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دت، ج 1، ص 345.

170
والدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لأمره مذلل للسخرية؛ وسُرُب متضمن للشرك؛ فإنه إذا سبه لظن أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر، وأعطي من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان. والدهر عند شائه من أظلم الظلمة. وبذلك يكون السب منهم يقع على من فعل هذه الأعمال (وهو الله)، ولو أتبع الله أهواءهم لفسدت السماوات والأرض. وإذا وقعت أهواؤهم حتدوا الدهر وأثروا عليه. وفي حقيقة الأمر رب الدهر تعالى هو المعتدي، المانع، الخافض، الرافع، المعز، المذل. والدهر ليس له من الأمر شيء فسميتهم للدهر مسبة الله عز وجل. ومن سب الدهر يكون داراً بين أمرين لا بد له من أحدهما؛ إما سب الله، أو الشرك به. إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعله فقد سب الله وذلك من الموبقات.

ويحاول بعض العرب الفصل بين مفهوم الزمن ومفهوم الآلهة. وتفضيل قدرة الله التي تتجاوز قدرة الزمن أو الدهر، لأن أعمال الدهر وفعال الله خير. يقول الثعالبي:

حمدتِ إلٍّي والزمانة دمتُ فقد طالما أغرى بقلبي البلايلا
وعندي من يوم الزمان دقيقَ أُعدُّ لها من فضلِ ربي جليللا

(1) الحاج، العين، ج4، ص22
(2) انظر ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أبوب الزرعى، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ /1994م، ط2، ج2، ص354

171
وفي تصريف الله تعالى للزمن وتسيره للزمن حيث يترسّف في حركة
الشمس والقمر؛ ينقل الطري الراوية التالية التي تعمل على تمثيل الزمن من
مبتذئه إلى منتهائه: قال: "وجعل الله عند المشرق حجابا من الظلمة على
البحر السابع مقدار عدة الليالي منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم تصرم؛ فإذا
كان عند الغروب أقبل ملك قد وكل بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك
الحجاب ثم يستقبل الغرب فلا يزال يرسل من الظلمة من خلل أصابته قليلا
قليلا وهو يراعي الشفق؛ فإذا غاب الشفق أرسل الظلمة كلها. ثم ينشر
جناحيه فيلغان قطري الأرض وكتفي السماء، ويجاوران ما شاء الله عز
وجل خارجا في الهواء؛ فيسوق ظلمة الليل بجنابيه بالتبنيح والتقديس
والصلاة الله حتى يبلغ المغرب. فإذا بلغ المغرب انفجر الصبح من المشرق
فضم جناحيه، ثم يضم الظلمة بعضها إلى بعض بكفه، ثم يقبض عليها
بكف واحدة نحو قبضته إذا تناولها من الحجاب بالمشرق فيضعها عند المغرب
على البحر السابع من هناك ظلمة الليل؛ فإذا ما نقل ذلك الحجاب من
المشرق إلى المغرب تفخ في الصور وانقضت الدنيا، فضوء النهار من قبل
المشرق، وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب. فلا تزال الشمس والقمر
كذلك من مطالعهما إلى مغاربهما إلى ارتفاعهما إلى السماء السابعة العليا إلى
محبسهما تحت العرش. حتى يأتي الوقت الذي ضرب الله لتوية العباد؛ فتكفر
المعاصي في الأرض، ويذهب المعروف فلا يأمر به أحد ويفشى المنكر فلا
ينهي عنه أحد. فإذا كان ذلك حُبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش،
فكلما سجدت واستأذنت من أين تطلع لم يبح إليها جواب. حتى يوابيها
القمر، ويسجد معها، ويستأذن من أين يطلع؟ فلا يجار إليها جواب ؛ حتى

١٧٢
يجسهما مقدار ثلاث ليل للشمس، وليلتين للقمر، فلا يعرف طول تلك الليلة إلا المتجدون في الأرض، وهم حينئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين في هواهن من الناس وذلائل من أنفسهم: فينام أحدهم تلك الليلة قدر ما كان ينام قبلها من الليلي، ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي ورده، كما كان يصلي قبل ذلك ثم يخرج فلا يرى الصبح! فينكر ذلك ويظن فيه الظلمون من الشر، ثم يقول: "للمع خففت قراءتي، أو قصرة صلاتي، أو قمت قبل حيني" ثم يعود أيضا فيصلي ورده كمثل ورده الليلة الثانية، ثم يخرج فلا يرى الصبح! فزيده ذلك إنكارا، ويخلطه الخوف! ويظن في ذلك الظلمون من الشر، ثم يقول: "للمع خففت قراءتي، أو قصرة صلاتي، أو قمت من أول الليل" ثم يعود أيضا الثالثة وهو وجل مشفق ما يتوقع من هول تلك الليلة، فيصلي أيضا مثل ورده الليلة الثالثة ثم يخرج، فإذا هو بالليل مكانه، والنجوم قد استدارت، وصارت إلى مكانها من أول الليل. فيشفق عند ذلك شفقة الخائف العارف بما كان يتوقع من هول تلك الليلة! فيستلمح الخوف ويستخف البكاء، ثم ينادي بعضهم بعضا، قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتوارلون فيجمع المتجدون من أهل كل بلدة إلى مسجد من مساجدها، ويتأرون إلى الله عز وجل بالبكاء والصرخة بقية تلك الليلة والغافلون في غفلتهم حتى إذا ما تم ليهما مقدار ثلاث ليل للشمس وللقمر ليتين آتاهما جبريل فيقول: "إن الرب عز وجل يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكم فتطلعوا منها، وأنه لا ضوء لكم ولا نور." قال: فيكأن عند ذلك بكاء يسمعه أهل سبع سماوات من دونهما، وأهل سرادقات العرش وحملة العرش من فوقهما، فيكون لبكائهما مع ما يخالطهم من خوف
موت وخوف يوم القيامة. قال: فيننا الناس يتظرون طلوعهما من المشرق؟
إذا هما قد طلعا خلف أفقينهم من الغرب، أسودين مكورين كالغرارتين،
ولا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك؛ فيتصبح
أهل الدنيا، وتذهل الأمهات عن أولادها، والأرحى عن ثمرة قلوبها؛
فتشتغل كل نفس بما أتاها (1)
وهذه الرواية التي نقلها الطبري هي تثبت لما يعتقد الإنسان المسلم عن
الزمن أو الدهر وعلاقة ذلك بالله، وهنا يبدو الزمن في قضية الله الذي
يصرفه حيث يشاء.

خلاصة:

هذا الفصل هو الأكثر حظا بالمادة اللغوية من المدونات التراثية. وتتنوع
صور تشخيص الزمن في كلام العرب قائمة بصورة ثرية جدا، وتأخذ مساحة
كبيرة من كلامهم؛ لاتصالها بشكل مباشر بمحاولة فهم الإنسان للكون
الذي يعيش فيه وما يحدثه الزمن من أثر محسوس دون أن يكون الزمن ذاته
محسوسا. وإدراك الإنسان للزمن ما هو إلا إدراك لأثره على الأشياء؛ فالزمن
حاضر دائما في بُعد تشخيصي بصورة (الفاعل). كما أن هناك تشابها كبيرا
بين إدراك الإنسان للإله وإدراكه للزمن، يومن بوجودهما مع أنه لم
يدركهما حسياً، يعرفهما فقط من خلال الأثر الذي يحدثونهما. وهذا الأثر

(1) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الطبري، (دار التراث، بيروت، 1387 ه، ط 2)، ج،
ص 50

١٧٤
مرتبط بالمحسوسات. وفي مواضع كثيرة من كلامهم وجدنا أن الزمن هو ذاته آلبة، وتمثّل في مواضع أخرى في صورة امرأة ولد تنجب الأيام والإنسان. وللزمن مثل دورة حياة الإنسان إذ يولد طفلا وينمو ويكبر حتى يصير شيخا. ثم يظهر الزمن في كلامهم في صورة الإنسان بكلم أعضاء جسده من أنف وعينين وليسان وشفتين وأقدام ويدين، ويفعل أفعال البشر ويارس سلوكاتهم من خير وشر. وقد يظهر الزمن في صورة الوحش الذي ليس له شبيه من الوحش المعروفة فتجتمع فيه صفات جسد السبع والأفاعي والأسود في آن معا. والزمن قاتل دائما في صورة وحش أو في صورة جيش أو في صورة إنسان. وللزمن أيضا جانب طيب حينما يكون الإنسان وحيدا فلا جليس له يناجيه إلا الزمن؛ لأنه جزء من وجوده، وصديق حميم ولكنه لا بد أن يغدر به يوما ويقتله، وما يعلمه كل إنسان على وجه اليقين أنه مهما طال عمره لا بد أن يأتي يوم وينقضي الزمن الخاص به. 

١٧٠
الفصل الثالث: الابد التجريدي

- مدخل
- الزمن مادة جامدة
- الزمن مادة سائدة
- الزمن ستار أو رداء
- الزمن لون
- الزمن مال يستمر أو بضاعة ذات قيمة
- الزمن كتاب
- الزمن شجرة
- خلاصة
مدخل:

يستمد الإنسان تصوره للمفاهيم من الطبيعة التي يعيش فيها، ويراها ويدركها بحواسه، وكل تصور أو إدراك للزمن سيكون مستندًا من هذه الطبيعة بشقيها؛ الطبيعة الصامتة، أو الطبيعة الحية. ويستخدم العربي مفهوم المادة في كل صورها (الزمن) وبذلك يتم بناء مفهوم الزمن (المجال/الهدف) من خلال تصويره مفاهيم وعلاقات المستمدة من مجال المادة (المجال/ المصدر) وهذا المجال تكون الصور فيه مستمدة من الطبيعة الصامتة؛ وذلك في صور المادة التي يراها العربي في طبيعته المحيطة به في بادية الصحراء أو مداين الحضر وبيوتهم، والصور المستمدة من الطبيعة الحية سبق تفصيل أمرها في الفصل الخاص بالبعد التشخيصي.

في هذا الفصل الزمن جزء من الطبيعة (غير الحية). وعناصر الطبيعة غير الحية؛ أجسام صلبة؛ مثل الصخور والجبال وكل المواد الجامدة الخام أو المصبعة، أو سائلة مثل الأنهار والأودية وكل أنواع السوائل، أو الغازات التي تتخذ أشكالًا مختلفة ويراها الإنسان أو يدركها بحواسه. يقولون: "الزمن يجري كتيار النهر" وصورة الزمن هنا تبدو في إحساس الناس بتوالى الأحداث ونتائجها بشكل لا رجوع فيه، وإدراك هذا التوالي في تتابع الليل والنهار، وتعاقب الأيام، يجعل الناس تتخيل الزمن كأنه نهر جارٍ باتجاه محدد لا عودة فيه.

نستطيع تصنيف تصور الزمن في البدو التجريدي إلى عدد من الأقسام؛ حسب المادة المستمدة منها من الطبيعة الصامتة (غير الحية).
وتعبرات اللغة تصور الزمن كمادة جامدة تقبل التقسيم أو التجزئة، وقطع الزمن قابلة للترتيب أو التنظيم، أو مادة سائلة تكون نقية حينا ومكدرة حينا آخر، تسيل بسياض، أو تفجّر انفجارا. وقد تكون صورة الزمن كسائر منشدة يحول بين الناس بعضهم البعض، أو بين الناس والأشياء، أو كساء يرتديه البشر. وتعبر عن الزمن في أحيان كثيرة بالألوان فقط: فالنهار (أبيض)، والليل (أسود)، وكل لون ترتبط به مجموعة من المشاعر التي تسبّبها على الأحداث في حياتنا. ويكون الزمن مالا نستثمره ونحافظ عليه أو نبده فيما لا قيمة له، وأحيانا نعبر عن الزمن كباضعة نفيسة مثلثة. وفي تعبيرات أخرى نجد الزمن ك sayı صفحاته الأيام، وأفعال البشر تدورية على تلك الصفحات. وقد يبدوى الزمن شجرة ذات أغصان مورية أو جافة لا تصلح إلا للاحتفال. وفيما يلي تفصيل وتحليل للشواهد الشعرية والنثرية من كلام العرب: كل مجموعة منها تحت تصنيفها المناسب.

الزمن مادة جامدة:

نقسم الزمن كمادة الجامدة التي تقبل التقسيم أو التجزئة، وقطع الزمن قابلة للترتيب أو التنظيم. ونستطيع أن نعد هذه الأقسام ونسمي كل قسم منها باسم خاص، وتشابه أحيانا وتفاوت حينا آخر. تقول: "تنظيم الوقت ضروري"، ونقول أيضا: "ترتب أوقاتنا حسب أولوياتنا"، أو نقول: "كل الأوقات متشابهة".

وتقل عن الشافعي أنه كان "يجزء الليل ثلاثة أجزاء" الثالث الأول:

180
يكتب، والثاني: يصلي، والثالث: ينام

ومن ذلك قول النبي:

ليالي بعد الظاهرين - شكل طوال وليل العاشقين طويل
شكور جمع شكل; أي متشابكة متشابهة في الطول; وشكل الشيء
مثله؛ وذلك أن ليالي الناس تقصر وطول بحسب اختلاف الشتاء والصيف.
وليالي الشاعر طوال لبعد الحبيب، وامتناع النوم. ويجوز أن تكون مشاكلتها
من حيث إنه لا يجد روحا فيها، ولا نوما. فهو يقول: لا يتغير حالي في ليالي
بده، ولا يتقاضي غرامي ووجدي بالحبب، وكأنه ضد قول القائل:
إذا ما شئت أن تسلي خليلا فأكثر دونه عدد الليالي
ثم أخير عن طولها فقال هي طوال وكذلك هي ليالي العشاق.

وقد عبر الشاعر هنا عن الزمن كم يعبر عن القطع المحسوسة التي تتشابه في
أشكالها، إذ تبدو للنااظرين متطابقة الأشكال، لا تميز فيها قطعة عن أخرى

شيء.

وتعبر عن الزمن كمادة جامدة في بعض الأحيان - لا بهاء فيها، أو

مصقوله جميلة حينا آخر. يقول أبو تمام:

أيامٌ ما - مصقوله أطرافها -

بك والليالي كلها أسحار.

(1) الباحثي: القاضي عياض بن موسى، الإلمام إلى معرفة أصول الرواية، وتقييد السماع،تح.
السيد أحمد صقر، (دار التراث، القاهرة، 1970 مم، ط 1)، ص 2342.
(2) المعرى، ص 257.
(3) التيفاشي، ص 89.
والمشي المصقول أي الأمارس النظيف. والحقل عادة يكون لطرف
الشيء أو الشخص؛ تقول عن السيف أنه مصقول إذا كان مشحودا ومجليا،
ويقال وصفاً لجانب الإنسان أو الجواد؛ كقول الأعشى:
"غرأء فرعاء مصقول عوارضًا
تمشي الهوى كما تمشي الوجي الوجل
وما يضى من الزمن هو كشيء تأخذ منه وينقص؛ تقول: "خمس
بقين من جمادي الأولى"

وقرر عن الزمن كمادة قابلة للتقطيع والفناء، ويكتر في كلامهم
مقولة نحو: "يقطع الوقت" حينما يقضي الوقت في شيء يستهلكه بسرعة,
أو مثل قولهم: "نصرم نهر السبت"(1)؛ والصرمة قطعة من السحاب,
وتصمت الأيام والسنين والأمر أي انقضى، وانصرم الأمر والشيء إذا
انقطع فذهب.(2) ومن ذلك قول ابن دقين العيد:
"يغني الزمان وحننتي
بك كل يوم في زياده
أفنيت عمري في الجهة
d وأرجح فيك الشهادة
وفناء الشيء انقطاعه وانتهاؤه. وقول الشاعر: "يغني الزمان" تعبير عن
طول أمد محته؛ لأن الزمن يغني عادة ولا يعلم وقت فنائه، وعمر الإنسان
المحدود هو الذي يغني؛ إذ يقضي في سنوات معدودة، ويستهلك في
نشاطات معلومة.

وفي الحكمة العربية: "الوقت كالسيف فإن لم تقطعه قطعك"، والمعنى

(1) ج.ك.
(2) الخليل، ج.7، ص.121

182
هنا أن مرور الوقت قاتل، طال أو قصر، فالإنسان لا يد ميت؛ لذلك عليه أن ينحى بما هو نافع مفيد لنفسه والآخرين، وبذلك يقطع الوقت باستفادة منته قبر أن ينهي كما ينهي السيف حياة الإنسان ويقطعه منها. وهذه الاستعارة فإن بدئ في ظاهرها ذات بعد تجمجيء، إلا أن السيف لا يفعل وحده، فلا بد من شخص يستخدمه كي يقوم بوظيفته.

وذلك وصف الليل بالقطع، وذلك لظلمة، يقولون: "أقبلوا كقطع من ليل". قال الحسن بن إسماعيل خطيب بغداد: رأى القوم لي فضلاً أفداهه نقصهم فمالوا إلى ذي النقص والشكل أقربون، خفافيش أعماة نهار بضويه ولا إهما قطع من الليل يهيبه، والساعات كخرزات متوايلة في سباحة، تنقضي حبها بعد حبها، والحبة التي تنقرع تذهب ولا تعود، تذهب بأنفسها أو بكدارها: فالساعة التي تنقضي لا يمكننا أن نعيدها مرة أخرى. يقول لسان الدين الخطيب: ساعاه أولى من الليل انقضت، شرع في الربع الرضى وافتراضت نقضت من سباحة الليل بد، ومضة من بعدي أنسى وكذا ساعة الألسن إذا سرت مضت، وهكذا نجد الزمن مادة قابلة للتقطع: كقولنا: "يقطع الوقت" و "نصرم الزمن" و التنظيم: "تنظيم الوقت"، وقابل للتتفت و الفناء: "أفي عمره ونستطيع أن نأخذ منه وأن نبقي: "ساعة من ليل أو من نهار" أو أن ينشكل

(1) ج.ك.

(2) ج.ك.

183
وعتبر العرب كثيراً عن الزمن باعتباره وعاء، أو آنية يصب فيها الحسن أو القبيح من الأفعال، وتمتلئ حيناً بأشغالنا حتى تفيض، أو لا يعود الإباء قادراً على احتوائها. يقولون: "امالاً وقتك بالقراءة"، أو "امالاً وقتك بما يفيد".
وفي تعبير آخر ينضب فيه إباء الوقت عن الأعمال الكثيرة، قولهم: "وقتي لا يتسع لكل تلك الأعمال".
ويتجسد الزمن ككتلة تنزل في حركة رأسية من الأعلى إلى الأسفل،
كما في قولهم:

بناءً على أن فجر يكون سراجاً عَمَّا إذا نزلَ الزمان المجلُ فالزمن السيء الذي يحمل المصائب أو الكوارث يتجسد في كتلة ثقيلة تنزل من الأعلى إلى الأسفل. وعادةً العرب أن تعبر عن الليل بالبهو من الأعلى، وعلى العكس من ذلك نجد إدراكهم للنهار، حيث تكون الحركة من الأسفل إلى الأعلى، كما في قولهم: "ارتفاع النهار"، "وطلع الفجر". وهذا ما ينطبق أيضاً على حركة الليل. كما في قولهم:

هَبْطَ اللَّيْلَ وَلَّا أَن دِجَا أَقِبَتْ توقيده سُرِّجاً

الليل

النهار

شكل (17)

١٨٤
وفي شكل (18) نرى ظلام الليل في كتلة هابطة من الأعلى:

(18)

وعل هذى الربط بين (الليل) و(البهو) من جهة، و(النهار) و(الطلى)، من جهة أخرى نابع من الأساس الإدراكي الكامن في المخطط التصوري (1): (الأعلى = أفضل) و(الأدنى = أسوأ). وهو التصور الذي وُلد مئات الصور الاستعراضية مثل: (بعلو قذره)، (بعلو الحق)، (الحكممة سلم علو)،

(1) يقول الدكتور محي الدين محسن: "في سياق نظرة التحسيسة . . . يضع جونسون مصطلح image schemata (مخططات الصور) ويعرفه على النحو التالي: "إننا لكي نحصل على تجارب متراصة ذات معنى نفهمها وندفعها لا بد أن يكون هناك قالب ونظام لأفعالنا، وإدراكنا، وتصويرنا. فالمخطط هو قالب متكرر، وشكل متكرر، ونظام متكرر، في هذه، أو من هذه، الفاعليات الجارية. هذه القوالب تتناسب كبنية ذات معنى لنا في مستوى حركاتنا الجسدية عبر المكان، وفي مستوى تعاملنا مع الأشياء، وفي مستوى تفاعلاتنا الإدراكية". ويرى جونسون أن هذه المخططات ذات طبيعة خفية، وهو يعلم لها بعدد من الأمثلة منها مثل: (مخطط (نظرية = بيان) الذي تجسد استعارات مثل: (بين ... شيد نظريته على أساس ...). (فوض حجته وهدام أدلة)... إلخ. إنظر: محي الدين محسن، سبق ذكره، ص13.
و(البهجة العالية)... إلخ؟"(1) وهو المخطط الذي ولّد إجابة النظرية إلى (النور) وسلبية النظرية إلى (الظلم). و"يُقال: أَثَانِي فَلَانُ أَكْبَرُ النَّهَارُ وَشَبَابُ النَّهَارُ أَيْ حَينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ"(2)
وفي بعض الاستعمالات تُعد هذه الحركة الرأسية البابطة للليل تأخذ شكل التدحرج من الأعلى للأسفل، قال شاعر: 
"إِفْتَجَارُ لُونُ الأَفقِ الْبَرِندِجَا"(3) حتى إذا ما ليله تدحرجا
ويقال: تدحرج الليل: وهو اختلاطه وظلماؤه، كان فيه غيم، أو لم يكن، و يقال أيضا تدحرجت الظلماء"(4) وصورة التدحرج تكون أشد وضوحا إذا صاحبت الغيوم هبوط الليل كما نراه في شكل (19).

(1) الساقي نفسه، ص 12
(2) الأزهري، ج 1، ص 122
(3) قال أبو عبيد: الْبَرِندِجَا والأَرْنُدِجَ بالفارسية رَنَدِجَ؛ وهو جلد أسود، وبعضهم يقول: إِرْنُدِجَ (الأزهري، المديب اللغة، ج 11، ص 17)
(4) المرزوقي، الأزمنة والأمكنا، ص 223

186
الزمن مادة سائلة:

يعرَّب العرب عن الزمن كمادة سائلة نقيّة أو مکثّرة. وفي لسان العرب:

الكدر: "تقيض الصفاء، وفي الصباح: خلاف الصفو كدر، و الكدرة من الألوان: ما نغا نحو السواد والخضرة، وقال بعضهم: الكدرة في اللون خاصة"(1). والزمن في تعبيرات العرب شعراً ولثراً يصفو مره ويتکدر أخرى، وقد يكون مشروعاً لذا تنا نقيّا يُتمتع بهذاء مذاقه، أو مشروعاً مرّا كريه الطعم. والتکدر في الزمن كثيرا ما يكون بسبب الهموم، وكأن الأصل في الزمن أن يكون سائلاً نقيا، لكن المصاب أو المشاكل هي التي تخلط به وتتمزج، ثم تجعله سائلاً مکثّرا. ومن ذلك يقول أحدهم:

والملك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر(2)

والصباح بلوته الأبيض، والمشاعر الجميلة التي يبعثها في النفس شرابٌ أبيض نقي. يقول ابن سنا المالك في وصف ليلة من ليالي الوصل الجميلة:

يا نديمي بل باكل مقترحٍ
لا تخش من قصر ليلٍ في تواصلنا
أما تراني شربت الصبح في قدحٍ(3)

الإحساس بقصر الليل يكون إذا كان الإنسان سعيدا، وذلك يجعله يقلق من طلوه الصباح. وهنا الشاعر يطمئن المحبين بأن الصباح لن يلطع، وأن هذه الليلة لن تنقضي، لأنه قد شرب الصباح خمراً أبيض اللون.

(1) مادة: ك د ر، ابن منظور،، ج ۵، ص ۱۳۴
(2) ج ك
(3) التباشير، ۳۶

187
وبذلك يسمتعان بليلهما دون قلق من طلوع الصباح. والصورة هنا يشترك فيها الصباح والخمرة في خاصية اللون، "وقد أقام الإنسان تعرفه الثلاثي للألوان على إحساساته بالليل والفجر والشمس"(1). وبذلك تكون صورة الخمرة لونه مستمدة من لون الشمس وضوئها. ودائمًا تشبه العرب الخمرة البيضاء بنور الشمس. يقول أبو تمام: "نار ونور قيدا بوعاء"، وقال ابن سباط:

"وكأس من الشمس مخلوقة بدت لك في قذف من نهار"(2)

وفي النسق التصوري عند الإنسان العربي يكون الصباح مادة سائلة بيضاء، والليل مادة سائلة سوداء، تتزوج أحيانا، في أوقات الصباح الأولى أو في نهاية النهار، حتى تسحي أو تسكن بشكل كامل في خطي السائل الأسود في بياض انسكاب الصباح أو انفجاره. يقولون: "انبجل الصبح انبلجاً فهو أبلج، وتبلج يتبلج، وساح يسح، وانساح ينساح، وانفسح ينفسح، وانصح ينصح انصحاً، -كل ذلك إذا اتسع وانبسط"(3).

ويقال: "تصصب الليل وهو أن يذهب إلا قليلا. وفعلته عند تصصب الليل"(4). وتنسب بني الصباح على الماء النقلي الذي ينتشر بسرعة عند انسكابه على الأرض. وساح يسح سيحا، وسيحانًا إذا جرى على وجه

(1) عمر: أحمد مختار، اللغة واللون، (دار البحوث العلمية، الكويت، 1982م، ط 1)، ص 23.
(2) ج. ك.
(3) التيفاشي، 81.
(4) المرزوقي، الأزمنة والأمكية، ص 132.
الأرض. (١) و من ذلك قول فاروق جويدة:

"مابين ليل قد رحل
ينساب صبح بالأمل
والزمن يجري كتار النهر"; لأن إحساس الناس بتوالي الأحداث وتتابعها وجريانها بصورة لا رجوع فيها مع تتابع الليل والنهار وتعاقب الأيام، يجعل الناس تدرك الزمن كما تدرك صورة نهر جار باتجاه محدد لا عودة فيه. وفي ظهور أول الصباح يقولون: "انفجر الفجر" كما انفجر ماء النهر، والمفجر: تفجره الماء، والفجر: الموضع ينفجر منه. والمفجر مأخذ من انفجار الماء، لأنه ينفجر كملاء شيتاً بعد شيء (٢). "والفجر مأخذ من انفجار الماء في صورة شلال حينما يهبط الماء بشكل مفاجيء عندما يعبر النهر منطقة صخرية مرتفعة فتحدر الماء وينساب أسرع من المعتاد. ووجه الاختلاف بين صورة النهر المنفجر وظهور ضوء الفجر الأول: التدفق والتابع وياض اللون وامتتاده بشكل عمودي، وذلك ينتج في شكل (٢٠٠، حيث تظهر صورة للنهر المنفجر الذي يبدو كعمود أيض يشبه ضوء الفجر الأول، والذي تسميه العرب ذنب السراحان.

(١) مادة: سي ج، ابن منظور، ج٢، ص ٤٩٢
(٢) مادة: ق ر، ابن منظور، ج٥، ص ٤٥٤
(٣) التيفاشي: ج١، ص ٨١

١٨٩
يقول ابن صوفي:

تَحْبُبٌ يِبَقُّ اِلّا وَالبَدْرُ سَارٌ
وَقَدْ خَفَّفَهَا شَعلَاتِ نَارٍ
فَلا تَدْرِي بَيِّنَإٍ أُوْ نَهَارٍ
وضَوء الفَجْرِ مِثْلُ النَّهْرِ جَارٍ
تَرَى بَدْرُ الدِّجَّالِيّ غَرِيْقاً

في هذه الأبيات يبدو لنا ضوء الفجر كماء نهر أبيض يتلاشي فيه ضوء
البدر ويختفي، وكأنه يغرق في نهر النور. ومثل ذلك قول ظاهر الخداد:
والفجر قد أخفى النجوم كأنه
سيل يفيض على حديقة نرجس

(1) صورة عمود ضوء الفجر من موقع وكالة ناسا،
www.forestwaterfalls.com/waterfallsr.htm
 بصورة النهر من موقع, mml
وفي صورة أخرى يبدو فيها ضوء الفجر نهراً من نور، وحوله النجوم
كزهر أبيض قد تفتح على جوانبه; يقول شاعر من أفريقية:
وكأنما الصبح المطل على الدجى ونجومه المتآخرات تقوضا
نهر تعرض في السماء وحوله أشجار وردي قد تفتح أيضاً(1)
ولعل هذه الصورة تذكرا بأسلوبية إلهة الفجر (إيروس [Eos في
الأساطير اليونانية، وإلهة الفجر Aurora في الأساطير اللاتينية، اللتين تولدان من نهر الأوبيانوس كل يوم(2). وفي مقالة تحت عنوان (عشر استعارات للزمن) يجد أن أولى هذه الاستعارات هي (river
(3)
وقد تتجاوز استعارة الماء للتعبير عن زمن الفجر الصفات الشكلية؛
فمثلاً الفجر كالماء العذب يجعل من الفجر قابلا للشرب أيضا، يقول أبو
العلا عمر:
فما صدى ولا كتب العيان
فكاد الفجر تنشره المطيا(4)
وقد ابتقت مثل هذه الصورة من البيئة التي يعيش فيها العربي، حيث يقف عند موارد الماء ليسقي المطيا. وتتمكن المطيا من الشرب من معين

(1) التيفاشي، ص 87

(2) انظر: ( eos) [http://www.theoi.com
(3) على الموقع: "Ten Metaphores for Time"
metaphors-for-time
(4) التيفاشي، ص 88

191
الفجر، وتُمَلأ منه الأسقية. ويتشارك الزمن والماء في خاصية الملكية العامة التي لا بد أن يمتلكها الناس دون مفاوضة. و"الوقت مورد يملكه الناس بالتساوي" (1)، ومن جانب آخر: "الوقت مورد مهم سريع الانقضاء وما مضى منه لا يرجع" (2).

وكما أنه إمكان الزمن أن يكون معيّن، ماء يشرب منه الإنسان والحيوان؛ قد يكون أيضا له مذاق حلو أو مر. يقول محمد القاضي: صور الماضي بأشباه الضروب من زمن المرو والدهر العجيب.

مرت الساعات أقصى ما أرى وفي قول أعرج القلب:
وليل كموج البحر أرخى سدوله
علي بأنواع الهموم ليتلي (3)

وهذه الصورة تعالجها التفسير البلاغي التقليدي بقوله إن الشاعر شبه الليل بالبحر، وترادف ظلماته بالجواب، واستعار له سدولاً وهي السطور، واحدها سبُدَّل، لما يحول منه بين البصر وبين إدراك المصصات (4). ولكن المقاربة الإدراكية تجعل هذه الصورة إلى نسق تصوري كام في التفكير يقوم ببناء مفهوم (الزمن) من خلال مفهوم (الماء). وينبغي أن هذا النسق التصوري له صفة العمومية الإنسانية بدليل تجسده في عدد من اللغات والثقافات.

(1) الجريسي: خالد بن عبد الرحمن، إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، رسالة ماجستير، جامعة الإمام الأوزاعي، لبنان، 2001م، ص 21
(2) الجريسي، ص 21
(3) ج.ك.
(4) التيفاشي، ص 21
ونلاحظ أنهم استخدموا صورة البحر لليل في حين استخدموا صورة النهر للصباح. وليّل يكون هادئًا مريحاً أحياناً، فيقولون: "ياليل يا بحر السكون"، وتخلأوا بالله إنهم لَيَد على غيرهم ما سجاء ليلٍ، ووضح نهار". ويكون عاصفاً بالأحزان حيناً آخرًا، فيقولون كما قال أمير المؤذنين:
"ليل كموج البحر". أو يكون كالسيلي كما قال أبو بكر القرطبي:
إليك شققت الليل كالسيلي برقمي وفيك أسنت الهول والخشب خطبان.
وتصور علي محمود ط مرور الأيام كمرور الموجة العاتية التي تجف معها كل ما غمره.
فقدنا يا باصاجي تأخذنا موجة الأيام قدفاً واندفاعة واستعارة البحر ذي الأمواج العاتية أو السين يبهر كل شيء أمامه.
للمزمن مرتبطة بالتعاسة والخروبه، والجامع بين الصورتين الفجيعة والمباغته
في الأحداث المنزرة، والغموض والخوف من الخوف القادم الذي يخفه
انجراف السين وأمواج البحر، كما يخفه ظلام الليل.
وفي صورة أخرى لليل كالبحر، والقلب يبحر فيه كزورق، أو كناء
عميق بعيد القرار وكبير باستعداد الكون تقول فدوى طوقان:
هو الليل يا قلب، فانثر شرايك، واعبر خضّم الظلام العميق.
وجذب بأوهامك الراعشات في زورق ما به من رفيق.
وتتيح لنا استعارة أنسكاب السائل فهم سرعة جريان الوقت ومروره.
يقول إبراهيم المازني في سرعة انقضاء عمر الشباب:

(1) سما البحر: أي سكنت أمواجه.
(2) ج. ك.
أضعت شبابي بين حلم وغفلة
ودأت عمري في الأماني الكواكب
ولم يبق لي شيء فقد فاتني الصبا
وآخر مذكوراً لنا في المغامتب
إراقة الماء ونحن: صبه (1)، والعمر الذي يراى هو العمر الذي يصرف
في لهب الصبا وغفلته، ويائل في سرعة انتهائه مثل سرعة مروق السهم عن
القوس، أو سرعة جريان الماء المراقي على الأرض.

عند التعبير عن الزمن الحاضر والقريب قبله من الماضي و بعده من
المستقبل، يوصف الزمن بأنه "الجريي"، وأن المجال الزمني الذي نحن فيه
حالياً مجرى من الماء، والزمن الحاضر بالفعل يتدفق كالماء الجريي. وذلك مثل
قولهم: "في خمسة وعشرين من الشهر الجاري" (2)، وفي صحيفة الأنباء
الكويتية عنوان يقول: "موسم المريانيات أطل مبكراً، وأمطار الشتاء الجاري
شحيمة" (3).

وفي عنوان خبر على شبكة سما الإخبارية: "مسؤول ينفي: غزوون
الأدوات السيكفي حتى نهاية العام الجاري 2011م" (4).
وكان أبو وائل النهضلي يقول في وصف للزمن كما الماء الذي تنغمس

(1) ابن منظور، مادة ر و ق، ج 101، ص 135
(2) ا.د.ك.
(3) لأخير، ديسمبر، 2006م:
(4) الثلاثاء 11 أكتوبر 2011م:
http://www.samaa-news.com/newsy301.html

194
في الأشياء: "إن الدهر لا يذوق طعم الفراق ولا يذوقه أهله، وإنما ينغمضون في ليل ويطغون في نهار؛ فيوشك شاهد الدنيا أن يطيب وغائب الآخرة أن يشهد."

الزمن شتر أو رداء:

يتصور العربي الليل دائما ثوبا يكتسي به الجسد فيSTERه، أو شترا يعجب المتلاقين عن عيون العذال، أو حاجبا يستر بين القرد وقية البشر.

ليخلو بنفسه متأملًا، أو متألا من وحدته. قال شاعر:

"عهدي بنا وردا الليل مسدلٌ Pixels الليل أطوله كاللمج بالبصر فألل ليلي مد بانوا فديهم ليل الضرب قصبي غير متظر."

في هذين البتين يتخذ تصور الشاعر للزمن أبعادا مختلفة، وما يدخل تحت هذا التصنيف من الأبعاد الترجيدي قوله: "وردا الليل مسدل";

فآليل هنا شتر يدسات مغطيا مشهد لقاءه بحوبيته عن أئمت الآخرين. هكذا يتصور الليل في هذه اللحظة التي لم يكن يعتني فيها إلا أن يكون بعيدين عن أعين البشر ليتخذ الزمن لديه هذا التصور. وينقل من مفهوم الليل المجرد إلى صورة محسوسه يعتمدها الشاعر من غياب نور الشمس الذي يكشف الموجودات في النهار؛ إذ يكون ظلام الليل شترا أسود اللون يختفي مشهد اللقاء عن أعين المترأسيين. في الشتر الثاني يتخذ التصور الزمني بعدا مقياسيا في مقارنة بين طول تلك الليالي التي حدث فيها اللقاء والليالي التي تلتها.

(1) الجحايز، البيان والتبيان، ج1، ص 483
(2) التيفاش، ص 24

190
بعد أن فارقها، والمقارنة هنا ليست بقياس الزمن بل من إحساسه الذاتي بطول الليل أو قصره، حيث تبدو مساحة امتداد الليل طولاً أكبر من الليالي التي كان فيه اللقاء و التي كان أطول ليلة فيها، "مررت كلمحة البصر"، وهنا يتخذ الزمن بُعداً تشخيصياً، إذ يمر سريعاً كالإنسان أو الخيل الذي تبلغ سرعته أن لا تكاد تراه العين إلا لحظة سريعة. وفي مقابل ذلك المشهد السريع، الليلة الطويلة التي تقضى ببطء و يبقي في الصباح شخصاً يطول انتظاره ولا يجيء، حتى يكون الليل تستارا أبدياً عن الرؤية كالضرير الذي لا يرجى بروء ولا أمل له برؤية النور.

في البيتين السابقين يظهر لنا الزمن في صورة محسورة متشابكة ساكنة حينما كان الليل ستاراً منسداً، و سريع الحركة كلمحة البصر في تصوير الشاعر لإحساسه الذاتي بمرور الزمن، ثم صورة مركبة للليل الذي يكون ستاراً عن رؤية النور، والصباح شخص يطول انتظاره ولا يجيء.

يقول ابن شهيد:
ولرب ليل للهموم تهدلت أستاره فمحا الصووى بستوره
وهنا أيضاً ينسل الليل ستاراً يجيب عنا رؤية الصووى، والصووى أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي، أو المفازة المجهولة يُستدل بها على طريق الطريق. يقول ابن ديريد: "الصووى: علَم من حجارة ينصب على علَم من الأرض ليهتدى به، وألمَجم صوَىً" (1)

ويكون الليل ستاراً مسداً يجيب ما وراءه عن أعين المتريصين، و حينا

(1) ابن ديريد، ج ۲، ص ۹۰۰

196
آخر يكون جداراً حسيناً لا يخترق العيون ما وراءه:
سواء بعيرات العيون وعورها
والليل يقول الناس من ظلاله، مُـسْـوحَ أعلاها وساجُ كسورها.
كأن لنا منه بيوتا حسينة
وهي الليالي التي يغيب فيها القمر ويكون ظلالها سترا لكل حدث تخبئه كما البيوت المحصنة
لأعدين المتربصين. ومن شدة ظلاله وحجب كل الموجودات فيه. عن أعين الناظرين يتساوى فيه الأعمى والبصر، إلا لا يرى كلاهما فيه شيئاً.

والعرب تقول: الليل أخفى للويل، ومنه قول الشاعر:
أو يكون الليل سقفا يستظل الناس به، بـ""(1)
أو يكون الليل سقفا يستظل الناس به، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ""يا أيها الناس أظللتمكم فتن كأنها قطع الليل الظلام""(2)
يقول أبو هلال العسكري:
وَمَدْهُ عَلَيْنا اللَّيْلُ نُوِيًا مُـنْمَعَأً
وأشعل فيه الفجر فهُوَ مُـخَرَّقٌ
ومنه يتخذ الليل صورة الرداء الذي يسبق على الأجسام. وينعكس
إحساس الشاعر على هذه الصورة إذ إن الليل لا يؤدي وظيفة واحدة فقط
باعتباره ستارا يحجب عن أعين الفضوليين؛ بل هو رداء مزين ومنقم يجعل
ستر الليل لبما أكثر خصوصية، ويتبدّى الفجر في صورة الحريق الذي

____________________
(1) التيفاشي، ص ٢٤
(2) التيفاشي، ص ٤٠
(3) ج.ك
يشتعل في رداء الليل ليكشف المشهد الذي كان مستورا بثوب الليل محركة سريعة؛ كسرعة اشتعال الرداء بالنار وهذا يعني شعورا آخر بالإحساس بسرعة انقضاء الزمن السعيد مقابل طول الزمن التعيس. وذلك يظهر كثيرا في كلام العرب إذ تقضي الليلة السعيدة بسرعة شديدة، وتتعد الليلة الحزينة وتطوي؛ حتى يشعر الخزين أنه لا صباح لتلك الليلة. والليل رداء له أطراف تبدو من تحت حواشي أضواء النهار. قال رشيد:

أيوب:

دعني فما لي غير هذا السبيل فمن حواشي الليل يبدأ الصباح وقد يكون التعبير عن الزمن كراداء بلبس ويتخلع سريعا؛ لإحساسهم بسرعة نتاسب الزمن ومرور الأيام وانهاء عمر الشباب بسرعة. يقول الثعالبي: "يا أسفي على غفلات العيش، ولحظات الأنس. إذ ظهائرنا أثقال، وليالينا نهار، وشهورنا أيام، وسنونا قصار. يا أسفي على رداء من الأيام دقيق ما لبسطاه، حتى خلعنه" (1)

وفي بيت آخر يكون الليل فيه رداء يشتمل به الإنسان؛ يقول ابن خفاجة:

من أدهم أخصر الجلباب تحسينه قد استعار رداء الليل واشتملا والعرب تسمي الأخضر إذا استهدت خضرته (أدهم) أو (أسود)؛ لذلك يقال عن الجنحة (مدهامة)؛ لشدة اختصار زرعها. وصورة الليل في هذا البيت كالرداء الأسود اللون. وقد استعار الليل رداء شديد الخضرة للخيل التي

(1) ج. ك

١٩٨
يصفها. وهنا يجتمع إدراك الليل لوناً محسباً بالعين التي ترى لونه، و هذا اللون لايشفي ما تحته فهو بالتالي كالرداء أو الجلباب الذي يغطي كامل الجسد.

وفي صورة أخرى; يكون الليل فيها ستاراً منسداً من الأعلى إلى الأسفل، ويكون طلوع الفجر عمداً مضيناً يشقت هذا ستار من الأسفل إلى الأعلى تقول العرب: "ينشق الفجر"، أو ينفرج الليل عن الفجر كالسجفان، وهما ستراً للبهاء، يُسمى كل شق منهما (سجف). يقول ابن معتوق الموسوي:

كَفِّتُ حِجَابَ السَّجَفَ عَن بَيْضَةِ الحُجَّرِ فَزِحْرَحْتُ جَنَحَ اللَّيلِ عَن طُلَةَةِ الْبَدْرِ

صورته الليل هنا كستارة من شقين إذا تفرق جانباً تبدأ يضاء لحمة البدر، وهي ذاتها كصورة الخيوبية في خديها يضيء يضاء بها وتبدد من بين شقيّ الفجر، التي تستر خديها. فالليل هنا (ستارة) من شقين والقمر يبدد من بينهما، وصورة الخيوبية في خديها تشبه تلك الصورة المستمرة من طبيعة الليل.

يقول شهاب الدين أبو القاسم: "الفجر قد هم أن يشق ثوب الصباح... وهذه الليلة سافرة عن نهار يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة"(1)

وهنا يكون الليل ثوباً يرتديه الصباح، وحلول وقت الفجر هو الوقت الذي يمر تلك الليلة لتسفر عن نهار يوم الجمعة، كما يظهر الجسد الأبيض من تحت الرداء الأسود. وهنا يتخذ الزمن بعداً آخر تشخيصياً، إذ يبدئ فيه

(1) الدمشقي، ج 2، ص 225

199
الصباح كوجه امرأة تسفر من تحت غطاء أسود.
وفي مثل تلك الصورة أيضا، إدراك الليل كالستار الذي يعجب موجودات الكون فلا تمود العين تراها، ثم يكون الفجر شفّاقاً يزرق هذا الستار من المنظر هنا في أفق الرؤية؛ والفعل (لاح) يدل على ذلك حيث يشيع إسعاده إلى البرق والنجم وسهيل...، ويقولون: "فتق الفجر" وهو انشقاقه. قال ذو الرمة:

وقد لاح للساري الذي كمل السرى على أخريات الليل فتق مشهر وفي قوله: "على أخريات الليل " يتخذ الليل بعد مكانها فيكون له طرفان أوّل وأخر، وفي آخره يلوح للساري فتق يشق من أسفل ظلام الليل ليتبدي من خلفه ضوء الفجر الأول كعمود من نور. ومن ذلك قول ابن السيد البطليسي:

(1) ففي أخريات الليل يبلغ الفجر...
وقد حازت الدنيا بك الفضل آخرا...
والعرب تسمي الفجر لأول ضوء تراه من الصباح ويقال له ابن ذكاء، وذكاء من أسماء الشمس؛ قال الراحز: وردتهُ قبل انبلاغ الفجر...
وابن ذكاء كامن في كفرٍ والكفر ما غطاه، يعني به الليل، والفجر مأخوذ من انفجار الماء، لأنه ينفجر كماء شيئاً بعد شيء (2) والفجر الذي يبدو كعمود مستقيم هو الفجر الأول إذ تبلغ من ليل عن فجر عمودها "(3) وتسمية

(1) الفلسفاني، ج 3، ص 471
(2) البنياني، 81
(3) الفلسفاني، ج 11، ص 280

٢٠٠
العرب الفجر الكاذب، أو ذنب السراحان، إذ يبدو مستطيلًا في السماء قبل أن ينتشر في الأفق.

يقول ابن باتة:

في ليل أفراح كان هلاله للشرب ما بين الندامي زورق. حتى استطاع الفجر يطعن في الدجي فهو السنان أو العدو الأزرق.

وفي حديث السحور: كلوا واشربوا ولا يهديكم الساطع المصعد، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الأحمر، وأشار بيده، في هذا الموضع من نحو المشرق إلى المغرب عرضاً، يعني الصبح الأول. قال الأزهرى: وهذا دليل على أن الصبح الساطع هو المستطيل. قال فلذلك قيل للعمود من أعمدة الحبائه: (سيطاع). ويتكون العمود من ضوء الشمس المنكسر على غبار الفضاء، يقول شمس الدين السراخسي: "الفجر فجران، كاذب تسميه العرب ذنب السراحان، وهو البياض الذي يبدو في السماء طولاً، يعقبه ظلام، والفجر الصادق وهو البياض المنتشر في الأفق، فطلع الفجر الكاذب لا يدخل وقت الصلاة، ولا يحرم الأكل على الصائم مالم يطلع الفجر الصادق...

ويظهر الفجر الكاذب في صورة عمود أبيض نتيجة انعكاس ضوء الشمس المنكسر على غبار الفضاء، قبل شروق الشمس، حيث يبدو الضوء كعمود ممتد؛ شكل (20). ويعد الضوء بشكل أفقى وقت شروق الشمس عند الصبح أو ما يسمى الفجر الصادق. وتسمي العرب ظهور الفجر الأول

(1) السراخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، (دار المعرفة، بيروت، 1414هـ، 1993م)، ج 1، ص 141

201
انباجا، والبلج يطلق على تباعد شقيين أسودين عن بياض. يقال: "أبلج للرجل الذي بين حاجبه نقياً من الشعر. يقول الجوهر: "البلجة فقارةها ما بين الحاجبين". يقال: رجل أبلج بين البلج إذا لم يكن مقروناً.(1) ولا تختلف صورة انباجا الفجر عن فتق الفجر في الصورة الأولى، أو الانتشاق عن عمود الفجر; إذ يكون إدراك الليل في كل هذه الصور ستارا أسود اللون من خلفه بيض يتبَدّى ويظهر حينما ينشق هذا ستار من أسفل لأعلى أو يباعد جانبا ليترنح عن ضوء الصباح. وكل هذه الصور التي يدرك بها العربي ماهية الليل وظهور الفجر الأول مستمدة من بيئة الصحراء التي يعيش فيها ويدركها بحواسه ويشعث أثرها على نفسه.

وفي صورة أخرى يتخذ الفجر صورة الفلق وهو الشق الممتلء بشكل عمودي ممتلئ من الأسفل للأعلى متماّل في ظهور الفجر الأول; يقول أبو الفضل محمد بن عبد الواحد التمييمي:

يا ليل هل اتجليت عن فلقٍ طلّت ولا صبّرت لي على الأرق تُقبّق أجنافها على الحدق

يقول معروف الرصافي:

بشق حجاب المشكلات برأبه كما شق برّد الليل مز طلع الفجر

وهنا يظهر إحساس معروف الرصافي بظلام الليل كإحساس بالمشكلات التي تطرأ على بني البشر; حينما يكونون في حيرة من أمرهم ولا يعلمون أين يكون الصواب؛ كما ظلام الليل الذي يجبب رؤية الطريق الذي عليهم

(1) مادة: ب ل ح، ابن منظور، ج 2، ص 215
202
أن يسلكو ليخرجوا ما هم فيه. ولا يُخرجهم من ذلك إلا طلوع الفجر
مضايئاً لهم السبل ليعرفوا أي الطرق يسلكون. وهم في مشكلاتهم في حاجة
لرأي يستضئون به ليروا طريق الصواب كما يضئ لهم نور الفجر طريق
النجاة فيعرفوه.
وفي إدراك آخر للليل بظلامه خطب يُلم بني البشر، ويوكون الحق هو
نهار العارفين وبطلوعه تكون النجاة؛ يقول ابن حيوس:
وَبَكَّ رَجُلٍ عَن مَقْلَةِ الْحَقَّ الْقَدِيدِ وَإِنْجَابٌ عَنَّ لِيْلَةِ الْحُطُوبِ حِجَابُهَا
يقول ابن نبهى:
أنت الصباح فمزق ليل كفرهم
والصباح في هذه الصورة كشخص يقوم بحركة التمزيق لليل الذي يبدو
في صورة رداء أسود يمزقه طلوع الصباح، ويجعله يتلاشي ويخفيفه بعد انتشار
ضوئه.
وقد يكون الزمن ساترا وحجاباً يحتوي زمنا آخر يتوارى في داخله،
يقول ابن هانئ:
إذ توارى الفجر بالليل كما
وَلَحَجَ السِّيْفُ اليمانيُّ الْقَرَابَبَا
في حين يدرك العربي الليل ستارا يحجب خلفه مشاهد لابرغ
 أصحابها أن يراها الآخرون، أو ستارا متسدلا يغطي خلفه ضوء الفجر،
tكون الأيام حائلة بين شيئين أو بين شخصين، أو ستارا يغطي حقائق
الأحداث مع تتابع مرور الأيام.
يقول الجذامي:
لعن حالت الأيام بني و وبينها وقصر في عمري ولم يسعف الجهد.
تباعد الأيام هنا بين الشاعر وبين محبوبته كالحائل ينعبهما من الوصال.
ويتخذ زمن العمر بعدا مكانا يقصر من أن ينتهي يصل هذا الحائل فيجاوزه ليصل إلى محبوبته.
وفي صورة أخرى للزمن حائل بين التقاء الحبيبين؛ يقول ابن ظهير الأريلي:
"لاقن حالت الأيام دون لقائها فما حالي لي عهد ولا أخل موثق ومن ذلك قولهم: "فقاتلون حتى يقول بينهم الليل"، وقولهم: "قاتلون عشرا لا يجز بئهم إلا الليل"
وقد يكون الليل كالرداء الذي يطوي في داخله ما يفعله الإنسان فلا يراه أحد، ونسبة فعل الطلي الليل تكون في الأمر المستحسن عند الناس من الأعمال فلا يراه الآخرون مع رغبة منجزها في أن يروها، ولكن الليل بطولاه يطويها كما يطوى الرداء الأسود على شيء يخفيفه عن أعين الناظرين، يقول أحمد الحملاوي:
"كم أسهر الطرف في علم وفي عمل وكم طوى الليل تسبيحا وفراقنا،
وكيمن الليل أيضا كجوف شيء يخفى الأعمال الصالحة في لحظات يكون فيها الإنسان بعيدا عن أعين الناظرين، سوى رب العالمين. قال صلى الله عليه وسلم: "أدخل على أبوب الخير; الصوم جنة، والصدقة تطفي الخطيئة، وصلاة الرجل من جوف الليل".

(1) ج.ف.
(2) ج.ف.
(3) ج.ف.

٢٠٤
ومن ذلك أيضا قول إلياس أبو شبكه:
في ذُمّة الماضي إنطَوَّت ساعات أحلامي العذاب
والماضي بغموضه و جهنا ببعض أحداثه يغدو أحيانا كالجهول، وهو
في ذلك يتشارك مع الليل في خاصيَّة الإخفاء؛ فهو يطوي بداخله كالردا
ساعات الزمن الجميل. وفي هذه الصورة زمن يطوي الزمن؛ بينما في
الصورة الأولى الزمن يطوي الأعمال الحسنة.

ومن صور الليل سترا ما ينقله المقربي عن المعز لدين الله فيما كتب
إلى الحسن بن أحمد القرطبي يقول مهددا له: "خرج منها فما يكون لك أن
تنكر فيها... فلا سماء تظلك ولا أرض تقلق، ولا ليل يُجِّنَك، ولا نهار
يُجِّنَك ولا عالم يسترك، ولا فئة تنصرك. قد تقطعت بكم الأسباب،
وأعجزكم الجهاب"\(^{(1)}\) أي فلا ليل يسترك ولا نهار يحتويك. وزمن الليل دائما
عند العرب هو ستار، سواء كان هذا الستار منسدا من الأعلى إلى
الأسفل؛ كما في الأمثلة السابقة، أو غطاء يسترك بشكل أدق كاللحاف
فيخفي ما تحته. وكلما هاتين الصورتين مستندة من رؤية العين للظلم و
إحساسها باللون الأسود الذي يغمر كل شيء ويخفيه عن البصر. وسياق
القول هنا تهديد ووعيد للمخاطب لأنه لا مكان يهرب إليه بلا زمن يحتويه
أو يستره، فلا مفر من العقاب. حتى الليل الذي اعتاد العرب أن يكون جنَّة
وسترا، لن يستره ولن يخفى عن عين الخليفة الذي سيتبعه آثى كان في أي
زمان أو مكان، فلم يعد له الليل سترا، ولا النهار سيحتويه كما احتواه من

\(^{(1)}\) ج.ك

٢٠٥
قبل. وهنا يتجلى بعد الإدراكى للزمن في صورة وعاء أو مجال يحتوي البشر الذين يعيشون فيه، أو الذين هم على قيد الحياة تحديداً. إذ إن وجود الإنسان في مجال الزمن هو يقاؤه على قيد الحياة، ولذلك هدد الخليفة الحسن بقوله: "إذهب فلا سماء تظلك، ولا أرض تلفتك، ولا ليل يبتَك، ولا نهار يبتكيك". وهذه المقولية التي تطرد من الزمان والمكان؛ هي تهديد صريح له بالقتل العاجل ليرحل إلى حيث لا مكان ولا زمان.

والفيل بسوده يعطي الشعور بالحزن والخوف من المجهول، والأسود رمز الحزن والألم والموت. كما أنه رمز الخوف من المجهول والميل إلى التحكم ولكونه سلب اللون بدء على العدمية والفناء (1) يقول المقرزي: "وبالنسبة شكر الله تعالى على إماتة ليل العزاء الذي عم مصابه بصيح البناء الذي تم نصابه". (2) والليل هنا شيء يانية بشيء آخر، فليليل بلوه السود تم إماتته أو نحوه ببيان الصباح، مع ما يسبقه سواد الليل من مشاعر حزينة، وما يشبه النهار بضوءه من مشاعر مبهجة.

يقول ابن الفارض:

(1) عم، ص 186
(2) المقرزي، ج 1، ص 244

206
قليه مضيئا له ليلته كقبس من نور.
أحياناً يتجسد الزمن شيئاً مصنوعاً أو مأخوذًا من شيء آخر. يقول ابن حمدي:

تشيح به صبحاً من العدل مشرقًا إذا كنت في ليل من الجور فاحم.
فالصباح هنا مأخوذ من العدل، والليل مأخوذ من الجور.
وفي صورة أخرى ليل تكون فيها الرياح عاصفة والأمطار هائلة والبرق يلمع بين حين وآخر، يتخذ الليلة صورة ستار مختلف، فهو ينغلق ويفتح بصورة سريعة كما انسداد الين على العين بسرعة خاطفة. يقول أبو القاسم الزاهي:

الريح تعصف والأغصان تعتنق والزهور معتبقة كأنها الليل جفُن والبروق له عين من الشمس تبدو ثم تنقب (1)

وهذه الصورة التي نراها لليل في هذا البيت من الشعر يمكننا أن نشعر بها حيث نرى صورة ليلة ممطرة متتابعة البروق تبدو فيها السماء السوداء كجفن أسود يطبق بسرعة خاطفة على ضوء عين من الشمس. وكأن السماء في هذه الليلة الممطرة عين حسناء باكية تذرف الدموع الغزير حين تطبق مجانها المصبغ بسواد الكحل.

يقول ابن المعتز:

قد حُزها الليل جلدتُه وكساه الیالٍ أثواباً
الدهر هنا صيد صنع من جلده حذاء محبوبة ابن المعتز، و "وكساه" (1)

(1) التيفاشي، ص 24

207
الليل أنواعاً، وتلك الصورة المعتادة عند العرب الذي يكون الليل فيها كساء أو ستاراً أو ثوباً، لتشارك الليل والكساء في ستر ما خلفهما أو ما ينسلدان عليه.

يقول ابن عبد ربه:

"ننا مستكتنا تحت جنح من الدجى،
ليس يؤدي شكر ما أنعم الجنح,
فكلهم في كل جارحة جرح,
وحن نوام الليل لو أنه صنيح.

في البيت الأول قوله: "تحت جنح من الدجى" تأخذ صورة الليل بعداً مكانياً في الأعلى يغطي شيئاً يسره في الأسف، وجنح الليل ظلامه. وفي البيت الثاني يكون الليل ثوباً يسرب به الإنسان فيستر جسده، ثم إن أولئك الباريين يوسفون لو أخذ الصباح صفات الليل في الستر عليهم حتى لا يراهم مطاردوهم، ومطاردوهم يوسفون لو أخذ الليل صفة الصباح في الكشف والوضوح حتى لا يشعوا شيء من رؤيتهم.

يقول ابن دراج القسطلي:

"إذا انشق ليل الحرب عن صبح وجهه، فقد آن من يوم الضلال أصيل،
تطابق صورة الليل البهيم مع صورة الجيشه الجرار، حيث تخفي الشخوص والأشياء في الحرب خلف غبار المعركة، وفي الليل خلف ستار الظلام، والشاعر هنا يضيف الحرب للليل بجمع احتجاب الرؤية وهما رداء أسود لا يرقه إلا طلوع الصباح. والصباح هنا يتخذ بعدا تشخيصياً فهو يخطئ خلف هذا الرداء المشقوق، والصباح يظهر بظهور وجه المدوم.

208
نلاحظ أن العربي يدرك الزمن كما يرى السماء في اللحظة التي يصفها
أو كما يرى أثر ضوء الشمس على الموجودات في الطبيعة، يقول التوخي:
وليلة مشتاق كلمة نجومها قد اغتصبت عين الكرى فهي نومة
كأن عيون الساهرين لطولها إذا شخصت للأنجم الزهر الأحمر.
والصورة في هذين البيتين لتلك الليلة هي لشخوص مستقلتين في
الصحراء يتأملون نجوم السماء في ليلة يروقهم الشوق. وهذه الليلة تأخذ بعدها
مقياسا فهي طويلة بالنسبة لليالي الأخرى وكانتا شيء محسوس ماديا
يقاس طوله مقارنة بالليالي الأخرى التي بدت أقصر من ليلتهم. ومن طول
تلك الليلة وطول تأمل العين الناظرين لنجوم السماء وهي شاخصة كأنها
نجوم زهر، والزهرة البياض النبر، وهو أحسن الألوان.
كتب القاضي التوخي إلى الوزير المهنبي:
غدا البحر جلحاً جلحاً وانثى الضحى
بطولته في شوبو ليل مسجد
عبوس يبتسم في تبسُم مُعزَف
يعحب عين بريق به متبسم
كأن الامكاع السرير في ظلاله
هدى في ضلال يبتدي ثم يختفي
كما حاول المقرب تجرد مرهم
تحاول منه الشمس في الجو خرجاً
في هذه الأيات تحضر صورة المعركة المتحركة بشخصها وأدواتها كأنها

(1) التيفاشي، ص 29
(2) مادة ز، ابن منصور، ج 4، ص 323
(3) السحاف البكري، مادة س ج 4، ابن منصور، ج 9، ص 144
(4) التيفاشي، ص 289

209
تلك الليلة العاصفة ذات البرق، واختفى ضوء الضحى في الليل كما يختفي الجسد الأبيض تحت الرداء الأسود. ويبدو الليل ببرقه كما ابتسم إنسان يلوح بيضاء أسنانه ثم يختفي بشكل متكرر. والتمام البرق في ظلامة الليل نور هدى يستهدى به من ضلّها الطريق، وكان البرق شمس قد حاصرها الظلام فظهرت في التماثلات البرق، كما يلمع السيف المرهف في معركة عظيمة قد أخفى غبارها كل شيء فصار المشهد ليلا. والجامع بين الصورتين هو خاصة الإخفاء والستر، الليل يستتر بظلاته الموجودات، وغبار المعركة يستمر مشهد المعركة فلا ترى إلا بريق السيف. ومنشأ المعركة كليلة عناصر التماثيل برقها في ظلام الليل مثل التماثيل السيف في غبار الحرب.

وهناك صور أخرى للليل يكون فيها رداء وسترة، أو سقف يستظل الإنسان بظلّه.; يقول علي بن أحمد النعييمي:

وكم ليلة موقفت ثوب ظلاتها
أسامُ فيها نجمها وأُساهُرها
بنظم الرياح والنجم معاكره
وقد لح فيها السيد لايس تاجه
وقد جعلت نثر النجوم مسامرة
ويا للمنى في أنّ تعود نظائر
في لق من ليل نعمنا بظله

وفي صورة الليل الأولى التي جعل ظلاتها ثوبا يتمزق يناسب النجم إليها كما يناسب النجم إلى السماء، وكان الليل هو أصلا صورة السماء التي يراه الإنسان. وفي الصورة الثانية الليل له ظل كالسقف الذي يحمي الإنسان مما يؤذيه من شعاع الشمس أو المطر. وهذا الزمان كشيء محسوس له نظائر

(1) التيفاشي، ص 164
وأشباهة، يتنمي الشاعر أن تعود إليه.

و يقول عبد المنعم بن محمد الخزرجي:

و الله ليل قد لست ظلامه
ردها بأنوار النجوم منمنمة

ويقول أبو الشيص محمد:

فشبت نواصي النجّي وابتقرى
عن الصبح سربال ليل التمام

انفري يعني انفق، وصورة انتشار النهار كصورة انتشار الشيب في
الشعر الأسود، إذ يبدأ البياض في شعر الناصية، والليل كسود الشعر في
بقية الرأس، ثم الليل سربال يخلع عن جسد أبيض، في صورة لانخلاع الليل
عن ضوء النهار. وهي ابّضا صورة يرتفع فيها زمان الليل إلى أعلى ويظهر
فيها الصباح من الأسفل إلى الأعلى بشكل رأسي.

والزمن ليلا ونهارا في حركة متواصلة، فالنهار يتحول إلى ليل، والليل
يزول نبيدا ويظهر النهار. يقول الحارث بن معاوية في وصف الدنيا: "نهار
يُحولُ، وليل يزول، وشمس تجْرِي، وقمر يسْرِي ونحوه تَفْغُرُ، وفَلَك
يَذْهُر ٢١"

النهار يتحول كمادة محسوة تبدّل من شيء إلى شيء آخر، والليل
كطلاء أسود يطلي به النهار ثم يزال مرة أخرى بفعل طلوع شمس كل
صباح جديد. وهذه الحركة مستمرة باستمرار الحياة. ويقال عن الليل أنه
طلاء ينفي الأشياء ويفغّبيها، قال أبو عمر: "ليلٍ طالٍ، أي (مُظْلِمٌ) كأنه

(١) ج.ك
(٢) ج.ك

٢١١
طَلَّى الشُّخْصَ فِعْطَاهَا،(1) يقولون: "ولما تجلى نهار الثالث والعشرين"،
ويقولون: "حتى إذا الليل تجلى غيبره"(2) ولأبي هلالي أيضاً:

بِيْلُ ضِياءِ الشمس عنها فيزلق
وقابله للغرب بِرَدَّ مَدَنَقُ
وُبَان لَنَا من مغرب الشمس مشرق
وُقَلَعَ فيه الفجر فهوب مشرق
تَعْلَمَ منا كيف يَهْيِى وَيَشْرِقُ(3)

وَلَلَيْل رَدِّه من حرير ينزلق من فوق ضوء الشمس، عند الغروب بدأ
الشَّرْق كرداً متماسك، في حين بدأ ظهر الشفق جهة غروب الشمس
كالردة الممشق. تقول العرب ممشق الليل إذا ولى، ومشتق جلباب الليل ؛ إذا
ظهرت تباشير الصباح(4)، و إدراك الليل في البيت الثالث كصورة السماء تماماً
أ권ها، حيث تبدو كتوب أسود مرصع بالنجوم، وظهر الفجر من أطراف
الأفق كاشتعال النار في طرف الرداء، واتجاه سرعة الانتشار ؛ ضوء
الشمس في ظهور الصباح، و اشتعال النار في الرداء. كما أن ظهور ضياء
الصباح يشبه ظهور الحبيبة، والمشترک هنا اللون الأبيض وما يصاحب من
بهجة في ظهور الاثنين ؛ ظهور الصباح ظهور الحبيبة في بعد تشخيصي

(1) الزبيدي، ج38، ص500
(2) ك. ج.
(3) التيفاشي، ص85
(4) مادة: م ش ق، ابن منصور، ج10، ص444

٢١٢
وصرة متحركة.

قالوا: ليل خدراي؛ شديد الظلمة.(1) كأنه ستار يخفي الناس ويغطيهم كما ي غطي الخدر المكان المخصص للجارية في البيت.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في جوف الليل: (نامت العيون وغابت النجوم وأتت الحيوانات لا يواري منك ليل ساز ولا سماحة ذات أبراج). و يقارن عند الليل ساج إذا هدأ وسكن، في ذلك يقول الله تعالى: "و الليل إذا سجى"(2)، والليل هنا يأخذ صفته الستر والتغطية كما الرداء. ومن ذلك قولهم أيضاً: "هذا ليل قد غشيكم"(3).

ومن ذلك قول الشاعر في صفة ليل سواد، لا ضوء فيه:

تطاول ليكم الجنون البهيم فما ينجاب عن صبح صريم
 زمن الليل هنا طويل جدًا; بل يزداد طولا بعد طول كطريق ممتدد

(1) الخدر : ستر يماد للجارية في ناحية البيت ثم صار كل ما وارك من بيت وحوله خدرًا، قال ابن الأعرابي : أصل الخدر يري أن الليل يغمر الناس أي يغطيهم ومنه قوله : والدجن خدر أي مليس ومنه قوله للأسد: خادر قال الأزهري : وإنشد: عمارة لنفسه: فهؤلاء جائحة الوشاح كأنا يسح النهر، أكلها الإدخاد أكلها: أبرزها، وأصله بالإحكال وهو النبسم، و الخدر و الخدر : الظلمة، و الخدر : الظلمة الشديدة، وليل أحدر و خدر و خداري :

(2) ج. ك
(3) الضحى، آية:2.
(4) ج. ك
(5) ج. ك

213
لا ينتهي يغمره سواد الظلام من حوله، ولا يكشف عنه ليظهر الصباح بوضوحه، والصرم هو: القطع البائن. ولو ضوحا كل شيء في ضوء الصباح، قالوا عن الصباح صريم.

وأجنت الحامل الجنين أي الوالد في بطنها وجمعه أجنة وقد جن الولد يتجه في جنا قال: "حتى إذا ما جن في ماء الحمم، ويقال أجنه الليل وجن عليه الليل إذا أظلم حتى يستره بظلمته، واستجن فلان إذا استمر شيء" (١).

ومن ذلك قولهم: "فما زال كذلك حتى جنه الليل "(٢) أي حتى ستره الليل بظلاته.

والزمن كالثوب يبقى ولكنه غير قابل للترقّي أو التجديد، فما يفني من الزمن ينتهي وينقضي. يقول إبراهيم المازني متمما أن يستطيع إصلاح ما فني من عمره:

ألا ليت عمر المرء يرفع كثوبه ويرفع منه جانب بعد جانب يظهر لنا الزمن في الأمثلة السابقة كالمادة المحسولة التي يراها الإنسان بعينه؛ كالستار والرداء، أو الحائل، أو الحائط، وهذا الحائل أو الستار يكون مرة متسدلا من أعلى لأسفل، أو كالجلباب الذي يستر الجسد، أو حائطًا حائلا يجب الروئية عن أعين المتطفلين والفاضلين. ويكون الزمن حائلا أيضًا إذا تزاول وكانت الأيام بليلها ونهارها مفرقة بين الخينين، أو كفيلة بأن ينسى الناس ما صار في سالف الزمان.

(١) الخليل، ج٦، ص٢١
(٢) ج٧، ك
الزمن لون:

كثيراً ما يرد التعبير العربي عن الزمن مرتبطاً باللون؛ فالليل (سواد)
مختلف الدرجات، والنهار (بياض) متفاوت الضوء. ومن ذلك قولهم:
"فحمة العشاء، أي شدة سواد الليل وظلمته" (1)
والتعبير عن الشباب بالليل والشيب بالنهاز تعبير تشخيصي؛ ولكنه
مرتبط باللون أيضاً، وذلك في مثل استعارة لون الشعر الأسود للليل، ولون
الشعر الأبيض للنهار. يقول ابن سنا الملك:
وكنت سراجاً ليل الشباب
افظفاً نوري نهار المشيب
يقول ابن القيسراي:
هب أن ليل شبابي زال فاحمه
عيً فما بال أسحاري وآصالي
ويوصف سواد الليل بسواد الشعر إشارة إلى مرحلة الشباب من العمر.
ويصفون الصباح كما يصفون بياض الشعر في مرحلة الكهولة، يقول
القلقشند: "ما مدنت الليالي على أيامها طلالاً، وما بلغ سواد شبابها من
بياض صبح اكتهالا" (2)

إدراك الإنسان للالوان مستمد من الطبيعة، "وقد أقام الإنسان تعرفه
الثلاثي للالوان على إحساساته بالليل والفجر والشمس" (3)، ولون الأبيض
 يعني النقاء والوضوح ومرتبطة به مشاعر السعادة، كما أن "الأبيض يثل

---

(1) الخليل، ج 3، ص 254
(2) الفلقشند، ج 11، ص 258
(3) عمر، ص 43

215
البداية في مقابل النهاية"(1)، أما "الأسود رمز الحزن والألم والموت، كما أنه رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتم. ولكونه سلب اللون يدل على العدمية والفناء"(2) ولكن قد يجعل الإنسان من اللون الأبيض صورة للتشاؤم إذا غلب عليه الحزن. يقول سليمان الصولة:

"ليت الحياة ثبت عنى أعتها ولا تثبت لكم ساعات النوى ليتا أرى الضحى كفناً والليل تابوتاً لقد غدوت وأيم الله يا سكني قد صار بيضة الضحى كالكفن الأبيض، لأن مشاعر الحزن قد طغت عليه بعد أن تأي الزمن بينه وبين حبيته. والليل لم يكن ستره إلا كتابوت أغلق عليه كما يغلق على جنازة.

وصورة الصبح الذي يخفيه الليل صورة تتكشر دائماً في كلام العرب، وذلك أنهم يتخلنون الليل كالجسر الذي يختفي الصباح خلفه، وظهور الصباح عند بداية شروق الشمس ممتد بشكل أفقي، وظلام الليل يرتفع عنه بشكل رأسي، يكون لون الضوء حينها ضارباً للحمرا، وفي وصف لحظة الزمن تلك يقول أحدهم:

"بدا والصبيح تحت الليل باد كمهر أشرقت مركى الجلال(3) ومن أغرب ما قال في وصف طلوع الصبح قول ابن المعتز:

(1) السابق: ص 186
(2) عمر، ص 186
(3) الأشقر من الدواب: الأحم. (التيفاشي، ص 84)
وقد رفع الفجر الظلام كأنه ظيلٌ على يُضِي تكشفُ جانبه
والظيل هو ذكر النعام الذي يرقد على البيض، وسُواد لون ريشه على
يامض لو البيض الذي يرقد عليه ويتبدى من تحته كصورة الفجر يتبدى
أبيض اللون من تحت سواد الليل. والصورة هنا صورة متحركة تشخيصية
بضاً، والرابط بينها والزمن هما لونا السواد والبيض يرتفع فيها السواد عن
البيض كما طلوع الفجر مرتفعاً إلى الأعلى نتيجة ارتفاع السواد عنه،
ويكشف يامض قشرة البيض مع حركة طائر النعام.
وتتبط مشاعر الدهجة باللون الأبيض وهي في ذلك مستمدة من
المشاعر المرتبطة بضوء الظهيرة. وتتبط مشاعر الضيق والهم وما يتصل بها
باللون الأسود، وعلى ذلك تكون الصفات والمشاعر السئية مرتبطة بالليل؛
من ذلك مثل التعبير عن الجوهل: ظلام الليل، أو التعبير عن العلم: بنور
الصباح. كما أن العدل والحق والصدق يكون صباياً أو فجراً، والظلم
والجواب والباطل والكذب والبهتان يكون ليلًا. ومن ذلك قول ابن علوى:
"لقد أن صبيَّ العدل ينشق فجره"، "وقد حان ليل الجسور ينزح حالكَه
ومن وصف الزمن في بعد تشخيصي تجاسي وذلك باعتبار لون
الشخص المتفق في الصفة مع الزمن؛ قول ابن الرومي:
نهارُ شكلُهُ في اللون سام
وليلُ شكلُهُ في اللون حام

(1) التيفاشي، ص 84
(2) يقصد (سام) و (حام) انيب نوح عليه السلام.
ويقول محمد بن هاني المغربي:
كان عوامد الفجر خاقان عشير.
من الترك نادي بالتجاشي فاستخف.
لواء الفجر غمر جعفر.
رأي الوفد فازداد طلاقته ضعفاً (1)
وامتداد زمن الليل هو مدة استمرار ظلامه وسواده، يقول الجاحظ:
"فإنّ البغال تحمل أثقالاً عشية تسير بقيمة يومها وسواد ليلتها وصدر نهار
غليها" (2)
ويقال: ما رأيته في أديم نهار ولا سواد ليل (3)
ومن وصف الزمن في بعد تشخيصي تجسدي وذلك باعتبار لون
الشخص المتفيق في الصفة مع الزمن أو جزء منه في أن يكون سواد الليل
كما قال ابن إيهاب الكتاني:
"بيضاء واضحة الجبي"
ويقول ابن زمرك:
سعود وبيض في الطراد ترابية
والألوان درجات متباينة مستمدة من رؤية سواد الليل وبياض

(1) التيفاشي، ص 154
(2) الجاحظ، الحيوان، ج 3، ص 160
(3) المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، ص 138

218
الصباح؛ يقال في وصف شدة الياض: "إلا أنها لياضها كأربعين نهار". وفي جعلِ يابِض النار معيارا للياض، يقول الطائفي: بيضاء تبدو في الظلام فكتسي نورة وتبدو في النار فيظلم ويلحِ بلون الليل الأخضر الألوان الغامقة، وقد تطلق أسماؤها أحيانا على اللون الأسود؛ ومن ذلك "الأزرق القاتم منه لارتباطه بالظلام والليل يدل على الحمولة والكسل والهدوء والراحة. وهو في التراث مرتبط بالطاعة والولاء والتأمل والتذكر". (1) والألوان القاتمة مرتبط بـ المشاعر الحزينة والسلبية، فالأيام السود أيام كرب ولاء، والأيام البيض أيام فرح وسعادة.

يقول ابن سهل الإندلسي: وُكِّلَت ليالي العيش بيضاً يُربِّه فقد أصبَحَت أيامنا بعده دُهمًا ويعير العربي باللونات السود رمزا للحزن والألم والموت. كما أنه رمز الخوف من المجهول والليل إلى التكتم. ولكن اللون الأسود سلب للون يدل على العدمية والفناء (2).

يقول ابن دراج القططي: يَا أيها القمران أيمن سناكُما عن مُطَلَق في ليل هَمُّ أسود ونلاحظ أن الإنسان يربط التصاق مشاعر البهجة باللون الأبيض أو الألوان الفاصلة وهي عادة مرتبط بالنهار، وربط مشاعر الضيق والهم بالسود وما شابهه من الألوان الغامقة وذلك مرتبط بالليل؛ وما قيل في

(1) عمر، ص 183
(2) عمر، ص 186

219
الصحيح قول ذي الرمة:
وقد لاح للسأري الذي كمل السرير
على أُخريات الليل فتق مثير
كلون الحصن الأبيض بطن
(1) فائماً
تمايل عنه الجهل واللون أشقر
وظهر الصباح جليا بلوه الأبيض المختلط بالحمرا كمثل فتق في
أُخريات الليل، كأنه انشقاق أفيي متمث على مرأى النظر. وضوء الفجر
المتسرب من خلال حمرة السماء في الصباح يبدو من خلال هذا الفتق الذي
حدث في أُخريات الليل وكان السماء قد خلطت بالأرض وذلك هو امتداد
 زمن الليل في بُعد مكاني له أول وآخر، ثم في آخره انشقاق أفيي يبدو من
خلاله ضوء الصباح مخالطة بحمرا، كما يبدو يابس بطن الحيل الأشقر حينما
يتمايل عنه يرده من على ظهره. والأبيض: الحيل الأبيض البطن. شبه يابس
الصحيح تحت حمرته يباض بطن الفرس الأشقر.
وفي هذين البيتين يبدو الزمن في صورة ألوان مختلطة في بُعد تشخيصي
في حركة الحيل، ومكاني في امتداد الليل وظهور الفجر في آخره، و بُعد
مجسدي في امتصاص اللونين وانشقاق رقق الليل بالنهار، والذي يعني هنا
ظهور اللونين الأشقر والأبيض صورة لشروق الشمس حينما تختلط حمره
أشعة الشمس في أول شروقها يباض ضوء الصباح.

واختلاف أحداث الحياة على الإنسان يجعله يدرك أن الأيام ألوان

(1) الأبيض الذي يكون البياض في أعلى شقي بطنه ما يلبث في مجرى الحزام ولا يصعد إلى
الجبه، وقيل: هو الذي يبطنه بياض، ما كان وأبان كان منه. (ابن منظور، ج 11، ص 41)
(2) التيفاشي، ص 84

٢٧٠
مختلفة، كل يوم بلون حسب نوع أحداثه وأثره على نفسه. وسرعة اختلاف ألوان الزمن بتبني الأحداث السيئة تجعل الأيام مختلفة، وأنا المفترض أن تجري بتبني منتظم على نفس معروف، بأحداث مرتبة، ولكن إذا وقعت أحداث متابعة لا تشهيها النفس، كحدث المصائب مثلا في أوقات متضاربة، تجعل الأيام كما الألوان المختلطة التي تعجز عن تميزها في تسارع امتراتها. يقول أبو علي الكافي:

أيام عمري في تلوون جريها
ولصلاة امتراتها والصباح بالليل، ملؤو الليل من النور
وأبيض ملؤو الليل، وأسود وأبيض ممتنعين;
ويقول أبو هلال:
باكرتها والخيير في بكوري
كما خلطت الألوان بالكافور (1)
وقوله: "كما خلطت الألوان بالكافور" يجعل تصورنا لهذه اللحظة الزمنية هي امتراج لوني السواد مع البياض، والمسك مسحوق أسود اللون، والكافور مسحوق أبيض اللون. والبياض يعني الضاح، والسواد يعني الليل، واختلاط السواد بالكافور يعطي لونا مختلفا يشبه لون السماء في ساعة الفجر الأولى.

ويقول ابن الأبار البلنسي:

أما الألوان، وأصلها،
وأما الألوان، وعذوبة ليلها
(1) التيفاشي، ص 25

221
يِزداد حُسُنًا صُيًّحٌها يُروُأينِها وَيَكُذُّ بُشرُهُن من سنّاهما العَيُّنُ بُهً
والصفات الأصلية لليل بسواده وسكونه، والنهار بضوئه ووضوحة،
تكون في الأوضاع المتعددة في حركة الكون، أما عند الكوارث فإن أوصاف
الزمان متفاوتة، والمسائل تساق صفات متبلدة أو مقرونة لأجزاء الزمان،
نتيجة اختلاف إحساسهم بالأحداث التي تقع فيه، يقول الثعالبي في وصف
أيام حرب وضنك وبلاء: " في كل دار صرخة، في كل درب نعرة، وفي
كل زاوية ظالم لا ينصف، ومظلم لا يتنصف. فالنهر ليل بالدخان،
والليل نهر بالنيران، ولم يبق من رسوم الإسلام غير شهادة الإيمان وإقامة
الأذان. كم فشأ فيهم من قتل ذريع، وضر وتعت، وهرب وجلاء، وضنك
وبلاء، ونار مضطربة، وفترة مضطورة" (1)
فالنهر في نصف صفة الليل وهي سواد اللون وحلول الظلام بسبب
الدخان، والليل غدا نهارا من ضوء الحرائق التي بدأته ظلامه. وهنا حصل
تبادل في الألوان بين الليل والنهار، والتبخير في الصفة المتعددة للزمن يكون
ناتجا عن شعور نفسي بالكارثة الكونية لاختلاف المتعدد من صفات الليل أو
النهار أو أي حركة من حركات الكون.
ومن ذلك قول النامي:
فسوَّد يوماً بالعجاج وبالردى ويض يوماً بالفضائل والمجد
وقد يكون بيضاء الفجر كأنه ثوب من جليد في ضوء الفجر الأول،
يخلعه تبدو حمرة الشروق بعد ذلك كلون الذهب. يقول ابن خياط:

(1) ج.ك.

٢٢٢
إذا نضا(1) الفجر عنده صبيغ قضقه، أجر الصباح على أعطافه دهباً، ويبدو الزمن مشبعاً بلون زمن آخر في أوقات النصب والتعاب، يقول أبو منصور الكابب: "وليلي نهار أريد(2) مقصور على السهر. أرخي أيامي بين تعلل بالأمان والجمال في تحمل ما أعانى. أمّى سواف الأيام والأماني معضلة الأفهام، فإذا ينتهى عنئي دهري أنسى بيكائي(3)."

في هذه المقوله الليل يشبه النهار المتشبع بلون الغبار، وتعدم الرؤية فيه كما تتعدم في الليل. وفي تتمة الكلام يصف الزمن كقطعة قماش لها أطراف يرمحها لعلها تحمل نقل معانيه. ويتمى أن تعود سواف الأيام السعيدة والسواف ما مضى وانتقض، و السائر سفنا المتقدم مكانا، والسابق يسمى سفنا(4). وفي هذه التصور يعد تشخيصي كان تفصيل الحديث فيها في الفصل الثاني.

الزمن مال يستمر أو بضاعة ذات قيمة:
نعامل الزمن كما لوكان مالا حقا، فقضيةه أو نسبته أو نبتره، إذ تنسحب

(1) نضا: نضا ثوبه عنه نضاوا: خلعه وألفه عنه. و نضوت ثوباي عني إذا ألقيتها عنك. (مادة: نض ا، ابن منظور، ج 15، ص 269)

(2) الربدا: الغبرة: وقيل: لون إلى الغبرة; (مادة: ر ب، ابن منظور. ج 3، ص 17)

(3) ج، ك

(4) سلف سفنا مضي. السلف أيضاً كل عمل قدمه العبد. السلف: القوم المتقدمون في السير، قال قيس بن الخطيب: لو عرجو ساعة نسالتهم... ربت يضحي جماله السلف. والسلف الناقة تكون في أوائل الأجلإ إذا وردت الماء؛ وينقل: "سلفنا الناقة سلفنا" تقدمت في أول الورد، السلف السريع من الخيل. (مادة: س ل ف، ابن منظور، ج 9، ص 158)
بنية الزمن على المال وتحدث عن الأول بألفاظ الثاني.(١) وقيمة الوقت يكون تقديرها بما يتم إنجازه فيه من أعمال تدرّ ربحاً مالياً أو فكرياً، أو ما يحتويه من سعادة أو عبادات يدخر أجرها للاحمر.

يقول الشاعر:

يوم كان نسيم من نعير
وخلال أن أدبته من جوهر
لوباعت الأيام آخر مثله
بالمير أجمع كنت أول مشتري(١)

في هذين البيتين الزمن هو البائع، والثمن هو الزمن أيضاً، والبضاعة الثمينة هي يوم سعيد، والإنسان هنا هو المشتري الذي يرغب في اقتناء هذا الزمن ودفع أغلى الأمان قيمة له. وتعبير دفع العمر كمال قيمة ثمينة لشيء يرغب فيه الإنسان بشدّة شائع ومتكدر؛ إذ يقولون في بيع الزمن لقبض منه ودفع قيمة لشيء مرغوب: "أبيع عمري وأشتريه"، أو قولهم: "أدفع عمري كله مثما له".

يقول ابن باتنة:

في ليل أفراح كان هلاله
للشرب ما بين الندماء زورق
فهو السان أو العدو الأزرق
حتى استطال الفجر يطعن في الدجى
يا حبذ ليل نبع به الكرى
لكننا لا عن رضا نفرق(٢)

الشاعر يتنمى هنا أن يبيع الكرى مقايضة عن ليلة أفراح كتلك الليلة.

(١) انظر: لايكوف: جورج، الاستعارات التي نحيا بها، ص ٢٥
(٢) التيفاشي، ٣٧
(٣) ج. ك.
و دائما يقولون: "الوقت من ذهب إن لم تدركه ذهب". وقد ينسق الزمن مقابل زمن آخر; يقول ابن ظهير الأرشي: أعتب دهراً صرفه غير معتب أصرف فيه كنز عمري وأتفق والزمن شيء نفس يعنى الإنسان يحفظه، يقول الوزير يحيى بن هيبة: "والوقت أنتَ ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع".

وقد امتدحوا العلماء في سبيلهم بحفظ وقته من الضياع; يقول محي الدين بن شرف النووي عن أحدهم: "كان لا يضيع وقتا في ليل ولا نهار إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم؛ حتى في ذهابه في الطريق ويجيبه يشتغل في تكرار محفوظة أو مطالعة، وبقي على التحصيل على هذا الوجه نحو سنين".

و كمَا أن الوقت كالمال أو الشيء الثمين يحفظ من الضياع؛ فهو لا يصرف إلا فيما يستحق، قول عن الإمام النووي: "وقد صرف أوقاته كلها في الخير فبعضها للتأليف وبعضها للتعليم".

الوقت كنز ثمين، لا بد أن يكون الإنفاق منه بتقدير وحساب. ولا يستهلك الإنسان جل وقته في نشاط أو سلوك وحيد ويترك بقية شؤون حياته؛ لأن عمر الإنسان قصير محدود؛ لا يستطيع أن ينفق كثير منه على هوى أو متعة. يقول ابن رشيق القيرواني: حاسب هواك بما أنفقته من عمري والله لا ينفق عمري كُنْز قاَرُونٍ.

(1) ج.ك.
(2) ج.ك.
(3) ج.ك.
والوقت أنفس وأمن ما يملك الإنسان; وترجع نفاسته إلى أنه وعاء لكل عمل وكل إنتاج، وكما أن من الوقت شيء نفيس وآخر تافه، هناك وقت أشرف من وقت آخر. يقول سعد بن محمد التميمي:

أنعم بأملاكتي التي ابتعتها بأشرزق الألمان من عمري وأوقاتك عمرك، وعمرك رأس مالك، وعلى تجارتك، وبه وصولك إلى نعيم الأبد في جوار الله تعالى، فكل نفس من أنفسك جوهر لا قيمة له، إذ لا بدل له، فإذا ذكى فلا عودة له. فلا تكن كالمقيم الذي يفرحون في كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم، فأي خير في مال يزيد وعمر ينقص؟ فلا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل، فإنها رفيقاك يصحبانك في القبر، حيث يتخلف عنك أهلك ومالك ولدك وأصدقاءك.

يقول ابن سنان الخفاجي:

ولكن شجاعي أن وُذك ضاع من يدي وقد أنت فت في كسبه عمري وسعة الوقت، والوقات المرحة هي أوقات نادرة الحدوث، لانشعر بقيمتها إلا بعد زوالها; يقولون في الحث على اغتنام هذه الأوقات: "اغتنم ساعة الأنفس".

والزمن مورد ثم غير قادر للتخيز واللحظات التي تمر دون أن

(1) الجزري، ص 21
(2) الغزالي: أبو حامد، بداية البداية، تح. محمد زينهم محمد عرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993م، ط 1، ص 41
(3) التلماسب: ج 5، ص 575

277
نستغلها تقنيًّا، كمالاً تماماً؛ وفي ذلك يقولون: "أطلف فلان ماله أفناه إسراًفاً" (1)

وفي الحديث النبوي: "عن معاذ قال: لا تزول قدماً عبد بين يدي الله عز وجل يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن علمه ما عمل فيه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله مكن أين اكتسبه وفيما أنفقه" (2)

ومن ذلك قول محمد عبد الجباري:

أمست تعجب أجر أنت صاحب من أجل ساعات كده أنت تقنيها وتضمن الوقت لمجدًا في عناوين الكتب التي تتكلم عن إدارة الوقت وأهميته في حياة الإنسان، والتي تعبير عن الزمن أو الوقت باعتباره مالًا، أو بضاعة ذات قيمة؛ من ذلك كتاب عبد الفتاح أبو غده: "قيمة الزمن عند العلماء" (3)، أو مالاً لا بد أن نحسن إدارته في كتاب أحمد غنيم: "مهارات إدارة الوقت" (4)، وعلينا أن نتقن مهارة استثماره في كتاب محمد هشام حريز: "استثمار الوقت من المنظور الإسلامي" (5)، وقيمتها أغلب من كنوز الأرض في كتاب شعبان عبد العال: "الوقت أغلب من كنوز

________________________

(1) الخليل، ج8، ص ١٢١
(2) ج. ك.
(3) أبو غده: عبد الفتاح، قيمة الزمن عند العلماء، (دار السلام، مصر، ط1، ٢٠١٠)
(4) غنيم: أحمد محمد، مهارات إدارة الوقت، (المكتبة المصرية للكتاب، والتوزيع، ٢٠١٠)
(5) حريز: محمد هشام سامي، استثمار الوقت من المنظور الإسلامي، (دار غيابا، ٢٠٠٨)
الأرض(1).

بالرغم من أن الزمن الذي يقضي أو يمر بنا لا يعود، ولا يمكننا أن نعيده
بأي حال من الأحوال، ويقولون: "الوقت لا يمكن ادخاره لوقت
الحاجة"(2). وقد يمكننا أن نجعل من الوقت مالا ندخره لوقت الحاجة بصورة
أخرى، ويكون حساب استغلال الوقت وأدخاره على مستوى الفرد في
العمل بجد وخلاص؛ دون أن يهدأ من وقته أي ساعة من غير جدوى. ولو
استغل الفرد في كل يوم ساعتين عملًا جادًا مخلصًا لنفسه ولغيره؛ فإنه ربما
يوفر لنفسه شهرًا كاملاً في قضاء أمر يستحق به. إن ادخار الوقت يكمن في
استغلاله كما ينبغي، وعند مسألة استغلال الوقت كما ينبغي يتحدد الفرق
بين المجتمعات وبين الشعوب والأمم، وعلى هذا يُقياس التقدم والتأخر،
وعلى هذا يقال عن شعوب إنها متفجحة؛ لأنها تعمل و تستغل الوقت في
العلم والعمل والإنتاج. ويقال عن شعوب أخرى إنها مستهلكة فقط، لأنها
في مقدمة كل الاعتبارات والمعادلات لا تحسن استغلال الوقت لما فيه
مصلحتها علما وعملًا وإنجازًا، وعندها يمضي الوقت بلا فائدة."(3). وفي
صورة تحليلية لادخار العمر، يقول إبراهيم المازني:

(1) عبد العال: شعبان جبريل، الوقت أغلى من كأوز الأرض،(دار ابن خزيمة,
الرياض،1418،1997م)
(2) البطيخ: علي بن صالح، فن التعامل مع عقود الساعة،(وزارة التربية والتعليم,
عنزة،1434هـ،ص.2)
http://www.algomhoriah.net/articles.php?id=3952
(3) راجع: آشور نعمان،2007م

228
ولم يبق لي شيء وقد فاتني الصبا
أدير مثل السهم عن قوس ضارب
كأن لنا عمرين عمراً نريقه
آخر مذكوراً لنا في المياب
والزمن السعيد نعير عنه كما المال أو المجوهرات التي يصعب الحصول
عليها، وقد يلجأ بعضهم إلى سرقتها. قال صفي الدين الحلي:

ورحنا نوقٌ أميش بالله سرٌّ حقٌّ
وَتَسَرِّقُ سُلَّمٌ السُّورِ منَ العُمْرِ
وبعض الزمان رخيص لا قيمة له كزمن الكهولة أو المرض، أو الوقت
الذي يقضي بالإزهاق والانعدام والانتاج، وبعضه نفيس غال من مرحلة الشباب
والعالية والعمل المشر. يقول ابن شهاب العلوي:

صرفت حبيّ نفسي عمري
وتم ليّن بنجد اقتباس

وفي إنفاق العمر بقضائه في كثرة الترحال: يقول مصطفى التل:
هذا هو العمر لا ساعات تنفقها
في الأرض تردف مشوراً بمشوار
والعمر مال ينقف منه في الهوى بغير حساب; يقول ابن رشيق

القيرواني:

حاسب هو اناً بما أنفقت من عمرى
والله لو كان عمري كنز قازون

ويقول ابن أبي الحديد:
أنفقتك عمري في هواك تكرماً
وتضنَ بالتر القليل وتَبخُل

ويقول ابن شهاب العلوي:

في الهوى أنفقتك عمري
والهوى طبع الكَرَام

ويقول ابن سنان الخفaji:

ولكن شجاعي أن ودك ضاغ من

يدي وقد أنفقتك في كسبك عمري

٢٩٩
شباب تقف في هواك وشرذ المطوية الأبناء جابيلة الذاكر
وفي صورة أخرى يطلب الشاعر ابن قلاقس تعويض الزمان
الذي أنفقه من عمره فيقول:
أحبنا أناقفت عصري عندكم
ومتى أوعوا بعض ما أنقفت
يقول أسامة بن منقت:
أنقفت مدهب عصري في رضاك وما
لكني أعتضت منه حسن رأيك لي
قال المفتى فتح الله:
حيث في أفقه عصري ومالي
لاكتسب الضنا بصر الصدود
يقول تاج الدولة البوهيه:
فمن لي بأيام الشباب التي مضت
ومن لي بما أنقفت في الحبس من عصري
يقول شرف الدين الحلي:
أنقفت في حبك عطامًا
يقول ابن الأبار البلنسي:
ولعم ما أنقفت من عصري بها
ولأندن بها الشباب وشرخه
يقول صالح القيرواني:
أنقفت عصري في الفريق خسارة
واليوم بعث من التماء خاتمي
والزمن مال يدفع مقابل ما يستحقه من نشاط، يقال: "لأنظم أي
نشاط أكثر من الوقت الذي يستحقه. ويمكن توفير الزمان إذا تمت الاستفادة
منه بصورة سليمة، مثلما تقول: "تذكر أن بضع دقائق من التفكير والتخطيط توفر بضع ساعات من العمل الشاق"(1)، و"ساعة واحدة من التخطيط توفر 10 ساعات من التنفيذ".

والوقت مال جار لا يمكن إيقافه، أو إدارته إلا بقدر ما تتعمته به من إنتاج مفيد ينفعنا في وقت آخر. ونحن نصرف فيما يستحق، نقول مثلا: "يصرف الوقت التحضيري في تجميع المعلومات"(2).

ولأن الزمن يمكن إقناعه كما المال، واستهلاكه، وإدارته، أو تضييعه أحيانا أو خسارته لا بد له من سوق يتم فيها تداوله. يقول ابن الصباغ الجذامي:

ولى شباب بالزمان الصالح ساعات تجر قد تصرّم وقتها ضيعتها جهلاً وضياطتها ما في أسواقها بالرايح من فعل ذي عقل سليم راجح.

وهكذا نرى الزمن متداول في سوق يُستهلك فيها ويصرّف ويُضيع، بصورة جيدة أو سيئة، ويتورّف أو تضيّعه. أو يقضي به سلعة تذخر لوقت الحاجة. قال الأمير الصنعاني:

يقضي ساعات النهار بعبادة، ودرسًا وتدريسًا إلى أن قضى العمر، وإن لبس الليل الظلام رأيته وقد ليس الخراب وهو له وكر، وفي سوق الزمن، رأس المال من الزمن يكون من أطيب العمر وشبابه.

(1) البطحي، ص 23
(2) السابق، ص 24

٢٣١
يقول أحمد بن يحيى بن المرتضى:
ولا غَرْوَ في أن يَسْتَيْبَن رشادته
شمسٍ نهارٍ قد تجلت لنا ظري
إذا كان رأس المال من عمري الفضى
ويقول ابن لبون التحيبي:
العمر ساعات تقضى فلا
واعمل لما أنهت له صائر
ولا تكن تأويا لدينا وقال
والأزمن مال طيب وخيث، وعلى الإنسان أن يغتنم الزمان الطيب
ويسُفيد منه. يقول ابن مليك الحموي:
ساعات لبزوك إن العمر ساعات
والوقت محدود في اليوم والليلة ولا يمكن زيادة بجمال من الأحوال
وبذلك هو مورد شديد النصرة، ومورد غير قابل للبدل أو التعويض(1)
والزمن أيضا شيء تأخذ منه بيدك وتمتلكه حينما يصير في يدك
وعليك اغتنامه، وقد تفسره وتغدو خالياً البدين. يقول الجراني: "وأما
الدنيا ثلاثية أيام: مضي أمس بما فيه فلا يرجع، وصار اليوم في يديك
ينبغي أن تغتنمه. وغد لا تدري من أهله تكون أم لا. أما أمس الماضي
فجنيك مودع، وأما اليوم القادم عليك فصديق مودع، وأما غد فيله في
يدك منه شيء إلا أهله، فإن كان أمس الماضي فجعل بنفسك فقد أبقى

http://www.kenanaonline.com/page/4173
(1) الغنام: إبراهيم، ٩٢٦
اليوم في يدك حكمه ينبغي لك أن تعمل بها، فقد كان طويل الغيبة عنك اليوم، وهو سريع الرحلة عنك اليوم. وأما غد فليس في يدك منه إلا أمله؛ فخذ الثقة بالعمل، ودع الغرور بالأمل"(1)

وتعبرنا عن الزمن بمثل قولنا: "ضياع الوقت"، و"إدارة الوقت"، و"الوقت مورد للأفكار الإبداعية المتجددة". كلها تجعلنا نتصوّر الزمن مالا نستهلكه، ونصرقه، أو نضيعه، أو نحسن إدارته، ونندلله في سوق الزمن.

وقد أصبح من المألوف أداء الأجور في ثقافتنا من خلال الساعة أو الأسبوع أو الشهر أو السنة. ويتجلى هذا التصور الاستعاري في أن الزمن مال في التسعيرات التلفونية، وأجور الساعات، وتسليم الدين. وهكذا تبني هذه الاستعارة سلوكنا نحو الزمن فنحن نستهلكه، أو نصرفه، ونستمره، أو نوفره، أو نضيعه، وننهذه(2).

وتحويل الوقت إلى مال هي حقيقة واقعة بالفعل مع العمل المنظم لتحويل المواد إلى أشياء أخرى يستفيد منها الإنسان، وكل ذلك يتم في ساعات محدودة من العمل، وكل ساعة عمل تجعل للوقت قيمة المال. ولو أخذنا مثالا على تحويل الوقت إلى مال من خلال معادلة بسيطة؛ فإن قطعة حديد ثمين تساوي 5 دولارات؛ صنعت على شكل حذوة فرس؛ وذلك خلال ساعة من العمل صارت تساوي 200 دولار، صنعت على شكل إبر خياطة خلال ساعات من العمل صارت تساوي 250 دولارات، أو صنعت على

__________________________

(1) ج.ك.

(2) انظر: لابكوف، جونسون، ص 26

٣٣٣
شكل سكاكيين خلال ثلاث ساعات من العمل صارت تساوي 2285 دولار، وهكذا

بالاستعانة التي نستخدمها للوقت هي استعارة مالية. ويجلد مؤلفا
كتاب الاستعارات التي نعيها بها (1) مجموعة من الاستخدامات اليومية في اللغة
الإنجليزية في التعبير عن الوقت باستعارة المال؛ منها:

- إنك تجعلني أضيع وقت.
- هذه العملية ستجعلك تربح ساعات وساعات.
- ليس لدي وقت أمنحك إياه.
- كيف تدير رصيدك الزمني.
- كلفني إصلاح هذه العجلة ساعة كاملة.
- لقد أخذ مني وقتا كبيرا.
- ليس لدي وقت أخر.

وهذه التعبيرات شائعة أيضا في اللغة العربية في عصرنا الحديث.

الزمن كتاب:

مع انتشار الكتابة، وتأليف الكتب، صار الزمن متخيل ككتاب،
وأيامه صفحات، وأعمال الإنسان وسلوكي هو ما يملأ هذه الصفحات. قيل
عن الإمام المستعين بالله الفضل العباس: "كم ترك الأول للآخر، عدّ فيه
وقائعه المشهورة، وذكر مناقبه التي صارت على صفحات الأيام مرقمة،

(1) البطيخ، ص 9
(2) لايكوف، جونس، ص 25

224
وعلى مر الليالي مذكورة، وفي بطوان التواريخ على توالي الجددين وعقوبات الدهور مسطورة.

وفي تصوّر آخر للزمن تكون الليالي فيه مداها يُكتب به على صفحات الأيام البيضاء. يقول القلقشندي: "وَيُكْتَبُ بِأَنْقَاسٍ (١) الليالي على صفحات الأيام (٢)

هذا يتصور العقل أن المجال الزمني هو مجرد صفحات بيضاء، وأفعال البشر هي تدوينات على تلك الصفحات. يقول عليّ المدنيّ عن السيد أحمد بن عبد الصمد البهراني: "هو للعلم علم، وللفضل ركن ومستلم. مديد في الأدب باعه. جلّد كريم خيمه وطاعه. خلد في صفحات الدهر حاسن أثاره (٣)

وتوالي الزمن، وتابعه بتابع حركة الكون؛ هو صفحات تتبع في كتاب الدهر، كل يوم منه بصفحة، يقول إسماعيل الدهشان:

تلوت كتاب الدهر حتى كأنني أرى الأمّس آخر الصفحات، وما من جديد في الحياة يلز لي فهماً تّرى المشهود بعد مماتي، وفي عالم الدنيا شهدنا العجائب وأحداث الحياة الدنيا مدوّنة في كتاب الدهر، والأمس القريب هو آخر

(١) القلقشندي، ج. ١٠١، ص. ١٢٦
(٢) نفس: النقص، الذي يكتب به، بالكسر. ابن سيدي: النقص المداد، والجمع أنقاس.
(٣) مادة: ن ق س، ابن منظور، ج. ٦، ص. ٢٤٠
(٤) ج. ك. ك. ١٤١، ص. ١٧٧

٢٣٥
الزمن شجرة:

تُعتبر الزمن كالشجرة لها أغصان وأوراق؛ فالزهراء شجرة، وأغصانها السنون والشهور، وأوراقها الأيام. وإن كانت هذه الأيام بعيدة كانت شجرة الزمن مورقة خضراء، وإن كانت أيامها تعبيه صارت الشجرة مجدياً جافة الأوراق. ومن أقوالهم في وصف الزمن السعيد: "عود الدهر فينان مورق" (1)

ويقول ابن معصوم المذكي:

وابق موقاً من كل حادثة وغصنك الدهر مورق خضيل.

وقد يظهر الزمن في تعيرهم مجموعة من الأشجار لا شجرة واحدة؛

يقول محمد الفيروزي:

وتكفه على مراتك الصور.

(1) ج. ك.
أتعقم الأرض؟ هذي الأم.
أي دجي هذا الذي في عيون الناس ينتشر.
وينحنى شجر الأيام.
الغضب القدسي يغدو انكسارات،
وينحرس.
وإذا زالت الأيام بأفعال الإنسان الحميدة بعد أن كانت أياما يسودها الجدب والكد، كانت كشجرة ارتوِت بعد جفاف واخضرت بعد يِس. قال الباعريزي مادحا:

بِه اخضرُ عُودُ الدهرَ وهُوُّ نبتُهُ وهَلّ على مقصوده كل فاضٍ
أما إذا كانت الأيام جذباء، وليس فيها من أحداث تبث السعادة والأمل، وقد شارف الإنسان منتهى عمره، صار الدهر شجرة ميتة لا تنفع إلا للاحتباط. يقول ابن التعاويذي:

أيام لا أرعي لعاذلتي سمعي ولا أُصغي إلى المُذلال
فاليوم عُود الدهر محتطب ذو وشمسم العُمر في الطَّفال
وشجرة الزمن أغصانها السنو والشهور، وأوراقها الأيام. يقول

الشاعر محمد السيد ندا:

يوم لن أنساه ولن ألقاه.
أرض ربى كفرست روحًا.

(1) أ.م
(2) ج. ك

٢٣٧
سركت من أغصان الزمن ملايين الأوراق.
تلمس أشجاري ألوان شهور خضرة.
والشجرة الزمن أغصان وثمار أيضا; يقول محمد الحباك: "و مع موج الآهات القادم من بحار غلمات الأيام; جاءها المخاض إلى جذع الذاكرة، هربت أغصان الزمن ييمناها وأحلام البقاء يسرها.
و الإنسان لا يهر أغصان الشجرة إلا لتساقط الثمار; ومن ذلك قول سركون بولص:
كان يخفق في أذمور ذات زمن
والعرافة الأربية، طارفة بعينها الخضراء.
لتطرد سرا غير مرغوب رفرف من يدي المفتوحة.
هاربا مثل غراب إلى البعيد، تهر الثمرة
في أعلى أغصان الزمن، حجرًا
له سبما الذهب...
خلاصة:
وهكذا نرى التعبير عن الزمن في البعد التمثيلي مستمدا من الطبيعة الصامتة; وذلك في صور المادة التي يراها العربي في حيته المحيطة به في بداية

(1) ندا: محمد السيد، ديوان رحلة في الزمن 1968م.
(2) الحباك: محمد علي، محمود درويش، حكاية فلسطين التي لا تموت، رابطة أدباء لبنان;
http://www.odabasham.net/show.php?sid=21726

٢٣٨
الصحراء أو مدانين الحضر وبيوتهم. وجدهم يتعاملون مع الزمن كمادة
جامدة تقبل التقسيم أو التجزئة، وأقسام الزمن وأجزائه قابلة للترتيب أو
التنظيم، أو يكون الزمن مادة سائلة تكون نقيّة حينا ومكسِّرة حينا آخر،
تسيل بانسياب، أو تنفجر انفجاراً، أو يتصورون الزمن كستار متسدل يحول
بين الناس بعضهم البعض أو بين الناس والأشياء أو كساء يرتديه البشر. وفي
تعبيرات أخرى يكون الزمن خطأً متداف يطول ويقصر. وتعبر عن الزمن في
أحيان كثيرة بالألوان فقط؛ بيضاء النهار، وسواد الليل، وكل لون ترتبط به
مجموعة من المشاعر التي تسبّبها على الأحداث في حياتنا. وكثيراً ما يكون
الزمن مالا نستمروه ونحافظ عليه أو نبذده فيما لا قيمة له، وأحيانا تعبر عن
الزمن كبضاعة نفيسة ثمينة. وفي تعبيرات أخرى نجد الزمن كتابا صفحته
الأيام وأفعال البشر تدوينات على تلك الصفحات، أو يتبذّل الزمن شجرة
ذات أغصان مورقة تهيج الناظرين، أو جافة لا تصلح أغصانها إلا حطبا.
الفصل الرابع: الابد المقياس

- مدخل
- قياس الزمن بالظواهر السماوية
- قياس الزمن بنسب الطقس
- القياس الذاتي للزمن
- قياس الزمن بأحداث مشهورة
- قياس الزمن بحركة الجسم الزمن (أرقام)
- خلاصة
مدخل:

يعتمد الإنسان مبدئيًا في قياس الزمن على الإحساس الذاتي النفسي، وما يراه بالعين المجردة من تغيرات تظهر في الطبيعة. ويستخدم العربي مفهوم العدد في بناء مفهوم الزمن (الساعة) ويذكى يتبنى مفهوم الزمن (المجال/الهدف) من خلال تصويره بفهائم وعلاقات مستمدة من مجال الأعداد (المجال المصدر). ويتم حساب يوم واحد من شروق الشمس إلى غروبها وهو ما سماه العربي (النهار)، والفترة التي يُغيب فيها ضوء الشمس تمامًا ويحل الظلام ليظهر ضوء القمر والنجوم يسمى (الليل).

ومن شروق الشمس إلى شروقها مرة أخرى يحسب يوماً، يعنى آخر مدة دوران الأرض حول محورها. دورة واحدة يسمى (اليوم). واليوم الشرعي عند العرب مقداره من طولث الشمس إلى غروبها أو من طولث الفجر الصادق إلى غروب الشمس. أما اليوم عند الفلكيين أو عند المتجمين: "من الطولث إلى الطولث، أو من الغروب إلى الغروب، ويستعمل يعنى مطلق الزمان، نقله ابن هشام. قلت: حكاه سيبويه في قولهم: أنا اليوم أعله كذا، فإنهم لا يريدون يومًا بعينه، ولكنهم يريدون الوقت الحاضر" (1). وبذلك نرى أن اليوم الشرعي هو النهار، أما اليوم الفلكي فهو النهار والليل. ويشيع في كلامهم "اليوم والليلة" وهم يريدون باليوم (النهار). وفي لسان العرب: "وضد اليوم: ليلة" (2).

_____________________

(1) الزبيدي، ج 34، ص 143
(2) مادة: ل.ابن منظور، ج 11، ص 672.607

243
اختلاف حالات ضوء الشمس خلال النهار برؤية حالات الظل.
نعلم أن هناك اختلاف الزمن خلال النهار ونعد قياساته باختلاف قياس الظل. والتفاوت بين ظهور الهلال إلى ظهور الهلال يسمى شهراً(1)، وما يطرأ على الطقس من تغييرات خلال السنة يحدد لنا فصول السنة ومدتها، والأوقات المناسبة للزراعة.

ويدرك الإنسان المتحضر الزمن في صورة أرقام تسجل عدد الأعوام والشهور والأيام التي تعتمد على حركة الأرض حول الشمس، وحركة الأرض حول نفسها، أو حركة القمر حول الأرض. وتقيس أجزاء اليوم والليلة بالساعات والدقائق والثوانى، ولكن دقيقة وثانية تمر رقم معين، ومدى تستمره خلال مرورها تقيسها بالآلات خاصة اخترعها الإنسان قديماً 1500 ق.م.; مثل الساعة المائية عند المصريين القدماء، والساعة الرملية عند اليونان، أو الساعات الفارسية(2) ذات الدواليب، أو ذات الرقاص.
Christian (الساعات البندولية التي اخترها العالم الهولندي) عام 1657م، أو الساعات الكوارتزية التي تعتمد على تذبذب بلورات الكوارتز في القرن العشرين، وأخيراً الساعة الذرية (atomic clocks) التي تعتمد على تذبذب الذرات، وتستطيع أن تقيس الزمن بدقة شديدة إذ تصل دقتها إلى قياس جزء واحد من ألف مليون جزء من الثانية. وتعتمد آلات قياس الوقت دائما على تكرار حركة منتظمة متسارعة متتابعة تحسب فيها كل حركة برم. وبذلك يتم قياس الوقت. (1)

يربط قياس المدة الزمنية في الأساس بإدراك الإنسان لطول هذه المدة الزمنية بحركة شيء محسوس. ومن المعايير التي يمكن أن تقيس بها نهضة الإنسان من الهمجية إلى مدينة العصر الحاضر؛ رغبة المتزايدة في قياس مرور الوقت متوخيا أقل درجات التفاوت المسموح بها، وحرصه على جدولة السنين ومعرفة الوقت المضبوط من اليوم أينما شاء. ولم يكن الإنسان البديائي، ساكن الكهف في عصور ما قبل التاريخ، يجد من نفسه اهتماما أو فهما للساعات والدقائق والثواني. كان ينشد مع الفجر، ويقضي يومه سعيا وراء الصيد الكافي والبحث عن الطعام الذي يمكن أسرته من البقاء، ليأتي إلى مضجعه عند غروب الشمس حتى يولي الليل أدباره. ومع أنه كان يدرك - بلا ريب - أن نقطة الشمس العليا تشير النهار شطران، إلا أنه لم يحاول أن يقيس تقدم النهار إلا بعد أن شرع في جدولة تراكمات


٢٤٠
الأيام، أو بعبارة أخرى ظهرت التفاويم قبل الساعات."(1)

ويعود البحث عن إدراك الزمن الذاتي عند الإنسان للقرن التاسع عشر
عند علماء النفس؛ حيث يؤكدون أن تقدير المدة الزمنية يمكن تعديله داخل
عند الإنسان تبعا للآليات الفسيولوجية التي تحدث داخل جسده؛ ولن تم
تسرع الوظائف الحيوية في جسد شخص ما من خلال استهلاك المخيخات
مثلًا، أو بسبب زيادة درجة حرارة الجسم هذا يؤدي إلى إحساس أطول
بالزمن، وعلى النقيض يؤدي نقص درجة حرارة الجسم إلى تقليل المدة
الزمنية؛ ويوجه عام تؤدي الزيادة أو النقصان في الوظائف الحيوية إلى المبالغة
أو التقليل في تقدير المدة الزمنية.(2)

إن إدراك المدة الزمن وتحديد المدة الزمنية يعتمد على حركة الأشياء،
وبعد أن يفقد الخشب لا يوجد للزمن، لذلك يرتبط هذا البعد ارتباطًا ثقافيًا بجميع
الأبعاد الأخرى، لأن قياس أطوال المدود الزمنية يتم حسابها مثل حساب
الأطوال المكانية أو التجييدية. وتحديد نقطة الارتكاز التي يبدأ أو ينتهي منها
القياس الزمني؛ تعتمد على حركة الأجرام السماوية أو الأحداث
الاجتماعية. وأحيانًا يتم قياس المدة الزمنية بحركة شخصية مثل طرفة
العين، أو مقدار نهوضه قائما من جلسته، أو تجاوزه مكانه. ويذكك يتحسس
الإنسان المدة الزمنية وكأنه يقيسها بقياس يمسك بهده عند نقطة ارتكاز ما

(1) وليسن: كولن، فكرة الزمن عبر التاريخ، ت. فؤاد كامل، (عالم المعرفة، الكويت،
1992م)، ص83
Evans; Vyvyan-2011, Temporal frames of reference,
/http://www.vyyvevans.net

246
ويحسب طول هذه المدة الزمنية. ولكن لا بد من وجود حدث يمثل نقطة الارتكاز وبداية القياس وحدث آخر يكون نقطة الانتهاء. وسأري كيف يقياس العربي الزمن بما يراه ظاهراً في السماء في الليل والنهار، ثم يقسم الزمن بالمقارنة بين زمن آخر، سيكون الزمن أطول وأقصر من بعضه، ويتم تقسيم الزمن تبعاً لمواسم الزراعة أو الحصاد وما يشعر به الإنسان من حالة الطقس، وتسمية كل قسم بالحدث الذي يكون فيه، ويعبرن بالحركة الجسدية المتواجية والسريعة عن الزمن، حيث تكون الحركة مقياساً للزمن، وأخيراً يتمثل الزمن في صورة أرقام تقيس بها أصغر جزء من أجزاء الزمن مرتبطاً بالمكان.

قياس الزمن بالظواهر السماوية:

أدرك الإنسان العربي الزمن بتعاقب الليل والنهار. وشروق الشمس صباح كل يوم علامة واضحة ومرئية على بداية حساب يوم جديد يبدأ برمج واحد عند بداية كل شهر، والذي تكون بداية مع ميلاد الهلال مطلع كل شهر. وقد كان تحديد رقم اليوم خلال الشهر قبل ظهور التدوين ومعرفة الشهر وتسلسل أيامها سهلاً؛ لارتباطه بمنازل القمر الذي يمكن إدراكه بالعين المجردة. هذا فضلاً عن إدراكهم اليومي لتعاقب الليل والنهار ومعرفة تحديد مبتدأ اليوم من متناه.

ويسبق إدراك اليوم إدراك الشهر والسنة ومقياس الزمن التي ظهرت لاحقاً كالأسبوع ثم الساعات والدقائق والثواني؛ لارتباط اليوم بطول الشمس كل صباح، وهي ظاهرة طبيعية كونية شديدة الوضوح سهلة
القياس والحساب. روى أبو حنيفة الدينوري في "كتاب الألوان" أن النهار مأخوذ من طلوع الشمس إلى غروبها، والليل من غروب الشمس إلى طلوعها، ولا يعد شيء قبل طلوعها من النهار ولا شيء قبل غروبها من الليل. وقال الزجاج في "كتاب الألوان" أيضًا: "أول النهار ذروت الشمس. ومن أهل اللغة من جعل وقت النهار من الإسفار إذا اتبع الضوء وانبسط وهو موافق لم قال بالذروة. واعتبر في ذلك التسمية النفيذة وقال: النهار مأخوذ من اتباع الضوء واتجاه نوره".

ومذهب العرب من الزمان الأول أن تكون السنة قمرية لا شمسية، وأول أسماء الشهور: المحرم، وإنما سمي المحرم لتجربتها الحرب والغارات فيه. وصفر بالأسواق التي كانت باليمن تسمى الصفرية، وكانوا يمتازون منها، ومن تختلف عنها هلك جوعاً.

قال نابغة ذياب:

إني نهيت بني ذياب عن أفق، وعين ترفيهم في كل أصفار وقيل: إما سمي السفر لأن المدن كانت تخلو فيه من أهلها يخروجهم إلى الحرب، وهو مأخوذ من قولهم: "صفرت الدار منهم"، إذا خلت. وربما لارتباط الناس والدواب فيهما. فإن قيل: قد توجد الدواب ترتبط في غير هذا الوقت،قيل: قد يكون هذا الاسم لزمهما في ذلك الوقت فاستمر تعريفهما بذلك مع انتقال الزمان وإخلاصه. وجمادي وجمادي؛ لجعود الماء فيهما في الزمان الذي سميت به هذه الشهرة؛ لأنهم لم يعلموا أن الحر

(1) التيفاشي، ص 82

248
والبرد يدوران فتنتقل أوقات ذلك. ورجب ؛ خنوفهم إياه، يقال: رَجَبُ
الشيء إذا خفته. وشبعان ؛ لتشعبهم إلى مياههم وطلب الغارات.
ورمضان ؛ لشدة حر الرمضاء في ذلك الوقت. وشوال ؛ لأن الإبل كانت
تشعل في ذلك الوقت يأذنا بها من شهوة الضرباب، تشتاءت به العرب؛
ولذلك كرهت التزويج فيه. وذو القعدة ؛ لقعودهم فيه عن الحرب
والغارات. وذو الحجة ؛ لأن الحج فيه "(1)
والسبب في تنافر أسماء الشهور العربية عن أحوالها، وعدم مناسبة
الاسم لحالة الطقس التي تحدث فيه أحيانا لأن السنة الشمسية لما كانت زائدة
على السنة القرمية جمعوا تلك الزيادة، فإذا بلغ مقدارها إلى شهر جعلوا
ذلك السنة ثلاثة عشر شهراً، فأنكر الله تعالى ذلك عليهم وقال: إن حكم
الله أن تكون السنة اثني عشر شهراً لا أقل ولا أزيد. وتحكمهم على بعض
السنين، أنه صار ثلاثة عشر شهراً حكم واقع على خلاف حكم الله تعالى.
ويوجب تغيير تكاليف الله تعالى، وكل ذلك على خلاف الدين. وحساب
السنة عند سائر الطوارئ من غير العرب ؛ المدة التي تدور الشمس فيها دورة
تامة، والسنة القرمية أقل من السنة الشمسية بمقدار معلوم، وبسبب ذلك
النقصان تنتقل الشهور القرمية من فصل إلى فصل، فيكون الحج واقعاً في
الشتاء مرة، وفي الصيف أخرى. وكان يشق الأمر عليهم بهذا السبب،
وأيضاً إذا حضروا الحج حضروا للتجارة. فما كان ذلك الوقت غير موافق

(1) المسموحي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب، نج. مفيد فحصة، (دار
الكتب العلمية، بيروت، 1986 م)، ج 2، ص 204

٢٤٩
لحضور التجارب من الأطراف؛ فلهذا السبب أقدموا على عمل الكيمة؛ وعند ذلك بقي زمن الحج مختصاً بوتقة واحد معين موافق لصلحتهم واتفقوا بتجاربهم ومصالحهم، فهذا النسيء وإن كان سبيلاً لحصول المصالح الدينية.

تمتد المدة الزمنية أو تنكمش حسب شعور الإنسان وإحساسه النفسي، حيث يختلف تحديد أطوال المدة الزمنية من شخص لآخر، ويكون الحاسم في هذا الأمر قياس المدة بأئمة مثبوطة، لا تخضع للمشاعر البشرية، أو تحديد طول المدة الزمنية بحدث معلوم.

وقياس الزمن وتحديد بدايته ونهايته وتحديد المدة الزمنية منه من الشهور أو السنوات والتقويم وتسميتها مرتب كما نرى بالمعتقدات الدينية عند العرب أو بما يدلونه من تحولات مناخية منتظمة أو حركة. ومع أن اليوم والشهر والسنة تقسيمات زمنية طبيعية، إلا أن الأسبوع والساعة فترات تعسفية لا تضافها في الطبيعة، وإنما حددها الإنسان والناس على اختلافهم مختلفمهم حددوا فيما مبائنة لأطولهما. وبالنسبة لمعظم الشعوب البدائية لم يكن هناك ما يدعو إلى وجود هذا الشيء المسمى بالأسبوع، ولكن مع تزايد نمو الحضارة نشا سبب؛ أحدثهما: الحاجة إلى تخصص يوم منتظماً من أجل العبادة الدينية. والسبب الآخر تجاري؛ إذ كان لا بد من يوم محدد متكرر للسوق. وهكذا استخدمت الأساليب بكل أطوالها المبائنة في

1(انظر: الرفذي، فخر الدين، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ط 1)

ج 60 ص 40-41

٢٥٠
مكان ما ووزن ما وتراوحت ما بين أربعة أيام (في غرب أفريقيا) إلى عشرة أيام (عند قبائل الإنكاس) إلتقاسم الأسبوع منذ أقدم العصور، وكذلك الرومان منذ ظهور تقويم جوليان، الأسبوع ذا الأيام السبعة (ربما أثروا هذا الرقم لما له من دلالات دينية)

"والأسبوع تمام سبعة أيام يسمى ذلك كله أسبوعا واحدا وجمعه أسابيع"(1) وأسماء أيام الأسبوع عند العرب: "أولها الأحد، وأسماه سمي بذلك لأنه أول يوم خلقه الله من الزمان، وبذلك نطقت التوراة، والاثنين، وسمي لأنه ثانٍ، والثلاثاء، وسمي لأنه ثالث، والأربعاء لأنه رابع، والخميس لأنه خامس، والجمعة لأنه الخلق اجتمعوا فيه، والسaturday لأن الخلق انقطع فيه وخلق في آخره آدم: وهو مأخوذ من قولهم: نعل سبيت، إذا كانت مقطوعة الشعر، ويقال: سبتي شعره، إذا قطعه، وكانت العرب تسميها في الجاهلية: الأحد أول، والاثنين أهون، والثالثة جبار، والأربعاء دبار، والخميس مؤنس، والجمعة عروبة، والسaturday قال شاعرهم:

أومل أن أعيش وأن يومي بأل أو يهود أو جبار أو المردي دبار، فإن أفقه فمؤنس أو عروبة أو شبار والحاجة لتقييم اليوم إلى ساعات كان لأسباب دينية أيضا; حيث كانت الحاجة لتحديد مواقيت العبادات بدقة. وقد كانت توضع المزاول

(1) ولون، ص 92
(2) الخليل، ج 1، ص 345
(3) السعودي، ص 206

٢٥١
الشمسية لقياس الوقت في بعض المساجد والجوامع. "وقد أدخل العرب مزيدًا من التطور على المزاول الشمسي ففية بداية القرن الثالث عشر كتب ابن البيثم رسالة عن بناء خطوط الساعات على سطوح من أشكال مختلفة." (1)

ويحرص المسلمون على قياس الوقت بدقة عند تحديد مواعيد الصلاة، إذ يشترط للصلاة أن تكون في مواعيد محددة، تقاس بدقة تبعاً لحالات ضوء الشمس، (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتباً موقوتًا) (1). ينقل الشيخان سؤاله عن مواعيد الصلاة، و الصائم لأبي حنيفة وأبي يوسف الأنصاري؛ يقول: "قلت آرأت وقت الفجر متي هو؟ قال: من حين يطلع الفجر إلى طلوع الشمس، قلت آرأت الفجر الذي يطلع فلا يعترض في الأفق أنتعده من الوقت؟ قال: لا ليس ذلك وقت. قلت: فهل يحرم الطعام على الصائم إذا طلع ذلك الفجر الذي يسطع في السماء؟ قال: لا ولكن الفجر الذي يحرم به الطعام على الصائم، وحله به الصلاة هو الفجر الذي يعترض في الأفق؟ قلت آرأت وقت الظهر متي هو؟ قال: من حين تزول الشمس إلى أن يكون الظل قامة. في قول أبي يوسف محمد، وقال أبو حنيفة: لا يدخل وقت الظهر حتى يصير الظل قامتين، فإذا صار الظل قامتين دخل وقت العصر. "(4)

(1) ولسرن، ص 92
(2) النساء، آية: 100
(3) يقصد بذلك الفجر الكاذب الذي سبق تفصيل الحديث عنه في الفصل الثاني (البعد التحسيدي) من هذا البحث.
(4) الشيخان: محمد بن الحسن بن فرقد، الأصل المعروف بـ"المسوطة". أبو الوفا الأفغاني، (عالم الكتب، بروت، 1990م)، ج 1، ص 144.

262
ونلاحظ أن تحديد الوقت بدقة في النهار يعتمد على قياس طول (الظل) وتدوينه. وبقدر طول الظل يعرف الوقت، وتلك هي التقنية التي تعتمد عليها المزاول الشمسية، أو يتم القياس الدقيق بتغيير لون السماء نتيجة تغيير لون أشعة الشمس. ويكون القياس من حدث غياب الشمس بضوءها الساطع إلى غياب الشمس الأحمر المتبقي من ضوء الشمس. يقول الشياحي سائلاً عن تحديد الوقت الذي تحلّ فيه صلاة المغرب يقول: "أرأيت الغروب متي هو؟ قال: من حين تغرب إلى أن يغيب الشفق. قلت: وتكره أن يؤخرها إذا غاب الشفق؟ قال: نعم(1) "والشفق بقية ضوء الشمس وحمزتها من أول إلى قريب من العتمة، ويقال: فعلته عند غيوبة الشفق، وهما شفقان من أول الليل كما أن الفجر فجراً من آخر الليل. والهة الساعة يبقى من السحر ويقال: ثروا بهبة من الليل. قال أبو نصر حكايته عن الأصمعي: الفجر أول ضوء تراه من الشمس في آخر الليل كما أن الشفق آخر ضوء منها في أول الليل. ويقال: فجر الصبح يفجر أو فعلت هذا حين انفجر الصبح وانفلق. وسطط سطوعاً والساطع أسيء من الطالع.(2)

وكم يظهر في طريقة تحديد مواقع العبادات عند المسلمين لابد من تحديد حدث متكرر يومي ثابت له صورة مروية تظهر في السماء وتدركها العين المجردة لتحديد مواقع العبادات بدقة. ومع أن الإنسان كان قد عرف الساعات المائية والمزاول الشمسية قبل ذلك الوقت إلا أنها لم تكن تستخدم

(1) الشياحي، ص 145
(2) ج.3

253
على المستوى الفردي لندرة صنعها أوكير حجمها؛ لذلك كان الاعتماد في قياس الزمن على وصف ما تدركه العين المجردة من ضوء الشمس، وذلك كان في قدرة أي شخص. لكن ذلك يتطلب على قياس الزمن في النهار أما في الليل فإن من الصعوبة إمكان وصف أو تحديد الوقت المقصود، لذلك نجد تحديد متوسط الليل في كلامهم غير دقيق؛ لأنهم كانوا يجدون متوسط الليل بتقديرهم الذاتي. ونجد الفقهاء المسلمين حتى اليوم مختلفين في تحديد الوقت الذي يتنفسان عليه الليل بالضبط، مع وجود أحدث الآلات التي تقيس بها الزمن اليوم؛ وذلك لاختلافهم في تحديد مبدأ الليل ومتنهيه.

ولابد من مراعاة المكان عند قياس الزمن؛ لأن حساب الزمن مختلف في الطول والقشر من مكان لآخر. ويعبر العرب عن ذلك باختلاف الليل والنهار؛ يقول الألوسي: "وقد يراد اختلافهما بحسب الأمكانة أما في الطول والقشر فإن البلاد القريبة من القطب الشمالي أيامها الصيفية أطول ولتاليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه" (1)

وقد استخدم الألوسي هنا في قياس زمن الليل أو النهار (القياس بالمقارنة) بنفس نوع القياس، حيث يقارنون طول الليل بطول النهار، وطولهما يتساوي في الخريف والربيع. ويزيد طول النهار في الصيف ويقصر في الشتاء. "يجوز أن يراد باختلاف الليل والنهار تفاوتهما في أسفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده، وهو ناشئ عندهم من

(1)الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ط1)، ج11، ص72

754
اختلاف حال الشمس بالنسبة إليها قريبا وبعد، بسبب حركتها الثانية التي بها تختلف الأزمنة. وتقسم السنة إلى فصول، وقد يتساوي الليل والنهار في بعض الأزمنة. والمعيار الشعور بطول ليل الشتاء مقارنة بنهاره، ومعرفة أن ما ينقص من قياس زمن النهار إذا يزيد في الليل، وما ينقص قياس زمن الليل في الصيف إذا يزيد في ساعات زمن النهار، لأن مقياس اليوم ثابت على مدار العام. وللتمام في الشتاء أطول ما يكون الليل، ويكون لكل فصم ؛ أي يطول الليل حتى تطلع النجوم كلها في ليلة واحدة. قال قاتد: "إن الملاكمة تفرح بالشتاء للمؤمن يقصر النهار ؛ فيصومه. ويطول الليل ؛ فيقومه."}

وحكي عن مسرود المؤقت بالبلغار ؛ أنه حرر ليل بلاد أفتكون "فوجد أقصر ليلها ثلاث ساعات ونصف أقصر من ليل البلغار بساعة واحدة." والقياس بالمقارنة بنفس نوع المقياس من أنواع القياس في الفيزياء من بين ثلاثة أنواع. ويتسم القياس بالمقارنة أنه أسهل طريقة بدائية في القياس لا تحتاج إلى أدوات خاصة لمعايرة القياس.

قال أحمد بن يحيى في مسائل الأبصار: "ويبين وبين قوس ثمانية أيام بالسير المعتدل ولا عمارة عنه ولا حوله ولا قربا منه والما عنده على ______________________

(1) السابق
(2) المصري، الأزمنة والأمكاة، ص 225
(3) ابن حنبل، الزهد، ص 225
(4) الفقهشدي، ج 5، ص 396

255
مسيرة نصف يوم أو أكثر في موضوع يعرف ب(SKIP)، وقالوا: "إن ابن مسعود سار من المدينة إلى الكوفة ثم ليال حين كل عمر. (2)

سبق الحديث في الفصل الخاص بالبُعد المكاني للزمن عن التعبير عن الزمن كطريق أو مسافة. وهذا الطريق أو تلك المسافة على نقاط زمنية لأحداث محددة، أو مواقيت معيّنة. ويتم تحديد المسافات الزمنية من نقطة ما ابتداءً إلى نقطة أخرى انتهاءً لتحديد مسافات زمنية معيّنة. ولن تأملنا البُعد الإدراكي للزمن في صورة المكان على شكل طريق يصل بين مكانين؛ نجد أننا نقيس الزمن أيضاً عن طريق التصور المكاني؛ حيث يكون الزمن طريقاً نقطعه وندركه مكاني أيضاً. جزء من إدراك الزمن المحسوس في تعاقب الليل والنهار ورؤية النور ثم الظلام أحداث متسلسلة يتم بها قياس المكان المقطع؛ فيصير الزمن بذلك هو (المقياس) والمكان هو (المقاس). والطريق المقطع المصور لم يكن طريق المكان فقط؛ بل طريق المكان والزمن معاً.

ويقيس العرب اليوم بمرور بالليل. كل ليلة هي يوم؛ يقولون: "أتمنى فيها ليلة وليلتين، أي يوماً ويومين." (3)، وتقول: "سرنا إليها ثلاث ليال منحابات؛ أي دوابات، وقد نحن بسراً؛ أي أتينا. وتقول: جاءنا راكب مذيب؛ وهو العجل المنفرد، وظلم مذيب أي طويل يشتر إلى الماء من بعد فيعجل بالسير. ويقال: بيننا وبين الماء ليلة قاصدة ولا تعب ولا بطء." (4)

(1) السابق، ج.2، ص 115
(2) ج.ك.
(3) الجاحظ، البخلاء، ج.1، ص 146
(4) ج.ك.

٢٥٦
ونلاحظ أن قياس المسافة بين المكانين بالليالي يراعى فيه تحديد السرعة في السير ونوعه؛ هل هو سير متواصل أو متقطع؟. والليلة هي المدة الزمنية التي تغيب فيها الشمس ويتخفى ضوءها حتى تشرق الشمس مرة أخرى، ويتم عد الأيام بالليلالي ؛ عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة ليال".

قياس الزمن بحالة الطقس:

مفهوم السنة أو العام تكون من تكرار الفصول الأربعة كل عام، وفصل الربيع تحديدًا هو المطلق الذي يبدأ من عنده قياس السنة. والعام أو الحال " يأتي على شتاء وصيفه بإجماع وأعوام" (1)، وبذلك يكون تعريف السنة أو العام: مجموع أربع فصول (زمنية) تقاس بحسب حالة الطقس فيها هي الخريف والشتاء والربيع والصيف، وقال الأزهر: "السنة عند العرب اسم لاثني عشر شهرا، ثم قسموا السنة فجعلوها شطرين: ستة أشهر، وستة أشهر، فبدأ بأول السنة، أول الشتاء، لأنه ذكر والصيف أثنتي عشر، ثم جعلوا الشتاء نصفين؛ فالشتوي أوله، والربيع آخره، فصار للشتوي ثلاثة أشهر، والربيع ثلاثة أشهر، وجعلوا الصيف ثلاثة أشهر، والقيث ثلاثة أشهر فذلك اثنا عشر شهرا".

(1) ج.ك
(2) 431، ص 12، ب. م. ابن منظور
(3) الأزهر،ISTRY البغدادي، اللغة، ص 272، ص 272

257
وقد حددت العرب أسماء الفصول التي تتكرر فيها حالة الطقس، ففرقوا بين أزمنة المطر، والجفاف، والبرد، والحر، وأطلقوا على كل زمن مختص بحالة معلومة من الطقس اسماً، وإن اختلقوا في أسماء هذه الأزمنة الأربعة: "وزعمت طائفة منها أن أولها الوَسَمُ، وهو الخريف، ثم الشتاء، ثم الصيف، ثم القَيْظ، ومنهم من يعدُّ الأول من فصول السنة الربع، وهو الأشهر والأعم، والعرب تقول: خَرَفْناً في بلد كذا، وشَوْقاً في بلد كذاٌ، وترعبنا في بلد كذا، وصَفَنا في بلد كذا".

و"الخريف": أحد فصول السنة، وهي ثلاثة أشهر من آخر القيظ وأول الشتاء، وسمي خريفاً لأنه تخزف فيه الثمار أي تجثت. و"الخريف": أول ما يبدأ من المطر في إقبال الشتاء. وقال أبو حنيفة: ليس الخريف في الأصل باسم الفصل، وإنما هو اسم مطر القيظ، ثم سمي الزمن به٣٠، ولأن الخريف هو وقت اجتناب الثمر كل عام، ويتال خرف النخيل، وسمي ثمر النخيل (خَرَاف)، وحين تكرر حدث الخراف جنا الأشجار بشكل دوري صاروا يسمون هذا الزمن باسم الحدث الذي يكون فيه، وصار مقياساً لهذه المدة الزمنية.

والعرب تسمي القحط شتاء. يقال: أشتهى القوم فهم مشتون، إذا أصابتهم مجاعة".

---

(١) السعداوي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٢٠٠٠.
(٢) خ. ر. ف. ابن منظور، ج ٢، ص ١٦٥٣-١٦٥٣.
(٣) الأزهري، قدامب اللغة، ج ١، ص ٣٧٢.
قال الحطينة:
إذا وصل الشتاء بدار قوم
تتبع جغر بيتهم الشتاء
أراد بالشتاء المجاعة.(1)

وفي حديث أم معيد: "وكان القوم مشتين"، قال ابن قتيبة "المشتون"
الذين دخلوا في الشتاء، وقال الأزهري: "يقال: أشتى القوم فهم مشتون;
إذا أصابتهم مجاعة".(2)

ويقول الليث بن المظفر أنهم سمو الجوع بالشتاء: "لأن المجاعات أكثر ما
تصيبهم في الشتاء، إذا قل مطره واشتد برده".(3) ولكن أظن أنهم أدركوا
أولا الشعور بالجوع المتكرر مع البرد فسموه (الشتاء)؛ فالأول أصابهم
المجاعات في هذا الزمان و كانوا يسمون هذه المجاعات (الشتاء)، ثم تكررت
في ذات الوقت كل حول، فصاروا يسمون الزمن الذي يحدث فيه الجوع كل
سنة: الشتاء، ثم حددوا قياس الزمن الخاص به ومكانه. لأن الإنسان يدرك
أولا الشيء المحسوس والبرد والجوع متلازمان، ومنطقيا يكون الاسم أولا لما
هو محسوس (الجوع)، ثم ينتقل ثانياً لما هو مجرد غير محسوس (الزمن).

ثم الفصل الأهم في السنة وهو الربع، والربع: جزء من فصول السنة
الأربعة شتاء وربيع وصيف وخريف. وللربع مواضع، وربما سمي الغيث
ربيع، وربما سمي الكلا ربعا، وربما سمي الوقت ربيعًا. وربما سمي الخزان

(1) السابق.
(2) ابن الجوزي، غريب الحديث، ج 1، ص 518
(3) الأزهري، ج 11، ص 272

259
من الماء للأرض أربع يوم أو أربع ليلة: ربيعاً (1) وسمي الربيع بهذا الاسم لأنه فصل من أربعة فصول وذلك من الرقم (أربعة)، وواحد من أربعة يسمى (ريبع)؛ وأيضاً "الريع: جزء من أربعة" (2)
ويقدر الخليل مقياس زمن الصيف بالنسبة للسنة بالريع فيقول: "الصيف ربع من أرباع السنة، وعند العامة نصف السنة" (3) ويقول الرازي: "الصيف واحد فصول السنة، وهو بعد الريع الأول وقبل القيط، يُقال: صيف صافي وهو توكيد له، ويوم صائب أي حار" (4) وقد يكون الصيف مقبول (الصافي) حيث تكون السماء صافية في فصل الصيف والشمس ساطعة لاختفيها السحب؛ وبذلك سُمي الصيف بهذا الاسم.

القياس الذاتي للزمن:
إن شعورنا بالزمن هو الذي يميزنا عن البشر عن بقية المخلوقات؛ ولكن الإحساس بالزمن يتفاوت بين شخص وآخر في تحديد قياس المدة الزمنية بدون ظاهرة مادية محسسة نشترك في الإحساس بها جميعا. و الماشور الإيجابية تجعل قياس المدة الزمنية لدى الإنسان أقصر، وإن لحظة تتألم فيها من إصابة حادة ما عُرّ فيها شديد في حين تمر لحظات الزمن السعيد سريعة جدا، وكأنها أشبه بتصوير فيديو متحرك بسرعة في

---
(1) اقتبس: ابن دريد، جهزة اللغة، ج1، ص316
(2) مسعود: ابن منظور، ج8، ص100
(3) الخليل، ج7، ص164
(4) الرازي، ص157
الوقت السعيدة وتمرحل المشاهد فيه ببطء شديد لحظات الألم.
والزمن ليس موجوداً من دون إحساسنا به، وتعبيرنا عنه بالأدوات
اللغوية وغير اللغوية هو الذي يجعلنا نشعر بوجوده باستمرار. ونحن نقيس
الزمن عبر تعبيرات لغوية مستخدمة من تصورنا الحسي له. وفي كلام العرب
كثيراً ما يصفون به طول الزمن في الليل الذي ينته بالألم وينكتم بالسعادة.
ومن الإحساس الذاتي بطول مدة الليل حيث تتمد مع الشوق
والألم؛ يقول ابن ديريد:
ربّ ليلٍ أطلالهِ ألمُ الشُّوق وفَقُدُ الرَّقاوةِ وَهوَ قَصِيرٌ
رَأَعَ الْيِلْدُ، ْتَبَارَحَ شَوْقِهِ وَخَيْالٌ جُنُحَ الْظَّلَامِ يَزْفُرُ
وَابن ديريد هنا يعلم جداً أن طول الليل إذا هو إحساسه الخاص الذي
شعر به حينما أضاء ألم الشوق؛ مع أن قياس مدة الليل أصلاً قصيرة
ولكنها تتمد بالحزان والهموم، بعض النظير عن مرتكز بداية قياس الليل إلى
منتهائه وهو يبدأ من غروب الشمس حتى شروقها؟ إذ إن مرور الزمن في
المدة ما بين غروب الشمس وحتى شروقها يتفتقر للعلامات التي يلاحظها
الإنسان العادي بعينه المجردة حتى طول الفجر الكاذب، ويعتمد قياس المدة
الزمنية خلال الليل من إحساس الإنسان نفسه برؤورة الوقت، وهو يكون في
حالات؛ فيما يعني من الأرق والفقد والألم فيشعر أن مرور الزمن طويل
 جدا وهو يتربق ويتوجه طلوع الصباح، أو مستيقظ ينعم بسكون الليل
وهدأته فلا يشعر برؤورة الوقت إذ ينقضي الزمن السعيد سريعاً، ولا يكاد
يشعر الإنسان برؤورة لأنه مشغول بما يسعده عن حساب انقضاء الزمن
وترقب طلوع زمن آخر. يقول الخفاجي الخليلي:
إن كان ليلي طويلة بعد بينكم،
يقول الحارد بن خالد:
تعالوا أعينوني على الليل إنها
يقول ابن المعز:
فما بالذا الليل لا ينقضي
أبيت أساه بدر الدجى
ويقول ابن الرومي:
رب ليلًا تراه كالدهر طويلاً
ذهب تغور لا بل تزيدُ
وحينما يكون الإنسان نائمًا لا يشعر بمروى الليل إلا عند استيقاظه على
ضوء الصباح فيشعر أن الليل مسيرة، لأن النائم في حالة من (اللاوعي)
لا يجلو يدرك مروى الزمن، مع أن الإنسان في حالات الوعي قادر على
التمييز بدقة بين فترات زمنية مختلفة القياسات، وتقييم المدة الزمنية من خلال
جهازه الإدراكي (الجهاز العصبي) وذلك يدل على أن تميز قياس الوقت عند
الإنسان داخلي(1). لكن هذه القدرة على تقدر الزمن تكون في حالات
الوعي. وقد أجريت دراسات على أشخاص ناموا في أماكن مغلقة ومنعزلة
عن تمام ضوء الشمس؛ فكانوا يميلون إلى تقدر المدة التي قضوها في النوم
بأقصر كثيراً من طولها الفعلي؛ لأن تقديرات الفترات الطويلة من الزمن

Evans; Vyvyan, Temporal Frames of Reference, 2010, (1)
, p.5. http://www.vyvevans.net/

٢٦٢
عتمد على مؤشرات مستمرة من البيئة. والأفراد الذين يعيشون في عزلة عن هذه المؤشرات - في الكهوف مثلاً، أو في أية تجارب أخرى غير مألوفة - يصرّوحون في معظم الأحيان بأنهم أخذوا "غفوة قصيرة" بينما يكونون قد ناموا - في واقع الأمر- طبيعية ساعات كاملة. وعند خروجهم من عزلتهم قد يقل تقديرهم لطول بقائهم إلى النصف تقريباً.

وهنا يحضرني مشهد متخيل حيث يعيش أسرة في منزل صغير ليس به سوى نوافذ يتسلل منها ضوء النهار والصباح لدى هذا الطفل أو بداية حساب يوم جديد يعني أن يستيقظ من النوم ويتناول وجبة الفطور المتعددة، ويشاهد برنامج الصباحي الفضلي على قناة الأطفال. لو سأل هذا الطفل عن يوم العيد مثلاً والذي سيحل بعد ثلاثة أيام؛ فإن جواب الأم: إنه بقي ثلاث ليال، أو ثلاثة أيام؛ إجابة غير مفهومة لهذا الطفل وغير قابلة للإدراك، لأنه لم يباشر تجربة رؤية تعاقد شروق الشمس وغروبها؛ إذ إن مصدر الضوء في المنزل إشعال المصابيح الكهربائية، ومصدر الظلام إطفاؤها. أقرب تصوير سيفهم به هذا الطفل قياس ثلاث ليال متبقية ؛ أن تقول له: "بقي على العيد أن تنام ثم تصحو وتتناول إفطارك، ثم تنام مجدداً لتصحو، وهكذا ثلاث مرات؛ وفي الرابعة تنام وتصحو في يوم العيد.

وفي تعبير بعض الشعراء ما يدل على أن الزمن ليس بذاته طويل؛ وإذا تطاول بسبب شيء معين وهو مستمر في التمدد. ومن ذلك ما أنشد الباحثي أبا سعيد محمد بن يوسف الترمي قصيدته التي أُولِها:

(1) ولسنون: كولن، فكرة الزمن عبر التاريخ، ص 147

263
لُكَ الْوَيْلِ مِنْ لِيْلٍ ْتَطَوّلَهُ آخَرَةً
وَشَكُّ نَوْىَ حَيِّ دُزُّ أَبَا عِرْشٍ (١)
وقال أرائبي:
تطاول في الفضاء ليلي ولم يكن
بأرض الفضاء ليل علي يطول (٢)
ويشعر بشار بن برد (٣) بالليل يطول فلا ينقضي يقول:
خليلي ما بمال الدجى ليس يبرح وما بعمود الصبح لا يتوضبح
ثم يشعر أن قياس زمن الليل به خلل ما وكأن الليلة ليلتين، وهو يسأل
صاحبه ليتأكد من صدق إحساسه بالزمن:
لطال علي الليل حتى كأني بليلين موصولين لا يتروجح
ثم يؤكد ظنه بأن الهم الذي يعانيه هو ما جعل قياس الليل يبدو
طويلًا: يقول:
أظن الدجي طالت وما طالت الدجي
ولكن أطال الليل هم مبرح
ولذلك فإن العيرة ليس بمروز الزمن بما نراه من ظواهر كونية تبدو
للمعان، ولكن العيرة بالحالة النفسية في الشعور بالزمن هل يمر محملًا
بالسعادة والبهجة؛ فيكون قصيرا ومروره سريعا رشيقا خفيفا على النفس،
أو يكون مثقالا بالشقاء والهم؛ فيكون مرهقا شديدا الطول يتمدد باستمرار
وكأن طوله لا ينضقي. يقول أبو هلال العسكري:
وما طول عمرى أن يطول به المدى ولكنه طول المسرة والخفض

(١) ح.ك.
(٢) ح.ك.
(٣) التيفاشي، ص ٢٨
يقول المتبتى:
ومأ ليل بأطول من نهار يظل بلحظ حسادى مّشويًا
يقول: ليلي وإن طال فليس بأطول من نهار أنظر فيه إلى حسادي
واعدانيٌ(١)
وكما يُطلِيل الهم والحزن الليل ويجعل زمانه ينتظ طولاً; فإن السرور
والبهجة تجهل ينكَمَش; "وَيَكُون ذلُك اليوم أقصر عليهم من ساعة من
نهار"(٢). "وبر الزمان فيه سريعا كلمح البصر دون أن يشعر الإنسان به; يقول
ابن طباطا:
وليلة مثلى أمير الساعة اقتربت
حتى نقضت ولم نشعر بها قصراً
كانت ولم تعتقل وهماً ولا نظراً(٣)
ويقول أمية ابن أبي الصلت:
يا ليلة لم تبق من القصر
كانها قبلة على حائر(٤)
ويشعر المسنون دائماً أن الزمن يتسارع كلما تقدموا في العمر، وذلك
ليس إحساساً مثوهما فقط; فقد ثبت أن الساعة الداخلية للإنسان تتباًأ، إذا
تقدم به العمر، وجميع العمليات الحيوية التي تحدث داخل جسده تأخذ في
tلباط وتدرّبها، وبذلك يشعر أن الزمن يمر سريعاً وكأنه يحاول اللحاق به

(١) ج.ك
(٢) ج.ك
(٣) التيفاشي: ص٣٥
(٤) السابق

٢٦٥
 فلا يستطيع. وقد أجرى الفيزيائي Kaku اختبارًا على مجموعة من المسنين وجموعة من الشباب طلب منهم أن يقيموا مقدار دقيقة زمنية؛ وذلك بأن يقوموا بعد ستين ثانية ليتم حساب دقيقة كاملة؛ والنتيجة كانت أن المسنين أضافوا للدقيقة من ثلاث ثواني إلى تسعة عشر ثانية، في حين أنهى الشباب حساب الدقيقة قبل انتهائها وحساب الثواني صار أقل بست ثواني أو عشر ثواني أو اثنا عشر ثانية. لذلك نجد الشعراء لا يتعون بالشباب الذي يشعرون أنه مرت سريعا وانقضى إلا حين يبلغون الشيخوخة ولكن في وقت الشباب ذاته لا يشعرون أنه مرت سريعا. وما الزمن لديهم سوى ما يتم اختزانه في الذ очередь من أحداث ماضية، وتوقعات لأحداث مستقبلية. يقول الباحثي:

أو أضالت حليم فالتفت إلى الصبي فقله أيام الشباب وحسن مانا
فعلن لنا لو لم يكن قلائلاً
و قال عمرو بن أبي ربيعة:
إذا غفلت عنه الخواضب أنصا
ولاح قتيت في مفارقت رأسه...
وكان الشباب الفض كالغيم خلت
سماوته إذ هبت الريح فاغلإ
وقال أعربات:
لا يسعurar جديده فيعمر

Kaku; Michio, TIME.lifetime,Monday-video July 2007, BBC. (1)
http://www.bbc.co.uk/bbcfour/documentaries/features/time.shtml

(2) ج.م
(3) ج.م

٢٦٦
ما كان أقصر ليله ونهاره وكذاك أيام السرور قصائر
والزمن يغدو قصيرا جدا حين يتذكر الخليي أيام الشباب حتى يبدو العام
وكأنه ساعة واحدة فقط يقول جعفر الخليي: 
فرصة للشاب فإنَّهُ زمان أمواهُ ساعات
وقد يُقدّر طول الزمن بمقدار طول شيء مادي محسوس وربما بلغ يومنا من القصر حتى غدا بمقدار شبر الذر: والSHOT ما بين أعلى الإبهام إلى أعلى الحنجرة. العرب عادة تستخدم إداها لمعرفة قياس الأشياء وتحديد الثواب إذا تم الكف أقصى ما تستطيع وحسب ما بين طرف الحنجرة والإبهام قياسا يسمى (شير): قال الكاوداسي:
نهار كشير الذر أو هو دونه وليل كإبهام القطاة قصير
و هنا قد تناهي نهار الكاوداسي في القصر حتى بلغ مقدار شبر الذر والذر جمع ذرة وهي أصغر النمل. وقد بلغ ليله من القصر كطول إبهام قطاة.

ووصف العرب قصر الزمن بقصر إبهام طيور القطا أو عرقوتها شائع في كلامهم، وفي المثل العربي: "مرنا يوم أقصر من عرقوب القطا"; يريد ساقها، ويقال: "أقصر من إبهام القطاة". يقول جرير:

---

(1) ج.ك.
(2) الأصفهاني، محاورات الأدباء، ج، ص 0، ص 106.
(3) الخليل، العين، ج، ص 297.
قياس الزمن بأحداث مشهورة:
تُحدد النقطة التي يبدأ من عندها قياس الزمن المراد تعيين(حدث مهم)
خاص أو عام، ثم يُجعل هذا الحدث معياراً لقياس مدة الزمن. ويشيع
ذلك في كلام العرب عند تحديد مواليد ووفيات الأشخاص؛ وحتى اليوم
عند المسنين في (محافظات نجد) في الكلام الشفهي. وعادة يُحدد عمر
الشخص مقارنة بشخص آخر من العائلة، وقياس عمره يعتمد على قياس
عمر شخص آخر؛ مثلما تقول أم مسنة أمية: "أبني محمد أكبر من خالد ابن
أختي بسنة واحدة؟ لأنني حين ولدته كان خالد آنذاك قد بدأ يجيد المشي،
وينطق بعض الكلمات"، ومن دون (خالد) لا يستطيع (محمد) أن يحدد
 موعد ميلاده ولا قياس عمره، وتحديد عدد سنوات عمر خالد من دون
شك يعتمد على عمر شخص آخر من العائلة، وهكذا. وهؤلاء المسنين لا
يعرفون هم كم عدد سنوات عمرهم; إلا مقارنة بعمر شخص يعرفونه في
سن مقارب لهم، ومقدار عمر أحدهم يعني أنه أكبر من فلان وأصغر من
فلان أو في عمر فلان. وإن كانت هذه الطريقة في تحديد العمر احتفظت في
أوساط المتعلمين بعد أن صار تدوين تاريخ الميلاد إجبارياً في نظام الدولة.
ومن هنا يتضح لنا أن تحديد أو قياس المدة الزمنية أو العمرية للإنسان
لم تكن محسوبة بدقة؛ مثلما يحدث في عصرنا الحالي من تحديد دقيق لمكان

(1) ج.ك.

268
وزمان البلاد والساعة والدقيقة، وتسجيل ذلك كتابا. ولم يكن تحديد الزمن سابقا إلا بالحدث الظاهر الذي يمكن أن يقيسوا الزمن من خلاله، لأن الزمن بدون آلات لقياسه ومن ثم تدوين أرقام هذه القياسات؛ لم يكن يعني لهم سوى سلسلة متابعة من الأحداث.

ونرى أيضا أن تحديد المرحلة العمرية التي يمر بها الإنسان تكون مقارنة بأقرانيه، حتى وإن كان حساب عدد سنوات العمر معروفًا؛ فإن الظواهر المحوسية التي يراها الإنسان على أقرانه أشد وضوحًا من رقم تجريدي. يقول أبو المسور الباهلي:

إذا ما الفتى بلغ الأربعين
وأجاوزه عهد حساسة
وقد ساء من أن يلمحه
ولكن سيعتري علي دابه
فلا ترج أن يرعوي بعدها
كفى بالشيب له واعظ
والبهي هنا يصف المرحلة العمرية التي يمر بها الفتى حينما يتجاوز الأربعين، حين يغزو شعره الشيب ويشيب أترابه، وهذه الظواهر المحوسية أكثر أثرًا من الرقم الذي يحسبه من مرور عمره.

وقياس العمر بهذه الطريقة شائع في كلام العرب؛ حيث يكون مقياس التحديد الزمني للولادة أو الوفاة حدث عام آخر، أو قياس لعمر شخص آخر. يذكر ابن قتيبة في المعارف قوله: "وأما العباس بن عبد المطلب فكان يكنى أبا الفضل، مات في خلافة عثمان بالمدينة، وقد كف بصره وهو ابن تسع وثمانين سنة، وكان ولد قبل الفيل بثلاث سنين فكان أدنى من النبي."

٢٧٩
ويقول الزبيري عن الزبير بن عبيد الله بن حميد: "كان من فضلاء قريش، كان يقال له: (الطاهر)، ولد قبل وفاة أبي بكر بسبع ليال، ومات في ذي الحجة سنة 107ه".

وفي هذه الشاهدين نرى مقياس الزمن إما أن يكون (حدث) أو (رقم). وهذا الرقم مستمد من حساب عدد السنوات في تقويم أو تحديد نقطة البداية فيه عند حدث عالمي مهم، ثم يبدأ الحساب بالأرقام بوها تلو يوم وشهربعد شهر وسنة بعد سنة، حتى يكون لكل سنة رقم لا يتكرر، وبذلك يكون حساب الزمن دقيقا ومتعددا، وإن كان لا بد أن يرتكز فيه القياس على حدث كبير شهير، ولكنه يجعل الحساب أدق عند المجموعة الواحدة التي تنتمي لساحة مكانية محددة، أو جماعة ثقافية يربطها تاريخ حضاري واحد.

وفي التقويم العربي البدائي يكون لبعض الأعوام اسم ارتبط بحادثة شهيرة يتم حساب الزمن منها. وتحديد الأحداث زمنيا بالنسبة لها؛ كعام الفيل مثلما فتكون الأحداث قبل (عام الفيل) أو في عام الفيل، أو حدثت بعد عام الفيل. ولم يكن عامة الناس يعرفون تحديد قياس الزمن بدقة أو بأرقام تحدد قرب أو ببعد الحدث عن هذا العام. عن طلحة بن عبد الله بن كريز قال حدثي مولى لهذين قال: "مرت بمولى أقوده وعثمان بن عفان جالس في أصحابه، فقالوا له: يا أمير المؤمنين هذا أكبر العرب. فقال:

(1) ج.ك
(2) ج.ك

٢٧٠
عثمان: إن أخبرني ابن كم كان يوم الفيل؟ أخبرته ابن كم هو "(1) "، و" كانت
بنو إسماعيل بن إبراهيم يؤذرون من بنيان الكعبة، فلم يزل كذلك حتى
مات كعب بن لؤي، فأرخوا من موطه فلم يزل كذلك حتى كان عام الفيل،
 فأرخوا من عام الفيل ثم أرخ المسلمون بعد ذلك من مهاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم \(2) \).

نلاحظ أن المرتكز الذي يبدأ منه حساب الزمن ووضع التقويم الزمني
هو حدث ديني يتم اختياره باتفاق اجتماعي، ويرتب عليه تنظيم أمور
الحياة المدنية والدينيّة. والعرب قد اختاروا هجرة رسول الله تحديدا بداية
لحاسب التقويم العربي الإسلامي الذي يستخدمه المسلمون حتى اليوم
لتنظيم مواقيت العبادات والمناسبات. "قال عامل لعمر بن الخطاب: أما
تؤذرون؟ فأرادوا أن يؤذرون، فقالوا: من مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم أو من وفاته، ثم أجمعوا أن يجعلوه من هجرته، فأرادوا أن
يبتدؤ بشهر رمضان، ثم رأوا أن يجعلوه في المحرم. حدثنا كثير بن هشام قال:
انتشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يكتبون التأريخ؟
فقال بعضهم نكتب من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
بعضهم: منذ أواحي إليه، وقال بعضهم: من هجرته التي هجر فيها دار
الشرك إلى دار الإيمان؛ فأجمع رأيهم أن يكتبوا من هجرته "(3) "

(1) ج.ك
(2) ج.ك
(3) ج.ك

271
قياس الزمن بحركة الجسد:
أقصر مقياس للزمن سرعة اغلاق الجفن على العين ثم عودته في
(طرفة) عين، أو سرعة حركة إنسان العين من جانبي العين (اللحظة) مؤخر
العين؛ و(اللحظة) النظرة من جانب الأذن. و"لحظة" نظره مؤخر عينه
من أي جانبه كان، بينا أو شمالا، وهو أشد الطفاتها من الشزر. قال:
لحظتاهم حتى كان جبينا بها قوة من شدة اللحظات (1) ويستخدمو جمع
لحظات (لحظات) للتعبير عن فترات زمنية قصيرة لا تتجاوز الدقيقة. يقول
الجوزي: "ولم قص لحظات حتى وفتحت بطرقات عنيفة تلح علي باب الدار" (2)
ويقول الغزالي: "تدقين الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها
إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بحذافيرها" (3)
والعرب يستخدمون (اللحظة)، و(لح الصر)، و(طرفة العين)،
(ارتداد الطرف) أعظاظ لقياس الزمن القصير جداً. يقولون: "انت بك في
الصر", "وقبل أن يرد إلى طرفك", وفي قصة النبي سليمان وبلقب
ملكة سبا إلى التفريق بين مقياس زمنيين; هما (طرفة العين) والقياس من
الجلوس). وتتضح في الرواية التالية أن طرفة العين هي مقياس زمني أقصر
من القيام من الجلوس: قال سليمان: "أيكم يأتيني بعرضها قبل أن أأتيوني
مسلمين", ثم قال عفرت من الجن: "أنا أنتيك به قبل أن تقوم من مقامك
وإني عليه لقوي أمن", فقال سليمان: أريد أعجل من ذلك؛ فقال الذي

(1) ابن منظور، ج 72، ص 458، مادة: ه ح ظ.
(2) ج. ك.
(3) الغزالي: محمد، إحياء علوم الدين، ج 1، ص 128

272
عندما علم من الكتاب: "أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك"(1)
ومن ذلك قول الجاحظ: "فأما قتل الحياة والعقرب؛ فما كان ينبغي لهم البينة أن يقفوا في قتلهما طرفة عين"(2) ولا يكثنا أن تقيس الزمن دون وجود حركة؛ لأن استمرار الحركة يعني الحياة واستمرار الزمن. والسكون يعني توقف الزمن، ووقف الزمن يعني الموت. يقول أحمد شوقي:
دقات قلب المرء قابلة له إن الحياة ذات دقات وكميات
وهنا يستوحي شوقي دقات القلب مقياسا لزمن الإنسان الذي لا بد أن ينتهي، وساعة وقياس زمنه هي نبيضات قلبه التي تستمر معلنة استمرار زمنه الخاص. وتوقف قلبه عن البضع يعني انتهاء زمنه، وسكونها يعني الموت؛ والموت يعني أن يكون بلا زمن.
ومن قياسات أجزاء الزمن القصيرة البينة وهي أقصر من الدقيقة أيضا، (البن) تطلبه العرب على أي شيء يجهل أسمه، أو يستقبل ذكره، وهيهة تصغير المؤنث من (هن) وهي (هنة) وتطلق البينة على ما استصغر من الزمن كالثانية أو اللحظة (ومن، كأخ) (كلمة كتابة، و (معناه شيء)، وأصله: هنو. الذي رواه البخاري في صحيحه في باب ما يقول بعد التكبير عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله وسلم يسكنك بين التكبير والقراءة إسكاتا، قال: أحسبه (هنينة) وهو (مصغر هنة)، أو هنث، يسكنون النون وهو على القياس. و (أصلها هنوة)

(1) ج.ك
(2) الجاحظ، الحيوان، ج4، ص 428

273
فلما صغرت صارت هنيئة فاجتمعت الواو واللياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء ثم أذقتها (أي شيء يسير) ويروي هيئة بالهمز.

ويقول ابن شهاب العلوي:

و قال بعد الانتظار هنيهة

وقال إسماعيل صبري:

كَم سَاعَةٍ أَلْمَنَى مَسُّها

و أَزْعَجْتُني بَيْدُها القاسيَّة

هَنَّهَةٌ وَاحْدَةٌ صَانِعِيَّه

فَقَاتَ فِي هَا لَا جَاهِدًا لَمْ أَجِد

ويطلق العرب على الزمن الطويل غير المحدود أو المعلوم (برهة)

والبرهة: الخين الطويل من الدهر، وقيل: الزمان. يقال: أقمت عنه برهه من الدهر، كقولك: أقامت عنه سنة من الدهر. و"أقامت عنه برهه وبرهة"

(1) أي مدة طويلة من الزمان

قال أعزى بابلة:

عشنا به برهة دهراً، فودعنا كذلك الرمح ذو التصلين ينكسر

(2) الزمن أرقام.

للإنسان إحساس فطري بالعد، وتخصيص كلمة محددة لكل عدد.

والطفل يتعلم في البداية العد على أشياء محسوسة، ثم يتعلم أن يفكر

(1) الزبيدي، ج 40، ص 31

(2) ب ر 5، ابن منظور، ج 131، ص 274

(3) ك. ج
بالabbreviations الجبردة دون أن يربطها بشيء أو أشياء. أمّا الناس الأكبر السن فه يمكِّنهم أن يتعلّموا أن يفكروا في الأعداد التخيّلية: مثل اللانهاية (١). ويشترك كل من الزمن والعدد في اللانهاية؛ فالزمن (لانهاي،) كما أن العدد (لانهاي).

وإذا أردنا قياس وزن أو مساحة أو طول أي شيء؛ لابد من استخدام الأرقام. وتحديد الزمن بالأرقام يعطينا حساباً أكثر دقة من حساب الزمن اعتمادًا على أحداث مشهورة معلومة؛ وإن كان حساب الزمن بالأرقام لابد أن يعتمد على حدث يعتمد عليه كنقطة ارتكاز بدأ من عددها حساب الزمن ثم تسلسل الأرقام في حساب حساباً دقيقاً، وذلك يظهر لنا في التقاويم باختلافها الشمسية والقمرية. لابد أن يبدأ الحساب في أي تقويم من حدث شهير مثل: الهجرة النبوية عند المسلمين، والميلاد عند المسيحين.

يقول زكرياء الأنصاري: "واعلم أن السنة إما عددية، أو شمسيية، أو قمرية؛ فالعددية ثلاثمائة وستون يوماً، لا تزيد يوماً ولا تنقصه، وأما
القمرية ويقال لها البلاطية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وخمس يوم وضسه. نسبت إلى القمر لاعتبارها بمن حيث اجتماعه مع الشمس لا من حيث رؤية البلال كما سيأتي. وأما الشمسية ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم إلا جزء من ثلاثمائة جزء من يوم، ونسبت إلى الشمس لاعتبارها بها من حين حلولها في برج الحمل إلى عودها إليها كما ستعل. فيكون

(١) انظر: ماكليش: جون، العدد: من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر، ت. خضير
الأحمد وآخرون، (عالم المعرفة، عدد ٢٥١، نوفمبر، ١٩٩٩ م)، ص ١٩

٢٧٥
التفاوت بين الاثنين بعشرة أيام كامل وأربعة أخماس يوم.(1) وكانت العرب تحدد الساعة الأولى التي يبدأ بها اليوم من الليل منذ غروب الشمس، وحديثا تبدأ الساعة الأولى من اليوم من منتصف الليل وحساب اليوم بهذه الطريقة مستورد من الثقافة الرومانية. وعلى ذلك يكون تحديد الساعة الأولى التي يبدأ منها حساب اليوم الزمني يختلف باختلاف الثقافات. وتحديد الساعة الأولى لبداية اليوم بعد منتصف الليل يبدو للوهلة الأولى أمر غير منطقي. ومن المنطقي أن يتم تحديد الساعة الأولى في اليوم تبعا لشروق الشمس أو غروبها؛ لذلك يفرق Strevens في كتابه تاريخ الزمن بين اليوم الطبيعي واليوم المدني؛ فاليوم الطبيعي تحدد بدايةه من ظاهرة طبيعية، أما اليوم المدني يبدأ الساعة الأولى فيه حسبما يحدد القانون أو العرف.(2)

ونلاحظ أن تحديد ساعة الصفر التي يبدأ منها حساب الزمن لكل يوم مرتبط بمعتقدات دينية، وهي الساعة التي يبدأ فيها كل يوم؛ فالساعة الأولى من بداية اليوم عند العرب هي ساعة غروب الشمس إذ يبدأ اليوم بمغرب الشمس. عن ابن عباس قال: "إذا غرقت الشمس فكفوا صبيانكم فإنها ساعة ينتشر فيها الشياطين"(3)، وقال النبي عليه السلام: "إذا كان جهن

---


(2) ج.ك.

٢٧٦
الليل - أو أمسيتهم - فكروا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ. فإذا ذهب ساعة من الليل فحلوه، فأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، وأوكوا قريكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئًا، وأطفحوا مصابيحكم. قال المهلب: خشي النبي - عليه السلام - على الصبيان عند انتشار الجن أن تلم بهم فتصرعهم، فإن الشيطان قد أعطاء الله قوة على هذا.

وفي رواية أخرى تخذر من خطر الشياطين على الجهائم أيضًا، وفي تلك الساعة المحددة فقط، في حين تحت على الانطلاق في ساعات الليل الأخرى؛ قال رسول الله - عليه السلام -: "لا ترسلوا ملاكًا، فإن الشيطان يبعث جنوده إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء؛ فإن الشيطان يبعث جنوده إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء". والفوافي: جمع الفايشة، وهي: كل ما ينتشر من المال كالغنم والإبل، يقال: أفشى الرجل: إذا كثرت فواشيه، وفحمه العشاء: إقبال ظلمته، شبه سوابه بالفحم. وروي عن الربيع بن أنس، عن أنس، قال: قال رسول الله: "عليكم بالدلجة، فإن الأرض تطوى بالليل".

و ساعة الصفر التي يبدأ منها حساب الزمن اليومي في الثقافة الرومانية هي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وهذا الحساب المتبعد الآن في جميع

---

(1) ابن بطال، ج 6، ص 76
(2) ج 6، ك
أخيه العالم وهو بداية اليوم المدني 00:12، ويرتبط منتصف الليل بقصص الأشباح والشياطين. وهي وقت صلاة نصف الليل في الديانة المسيحية والتي تتجلى فيها روح السيد المسيح عند الصلاة، والأرواح الشريرة تظهر في ذات اللحظة لتصد المؤمنين عن الخشوع في الصلاة.  

إحصاء عمر الإنسان في صورة رقم كانت تزعجه أحياناً؛ إذ إن عمر الإنسان لا يمكن اختزاله في رقم فقط. وليس الزمن إلا الأحداث التوالية في سلسلة تخزينها الذاكرة، ومرور الزمن من دون أحداث تذكرها لا قيمة له ولا جدوى من إحصاؤه؛ وفي العدد قيمة إحصاء الزمن وامتداد أجله إذا لم يكن ممتناً بالإجاز أو الفعل المسموح يقول إبلى أبو ماضي:

"قل ليّ الذي أحيى السنين مفخراً
في يقظة أم في عميق سباب
أم يعذب شبة فضيلة لحِصائِه
وحنام في الأشواك مكتبات
وتعيش تلك الذَّهَر في ساعات
والذَّهَر لا يُحصى على الأمواض
كليبيت مهجورة وكألف مات
ما في مطاردها من الحسنات"

(1) الأرشيدونية باسيليوس باكويانيس، الأسلحة ضد الشيطان، مجلة التراث الأرثوذكسي،

/ http://www.orthodoxlegacy.org

278
وقد كانت العرب تقسم اليوم لأربع وعشرين ساعة؛ اثنا عشر ساعة
منها في النهار والأخرى في الليل؛ كل ساعة لها اسم بما يظهر لهم من
علامات برونتها في السماء، أو بما يفعلونه بشكل متكرر كل يوم في ذات
الساعة. وقد وضعت العرب لساعات النهار أسماء، كما وضعت لساعات
الليل وحكاها الثعالبي في كتاب فقه اللغة - عن حمزه بن الحسن - قال:
وعليه عهدهتها: الشروق، ثم البكورة، ثم الغد، ثم الضحى، ثم
الهجرة، ثم الظهيرة، ثم الرواح، ثم العصر، ثم القصر، ثم الأصيل، ثم
العش، ثم الغروب.

(1)

تقسيم اليوم عند العرب 24 ساعة

<table>
<thead>
<tr>
<th></th>
<th>1. الشفق</th>
<th>1. الشروق</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>2. الغسق</td>
<td>2. البكورة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>3. العتمة</td>
<td>3. الغد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>4. السدقة</td>
<td>4. الضحى</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>5. الفحمة</td>
<td>5. الهجرة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>6. الظلمة</td>
<td>6. الظهيرة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>7. الزلفة</td>
<td>7. الرواح</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>8. البهرة</td>
<td>8. العصر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>9. السحر</td>
<td>9. القصر</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

(1) التويري، ج. 1، ص 139

279
<table>
<thead>
<tr>
<th>الوقت</th>
<th>الأصل</th>
<th>لواء</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الفجر</td>
<td>10</td>
<td>10</td>
</tr>
<tr>
<td>الصبح</td>
<td>11</td>
<td>11</td>
</tr>
<tr>
<td>الصباح</td>
<td>12</td>
<td>12</td>
</tr>
</tbody>
</table>

تم تقسيم العرب مما مضى من الزمن من أيام الشهر عند تدوين الزمن على أي وثيقة، ثم تكتب ما بقي منه إذا كان الماضي منه أكثر من الباقى. وإذا كان ما مضى أقل من النصف؛ فإنهم يحسبون ما مضى من أيام الشهر ثم يكتبونه تاريخاً للكتاب. قال عبد الله في كتاب المغازي للواقدي: "خرجت من المدينة يوم الاثنين خمس ليل خلون من المحرم، على رأس خمسة وثلاثين شهراً، فغبت ثماني عشرة ليلة، وقامت يوم السبت لسبع بظين من المحرم.

وخلون بمعنى: مضين، ونلاحظ أنه هنا أرتح بالطريقتين، ويقول ابن سليمان: "وذلك في المحرم يوم السبت لثمانية ليال خلون من المحرم"، وقولهم: "ثم هذا الجزء المبارك من تاريخ دمشق للشيخ الفاضل العالم العلامة والبحر الفهامة الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر تغمده الله برحمته وحشرنا في زمرته. يوم الثلاثاء المبارك لعشرين خلون من جمادى الأول، سنة اثنتي عشرة والف ومائة بعد الهجرة النبوية. "(3)

ويقل في كلامهم أن يؤخروا بما مضى من الشهر إذا تجاوزوا منتصف

(1) ح. ك
(2) ح. ك
(3) ح. ك

280
الشهر (١)، أي إذا كان الباقٍ أقل من خمسة عشرة يوماً، في مثل قول ابن
الضياء: "وركب نوح الفلك لعشرين خلوقاً من رجب" (٢).

يقول ابن عبد ربه: "إذا أردت أن تؤخذ كتاب فقير إلى ما مضى من
الشهر، وما بقي منه، فإن كان ما بقي أكثر من نصف الشهر، كتب لكذا
وكذا ليلة مضت من شهر 같이. وإن كان الباقٍ أقل من النصف جعلت مكان
(مضت) (بقيت) (٣). وقد قال بعض الكتاب لا تكتَب إذا أرتخت إلا لما مضى
من الشهر لأنه معروف وما بقي منه مجهول لأنك لا تدري أيتم الشهر أم
لا" (٤).

ويبدو أن حساب العرب أيام الشهر بهذه الطريقة مستمدٌ من صورة
القمر التي يرونها تكتمل في ليلة الخامس عشر من الشهر، ثم تبدأ في
النقاص حيث تكون الخمسة عشرة هي ما (تبقي) من صورة القمر التي

(١) وقد عملت اختياراً بسيطاً للبحث في ١٧٥ عنوان من كتب التراث العربي في برنامج
(الجامع الكبير لكتب التراث) بالبحث عن عبارة (يومين-ثلاثة-أربعة) إلى ١٥ خلون
من شهر كذا... وصارت النتيجة ١٨٢٨ موضعاً استخدمها العرب في أماكن متفرقة-من
كهنهم، ومثلها عملت إجراء بحث عن (يومين-ثلاثة-أربعة) إلى ١٥ بعيده من شهر
كذا... وكانت النتيجة ١٦٢ موضاً استخدم العرب فيها هذا التعبير. أما عند البحث بنفس
عبارة لكل الأعداد أكثر من خمسة عشرة، فإن النتيجة لا تتجاوز ٣ موضعة، وأحيانا لا تظهر
أي نتيجة.

(٢) ج. ك.

(٣) وما يُذكر الإشارة إليه هنا أن العامة من كبار السن غير المتعلمين في المجتمع النحدي
يؤثرون شفاهياً بهذه الطريقة، يقولون: "بغيّة عشر من رمضان" أم "مطلبّي خمسة من شعبان".

(٤) ج. ك.

٢٨١
يرونها تظهر في السماء وتتناقص تدريجياً بمرور الخمسة عشرة البقية
شكل: (21)؛ فما تبقى من الشهر هو ذاته ما تبقى من القمر، حتى وإن
كانت تمام الشهر ثلاثين يوماً لازال محجولاً لديهم، لأن صورة القمر
الحاضرية في أذهانهم والتي يستمدون منها حساب أيام الشهر هي التي
تجعلهم يحسبون عدد الأيام بما تبقى من صورة القمر.

شكل (21)

المراحل التي يمر بها القمر خلال الشهر ويظهر لنا كيف يتناقص شكله بعد
اكتماله.

وإذا كان البعد الإدراكي لقياس الزمن عند العرب قديماً هو صورة
القمر فإن العربي في وقت المعاصر لم يعد يدرك حساب الزمن من صورة
القمر؛ وصار الحساب برؤية أوضاع القمر مختصاً بالرصد الفلكي أو
المهتمين من الهواة. وإدراك حساب الزمن اليوم يتمثل في عقولنا عبر صور

H. James Birx & others, Encyclopedia of time : science, philosophy, (1)
thology, and culture / 2003, SAGE Publications, p. 282
часы настенные и цифровые (1) которые имеются في كل مكان، والتواجد على مكاتبنا وجدار بيوتنا وعلى شاشات أجهزتنا الذكية.

часات تناظرية. شكل رقم (22)

часات رقمية. شكل (23)

(1) صورة ساعة التناظرية والساعة الرقمية في الشكل رقم (22) مأخوذة من منتج أمازون /www.amazon.com على الإنترنت.

283
لم يعد الزمن اليوم سوى رقم يتم حسابه بدقة شديدة; فاللحظة التي
تعيشها لها رقم زمني، في يوم محدد له رقم آخر، وشهر محدد الرقم، وسنة
لها رقم معين، وكل هذا يتزامن مع المكان الذي نحن فيه؛ فلم تعد بحاجة
للنظر خارج منازلنا لمعرفة الوقت الذي نحن فيه، أيهما كنا سنعرف الزمن
الذي نحن فيه من خلال نظرة سريعة لأجهزتنا الذكية التي تحملها في جيوبنا.
والتي لم تعد تفارق أيدي أطفالنا.
ولو فرضنا أن هناك طفل سعودي مثل ساهر لندن وهو لا يعرف المكان
الذي هو فيه، فإن نظرة سريعة جهازه الذكي (iPod) مع تشغيل وضع
الالتزام (نظام تحديد المواقع العالمي) يعطيه إحداثيات الموقع والزمن
الذي هو فيه بالدقيقة والثانية.

شكل (٤)

يظهر الزمن مرتبطا بالمكان بصورة آلية؛ وهذا التطبيق موجود في جميع

٢٨٤
العبارة التالية التي قد يقولها العربي اليوم: "قد أخرج اليوم ٢٠٠٠ am"
"يعبر عنها العربي قديما والذي يستعرض الصورة التي يراها في السماء
للتعبير عن الزمن بقوله: "موعد خروجِي مع شروق الشمس".
يعبر الإنسان عن زمن معين باستعارة الحديث المحسن الذي يشعر به
أويرة كل يوم؛ العربي قديما عبر عن وقت الصباح بالصورة التي يراها في
السماء، أو قد يعبر عنه يحدث مصاحب متكرر لهذا الوقت، وربما أقرب
تعبير لغوي لل العربي قديما قول امرئ القيس: "وقد أخذتي والطيب في وكنائنا".
العربية اليوم صار كثيراً نا يعبر عن الزمن برمز رقمي، وصار الزمن
مجرد رقم يحمل الكثير من الدلالات. إضافة لشعورنا بتدفق الزمن في بُعد
التجسدي والشخصي، وتصورنا المكاني للزمن بالنسبة لنا؛ فإنا ندركه
في صورة أرقام تتدفق على صفحات مفكراًنا، وجدالنا الزمنية لترتيب
شؤون حياتنا. ونلاحظ في شكل (٢٥) نموذج جدول زمني من فكرة
شخصية على جهاز الكمبيوتر؛ حيث نعبر عن الزمن في صورة أرقام
ورموز مثل اليوم والشهر والساعة.

شكل (٢٥)

٢٨٠
خلاصة:

يقيم العربي الزمن بالظواهر التي يراها في السماء، وإدراك ظلال الليل جزء مهم من حساب الأيام. وظهور القمر مراحله المختلفة والمتتابعة على نحو منتظم يستمد من صورتها في السماء معيارًا لقياس أيام الشهر، يعني أن التقويم العربي للزمن هو ما يظهر لهم في قبة السماء ليلًا.

وتكرار الظواهر التي يرونها في السماء بشكل منتظم جعلهم يعطون لكل ظاهرة اسم يتكرر مصاحب لرقم، وإن كانت الأرقام تطرح تساؤلاً مهما وهو: ما التحريج الحسية التي كونت نظام الحساب والأرقام؟ وكيف يحس العقل البشري الرقم؟ وبالتالي فإن قياس الزمن مرتبط بالحركة والإعطاء كل حركة اسم أو رقم، والقياس الدقيق للزمن يكون بالآلات التي تحسب أسرع وأدق الحركات وتقيس أصغر أجزاء الزمن.

وفي هذا الفصل تبين لنا الصور التمثيلية والمعايير التي يقيس بها العربي الزمن؛ من القياس الذاتي للزمن التابع من التحريج الشعرية الخاصة، إلى قياس الزمن بالزمن عن طريق المقارنة، أو قياس الزمن بالأحداث حيث يكون نقطة الارتكاز التي بدأ منها امتداد القياس لحد آخر، وتقسيم الزمن إلى أقسام وتسليطها بالفاظ مناسبة للحدث الملازم لهذه المدة. والتعبير عن المدة الزمنية بحركة الأشياء، إذ بدون الحركة لا يوجد للزمن، لذلك يرتبط هذا البعد ارتباطًا وثيقًا بجميع الأحداث الأخرى، لأن قياس أطوال المد الزمنية يتم حسابه مثل حساب الأطوال المكانية أو التجسدية. وتحديد نقطة الارتكاز التي بدأ منها القياس أو النهاية التي يقف عندها يعتمد على حركة الأجرام السماوية، أو الأحداث الاجتماعية.

٢٨٦
خاتمة

يشوّر العرب الزمن ويذكرهم مثل الشائع من اللغات التي يكون (المستقبل) فيها متبقفا من أمامنا، ومتجها إلى مكان وجودنا (حاضر)، وذاوبا إلى الخلف (ماضى). ويشكل مفهوم الزمن في اللغة العربية من أربعة أبعاد هي: البعد المكاني، والبعد التشريحي، والبعد التفسيري، والبعد المياسي. تداخل هذه الأبعاد في صورها الاستيعادية حيث يشترك كل من البعد التفسيري والتشريحي في صفة (الحركة)؛ البعد التفسيري لتصوّر الزمن حالةً من المادة السائلة المتدهقة (حركة)، ولكنها تختلف عن الحركة الصادرة من البعد التشريحي في الصور الفردية، وتتشابك معها إذا كانت الصورة التشريحيّة صورة جماعية. كما تختلف صور البعد المكاني واليميائي حينما نقيس الامتداد المكاني بتعاب رؤية الظلام وطعوم الشمس، ونقيس الامتداد الزمني بمقدار طول الطريق. وفي هذه المواضع التي تتشابك فيها صور الاستعارات توقفت عن تفصيل التحليل واكتفيت بالإشارة، لأنني لا أستطيع أن أشرح شيئا عن الزمن دون أن استخدم صورا استيعادية. ورأينا أن طريقة بناء مفهوم الزمن عند العرب من خلال تصويره بفاهيم وعلاقات مستمدة من مجالات موجودة في البيئة العربية مثلت في أربعة أبعاد؛ أولاً: بناء مفهوم الزمن عن طريق تصوير بناء مفهوم المكان (طريق، أرض، منزل، مكان مرنع)، ثانياً: بناء مفهوم الزمن عن طريق تصوير مفهوم الإنسان بكامل خصائصه أو الوجوه أو شخص خارقة القدرات (آلهة، إنسان، وحش) ومن المفهوم التشريحي للزمن هو (قاتل، عادل أو ظالم، 287
له ذرية،...، ثالثا: بناء مفهوم الزمن من خلال المادة في كل حالاتها (جامدة، سائلة) أو (مال يستمر أو بضاعة ذات قيمة)، رابعا: بناء مفهوم قياس الزمن من العدد وصور تكرر الحدث فيما يظهر في السماء أو حركة الجسد. ويمكن تعليق ما توصل إليه هذا البحث بإيجاز فيما يلي:

- المرجعية المكانية للتعبير عن الزمن ليست هي البُعد التمثيلي الوحيد لتمثيل مفهوم الزمن. وقد رأينا كيف يتم تمثيل الزمن من خلال البعد التجريدي، والتشخيصي، والقياس.
- تسمية أفلاس الزمن في اللغة العربية مشتقة من الطبيعة التي أدركتها العربي في بعدها التجريدي والمكاني والتشخيصي؛ فانفجار نور الصباح، والنهار، والنهر، من انفجار النهر، والمستقبل كالشخص الذي نستقبله، وكذا الماضي، والحاضر.
- التصور التشخيصي للزمن في اللغة العربية هو الأكثر شيوعا من غيره؛ حيث يتمثل عند العرب القدماء كثيرًا في صورة إنسان، أو آلية، أو وحش.
- معاملة الزمن كما لو كان (مال) في البعد التجريدي لم تظهر في التعبيرات اللغوية عند العرب إلا مؤخرًا بعد الثورة الصناعية؛ وإن كانت تظهر أحيانًا تعبيرات عن اغتنام الزمن في حياة الإنسان باعتباره قيمة دينية، ومكسبا أخرى.
- مصادر معرفتنا بالزمن التجربة الحسية فقط. والتعبير عن الزمن في اللغة ليس إلا تعبيرا عن تجربة حسية. وكذلك لا

288
لا يستطيع أن نفهم الإدراك البشري للزمن إلا من خلال اللغة.
• انتقل إحساسنا الذاتي بالزمن من تجربتنا الحسية المستمدة من الظواهر الطبيعية إلى صور مستمدة من آلات قياس الزمن.
• وبالتالي اختلف حس الإنسان للحالة الزمنية ومن ثم تعبيره عنها من مثيل لصور ملونة في السماء يراها العربي قديما، إلى أرقام ورموز صارت صوراً تحيط بنا من كل جانب.
• يختلف التصور البشري للزمن عن الكائنات الحية الأخرى
• لأنه يمتلك قدرات إدراكية خاصة تميزه عن غيره: (الخيال)
• الذي يمكنه من تصوّر المستقبل، (الذاكرة) التي يمكنه من اختزان الماضي.
• ختاماً: تمثل اللغة العربية ميداناً خصباً وغنية للبحث في المجال الإدراكي
• اللساني. وتطبيق معطيات اللسانيات الإدراكيّة على اللغة العربية سيكشف لنا عن المزيد في كيفية تعبير اللغة العربية عن مفاهيم أخرى وبنائها عن طريق تصورها بمفاهيم إدراكية أخرى. وفيما يلي بعض المشروعات البحثية المقترحة
• والتي يمكن أن تمثل إضافة مهمة إلى اللسانيات الإدراكية العربية:

1) التعبير عن العواطف في اللغة العربية: مقاربة إدراكية.
2) الأسس الإدراكيّة في بناء مفاهيم الأخلاقيّة في اللغة العربية.
3) الأبعاد الإدراكية في التعبير اللغوي عن اللغة في اللغة العربية.
4) مفهوم الجمال في اللغة العربية: تأسس إدراكي.
5) الأسس الإدراكيّة في التشبيهات المتعلقة بالحمرات في كتاب

289
(غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات) لعلي بن ظافر الأزدي المصري (١١٦٣ه).

٦ الأبعاد الإدراكية في التعبير عن الجدل وال الحوار في اللغة العربية.
المراجع العربية:

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، د.ت).
- الأتابكي: جمال الدين أبي الحسن يوسف بن تفريج مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، (دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997).
- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 هـ، ط2).
- أرسطو، فن الشعر، إبراهيم حمادة، (مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت).
- الأزهري: أبو متصور، تهذيب اللغة، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ط1).
- الأصفهاني: أبو الفرج، الأغاني، (دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 1995م، ط1).
- الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلاغاء، (دار الطباع، بيروت، 1420هـ–1999م).

291
الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد، المفرادات في غريب القرآن، تتح محمد سيد كيلاني، (دار المعرفة، لبنان، دت).

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ط 1).

أوكان: عمر، أرسطو والاستعارة، مجلة فكر ونقد، (دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1999).

البطيح: علي بن صالح، فن التعامل مع عقارب الساعة، (وزارة التربية والتعليم، عنيزة، 1424ه).

التلمساني: أحمد بن محمد المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تتح، إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، 1388ه).

التيقاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، تتح، إحسان عباس (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ط 1).

ابن تيمية: أحمد الحراني، مجموع الفتوى، تتح، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دت).

التعالي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والنسب، تتح، محمد أبو الفضل إبراهيم (1965م، ط 1، دار المعارف، القاهرة).

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بكر، الحيوان، تتح، عبد السلام هارون.

292
(دار الجيل، لبنان، 1416هـ - 1996م)

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، البخلاء، تح. أحمد العوامري

الحازم: أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبين، تح. فوزي عطوي، (دار صعب، بيروت، 1986م)

الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن، عجائب الآثار: تاريخ عجائب الآثار في الترجم والأخبار، (دار الجيل، بيروت، د.ت.)

ابن جبير: أبي الحسين محمد بن أحمد الكشني الأندلسي، رحلة ابن جبير، تح. مصطفى زيادة، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.)

الجراوي: أبو العباس أحمد بن عبد السلام العبادي، الخمسة المغربية: مختصر كتاب صفوة الأدب ونسبة ديوان العرب، تح. محمد رضوان الدابة، (دار الفكر المعاصر، بيروت، 1991م)

الجرجاني: عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، تح. محمد الأسكندراني، م. مسعود، (دار الكتاب العربي، بيروت، 1998م)

الجريسي: خالد بن عبد الرحمن، إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، (رسالة ماجستير، جامعة الإمام الأوزاعي، لبنان، 1991م)

الجزيري: أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح. طاهر أحمد الزاوي وعمرو محمد الطناحي، (المكتبة العلمية، بيروت، 1979-1399هـ)

الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المدهش، تح. مروان 293
قباني، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1405 هـ، 1985 م، ط 2).

الجزوين: أبو الفرج، البصرة، تح. مصطفى عبد الواحد، (دار
الكتاب اللبناني، لبنان، 1390 هـ- 1970 م).

الخباشه: صابر، مسارات المعرفة والدلالة، (كتوز المعرفة،
الأردن، عمّان، 2011 م).

ابن حجر: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العقلاني،
إحياء العُمر بأبناء العمر في التاريخ، ت. محمد عبد العبد، (دار الكتب
العلمية، بيروت، 1406 هـ- 1986 م).

حريز: محمد هشام سامي، استمارة الوقت من المنظور الإسلامي،
(دار غيضاء، 2008 م).

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد التحريب،
تح. إحسان عباس، (المؤسسة العربية للدراسات
والنشر، بيروت، 1987 م، ط 2).

الحموي: ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت،
1397 هـ- 1977 م).

ابن حنبل: أحمد بن محمد الشيباني، الورع لابن حنبل، تح. زينب
القروط، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1403 هـ- 1983 م).

الخاقاني: محي الدين بن علي بن محمد الطائفي، الفتوحات الملكية في
معرفة الأسرار الملكية، (دار إحياء التراث العربي،
بيروت، 1418 هـ- 1998 م).

الخطابي: أحمد بن محمد بن إبراهيم البستي، غريب الحديث، تح.

294
عبد الكريم إبراهيم العزباوي، (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1402هـ)

- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، مقدمة ابن خلدون، تحق. علي عبد الواحد وافي، (دار القلم، بيروت، 1984م، ط 5).
- الخليل بن أحمد، الخطاب، مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، دت).
- ابن دريد: محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحق. رمزي منير بعلبكي، (دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ط 1).
- الدمشقي: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحق. إبراهيم الزبيدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ط 1).
- الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحق. خليل المنصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ 1997م)
- الرازي: فخر الدين، التفسير الكبير، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ط 1).
- الرامهرزي: أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد، أمثال الحديث، تحق. أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1409هـ)
- ابن رشد: تلخيص الخطابة، تحق. عبد الرحمن بدوي، (دار القلم، 295)
بيبورت، 1979م، ط2)
الزيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جوهر القاموس، (دار البداية، 1385هـ)
الزناد: الأزهر، نظريات لسانية عروضية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1 (2010)
السجستاني: سهل بن محمد، الممرون والوصلاب، تح. عبد المنعم عامر (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1971م)
ابن سلام: القاسم أبو عبد، غريب الحديث، تح. محمد عبد المعيد خان، (دار الكتاب العربي، بيروت، 1396هـ، ط1)
سليم: عبد الإله، بنات المشاهدة في اللغة العربية: مقارنة معرفية، (دار تويق، الدار البيضاء، 2001م)
السواح: فراس، الرايم والشيطان، (دار علاء الدين، دمشق، 2000م)
ابن سيدة: أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلس، المخصص، تح. خليل إبراهيم جفال (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1417هـ 1996م)
سيرج: فيليب، الرموز في الفن والأديان والحياة، ت. عبد الهادي عباس، (دار دمشق للنشر، دمشق، 1992م، ط1)
الشافعي: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله، تاريخ مدينة دمشق، ت. مدبوب يحيى سعيد عمر بن غرامة العمري (دار الفكر، بيروت، 1995م)
الشافعي: محمد بن درويش بن محمد الحوت البيروتي، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، تح. مصطفى عبد القادر عطاء (دار الكتب العلمية، بيروت، 1418 هـ - 1997 م، ط3)

ابن شداد: بهاء الدين أبو المجاسن، النواذر السلطانية والمجاسن اليوسفية، تح. جمال الدين الشيال (دار الفكر العربي، دمشق، 1964 م)

الشيباني: محمد بن الحسن بن فرقد، الأصل المعروف بالبنسطور، تح. أبو الوفا الأفغاني، (عالم الكتب، بيروت، 1990 م).

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، (دار التراث، بيروت، ط2، 1387 هـ)

الطوسي: نظام الملك حسين، سير الملوک، ت. يوسف حسين بكار، (دار الثقافة، قطر، 1407 هـ، ط2)

ابن عاشور: محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، (دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997 م)

عايض: علي، (صحيفة المدينة، السبت 1432/4/21 م، 2011)

عبد العال: شعبان جبريل، الوقت أغلب من كنز الأرض، (دار ابن خزيمة، الرياض، 1418 هـ - 1997 م)

عمر: أحمد ختار، اللغة واللون، (دار البحوث العلمية، الكويت، 1982 م، ط1)

العيني: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغنبائي
الخنفي، عمة القاري شرح صحيح البخاري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.)
• أبو غردة: عبد الفتاح، قيمة الزمن عند العلماء، (دار السلام، مصر، ط 1، 2010م)
• الغزالي: أبو حامد، بداية البداية، ت. محمد زينهم محمد عزب، (مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993م، ط 1)
• الغزالي: أبو حامد، إحياء علوم الدين، (مركز الأهرام، القاهرة، 1408هـ، ط 1)
• غنيم: أحمد محمد، مهارات إدارة الوقت، (المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، 2010م)
• فارس: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت. عبد السلام محمد هارون، (دار الجيل، بيروت، 1420هـ، 1999م، ط 2)
• ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري الإمامة والسياسة، ت. خليفة المنصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، 1997م)
• ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، غريب الحديث، لا ابن قتيبة، ت. عبد الله الجبيوري، (مطبعة الماني، بغداد، 1397م، ط 1)
• الفلاسي: حمزة بن أسد بن علي بن محمد، ذيل تاريخ دمشق، ت. سهيل زكار، (دار حسان للطباعة والنشر، 1403هـ، 1983م)

298
الفلقشنددي: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تتح عبد القادر زكار، (وزارة الثقافة، دمشق، 1981م)

ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، زاد المعاد في هدي خير العباد، (مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 27، 1994/1415م)

لايكوف: جورج، جونسن: مارك، الاستعارات التي نحيا بها، ت. عبد المجيد جحيفة، (دار تويقال، الدار البيضاء، 2009م، 2)

لايكوف: جورج، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ت. عبد المجيد جحيفة وعبد الإله سليم (دار تويقال، الدار البيضاء، 2005م)

اللجمي: أديب وآخرون، معجم اللغة العربية، (المحيط، بيروت، 1996م)

اللواثي: محمد بن عبد الله، حفنة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ت. علي المتصدر الكتاني، (مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ، 2005م)

ماكليش: جون، العدد: من الحضارات القديمة حتى عصر الكومبيوتر، ت. خضر الأحمد وآخرون، (عالم المعرفة، عدد 251، نوفمبر 1999م)

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات 299
الدينية، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1405 - 1985م)

• محضي الدين: "منهجية دراسة الاستعارة من الأساس اللغوي إلى التأسيس الإدراكي" بحث منشور في كتاب: الندوة العلمية الدولية (قضايا المنهج في الدراسات اللغوية والأدبية: النظرية والتطبيق). في الفترة من 21-1431/10/24/1431/10/2432 ه الموافق 7-10/1/2001م.

• المعري: أبو العلاء، معجز أحمد: شرح ديوان المتنبي، تحت: عبد المجيد ديب، (دار المعارف، ط2، 1413/1992م)

• المدائني: أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد، شرح نهج البلاغة، تحت: محمد عبد الكريم التميمي، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1418/1998م، ط1)

• المرزوقي: أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، الأمكنة والأزمنة، تحت: خليل عمران المنصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م).

• المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحت: أحمد أمين عبد السلام هارون، (دار الجيل، 1411/1991م، ط1)

• المساوئي: أبو الحسن علي بن الحسن علي، مروج الذهب، تحت: مفيد قميحة، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م)

• المغربي: ابن سعید المغربي في حلول المغرب، تحت: شوقي ضيف، (دار المعارف، القاهرة، 1955م، ط3)

• مفتاح: محمد، مجهول البيان، (دار توبقال، الـ�ـدار البيضاء، 1990م، ط1)
المقدسي: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم،
الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحت إبراهيم الزرقان
(مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، م 1418).
المقريزي: تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر
العيدي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحت محمد عبد القادر عطاء،
(دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، م 1418).
المناوي: عبد الروؤف، فيض القدر شرح الجامع الصغير، (المكتبة
التجارية الكبرى، مصر، م 1356، ط 1).
ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان
العرب، دار صادر، بيروت، 1998، ط 1).
المويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في
فنون الأدب، تحت مفيد قميحة وآخرون، (دار الكتب العلمية،
بيروت، 2004).
الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، الغزالي، تحت محمد
عبد القادر أحمد عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1424).
ولسون: كولن، فكرة الزمان عبر التاريخ، تحت فؤاد كمال، (عالم
المعارفة، الكويت، 1992).
أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحت محمد إبراهيم سليم،
(دار العلم للثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د 7).
• Chapman; Siobhan(2008) Language and Empiricism After the Vienna Circle, Palgrave Macmillan, New York
• Evans; Vyvyan, (2011) Temporal Frames of Reference.
• Jordan; Michael, (1993) Dictionary of gods and goddesses, Printed in the United States of America, 2nd ed
• Macey: Samuel, Patriarchs of time: dualism in saturn-cronus, father time, the watchmaker god, and father Christmas, 2010, University of Georgia Press.
• Núñez: Rafael E. & Sweetser: Eve(2000)

المراجع الإلكترونية (الويب):

http://astronomysts.com
http://textbasrah15.blogspot.com
http://twitter.com/Alsamhouri
http://www.adab.com
http://www.algomhoria.net/articles.php?id=3902
http://www.bbc.co.uk/bbcfour/documentaries/features/time1.shtml
http://www.echoroukonline.com/ara/sports/

304
http://www.kenanaonline.com/page/4173
http://www.museodelprado.es/en/the-collection/online-gallery/on-line-gellery/obra/saturn-devouring-his-son/?no_cache=1
http://www.odbasham.net/show.php?sid=41

http://www.orthodoxlegacy.org
http://www.sites-tunisie.org.tn/ar/actualites.php
http://www.vyvevans.net
http://www.finearts.blogspot.com/2008/10/bl
og-post_10.html
www.amazon.com
http://www.theoi.com •
http://www.xamuel.com/ten-metaphors-for-time

30°
المراجع الإلكترونية (برامج):

- الجامع الكبير لكتب التراث الإسلامي والعربي، الإصدار Hard الرابع (4.5)، مركز التراث للبرمجيات، الأردن، عمّان (Disk)

- موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، الإمارات، (2009) (CD-ROM)
الفهرس

شكر و تقدير

1. مقدمة

2. تمهيد:

3. الإشارات الإدراكية

4. أسس نظرية (الاستعارات الإدراكية)

5. الفصل الأول: البناء المكاني

6. مدخل

7. خط الزمن (الماضي، الحاضر، المستقبل)

8. مكان الماضي خلفنا

9. الحاضر مركز ووجودنا

10. المستقبل أمامنا

11. الزمن طريق

12. الزمن مساحة مكانيّة

13. الزمن مكان فوقنا

14. الزمن مكان يأتي إليه الإنسان

15. الزمن مكان تخفي فيه الأشياء

16. الزمن مكان تقع (عليه) الأحداث

17. خلاصة

18. الفصل الثاني: البناء التشخيصي

19. مدخل

307
الزمن امرأة
الزمن له مثل دورة حياة الإنسان
الزمن يتنفس
الزمن له صفات أجساد البشر
الزمن له رأس
الزمن له وجه
الزمن له عينان
الزمن له ظهر
الزمن له منكب
يد الزمن
الزمن يسمع وينطق
الزمن سلوك وأخلاقيات البشر
الزمن قاتل
الزمن عدو محارب
الزمن جليس الإنسان
حركة الزمن
الزمن آلة
خلاص
الفصل الثالث: بعد التجسيد
مدخل